سَبَائِكُ الذَّهَبْ
فِى
نَوَادِرِ الْعَرَبْ

إعداد وتأليف
د/ حامد كمال عبد الله حسين العربى
أسيوط - الوليدية - خلف مسجد الرضوان

إهداء

إلى أختى الفاضلة الدكتورة/ منى كمال العربى

التى أدين لها بكل حب واحترام

إلى زوجها المهندس/ على حسن أحمد

وإلى أبنائها/ أحمد ودينا وآلاء وحسن

أهدى هذا الكتاب

المؤلف

د/ حامد العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

(آداب نبوية)

* قال الرسول ﷺ: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرًا، ونطقى ذكرًا، ونظرى عِبرًا».

* قال الرسول ﷺ: «نهيتكم عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

* قال الرسول ﷺ: «لا تقعدوا على ظهور الطرق، فإن أبيتم فغضوا الأبصار، وأفشوا السلام، وأهدوا الضُّلَّال، وأعينوا الضعيف».

* قال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

* قال ﷺ: «أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك».

* قال ﷺ: «لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان».

* قال ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فَغَنِمَ، أو سكت فَسَلِمَ».

* * *

(المروءة)

* قال الرسول ﷺ: «لا دين إلا بمروءة».

* وقال عمر بن الخطاب: المروءة مروءتان، مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف.

* * *

(طرائف الحكمة)

* قال ابن مسعود رحمه الله: القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لها طرائف الحكمة.

* قال ابن الماجشون: لقد كُنَّا بالمدينة وإن الرجل ليحدثنى بالحديث من الفقه فيمليه علىَّ، ويذكر الخبر من المُلح فأستعيده فلا يفعل، ويقول: لا أُعطيك مُلَحى، وأَهَبُك ظَرْفى وأدبى.

* * *

(ستة لا تخطئهم الكآبة)

قيل: ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، وخليط أهل الأدب وهو غير أديب.

* * *

(أربعة تضيع)

قيل: أربعة تضيع: سراج فى نهار، ومطر فى سبخة، وطعام عند غير ذى شهوة، وزفاف بكر إلى عنين.

* * *

(البَر والبُر والبِر)

البرَ: هو اليابسة أى عكس البحر.

البُر: هو القمح ومفردها بُره.

البِر: هو الخير والطاعة والصدق.

* * *

(أدب المجالسة)

قيل إنّ قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لمّا زُفَّتْ إلى المعتضد بالله أُغْرِمَ بها، فوضع يومًا رأسه فى حجرها فنام، فأزالته عن فخذها بلطف ووسدَّته، وخرجت من البيت، فاستيقظ المعتضد مذعورًا وناداها، فأجابته من مكان قريب فقال لها: أسلمتُ لك نفسى فذهبت عنى.

فقالت: لم أذهب عن أمير المؤمنين، ولم أزل كالئة له. فقال: فما أخرجك عنى؟

فقالت: إنّ مما أدبنى به أبى أنّى لا أجلسُ مع القيام ولا أنام مع الجلوس، فاستحسن قولها.

***

(السفيه)

كان رجل ذو مال وجاه قد بنى لنفسه دارًا، وكان فى جواره بيت لعجوز لا يساوى شيئًا من المال، وكان محتاجًا إليه فى توسعة داره، فعرض عليها مبلغًا من المال كبيرًا ثمنًا لبيتها، فأبت أن تبيعه.

فقيل لها: إنَّ القاضى سيحْجُر عليك بسفهك لأنك أضعت مبلغًا كبيرًا ودارك لا تساوى شيئًا.

فقالت: ولم لا يحجر القاضى على من يريد الشراء بهذا المبلغ الكبير ورفضت أن تبيع دارها، وأفحمت الجميع بقوة حجتها.

***

(جاء بالله إلى الله)

رُوى عن منصور بن عمار الواعظ المشهور، أنه رؤى فى المنام، فقيل له: ما فعل الله بك يا منصور؟

قال: عرضنى عليه وأوقفنى بين يديه، وقال: يا منصور بم جئتنى؟ قلت: بست وثلاثين حجة يا الله، قال: ما قبلت منها واحدة.

بم جئتنى يا منصور؟ قلت: قرأت القرآن ثلاثمائة وستين ختمة، قال: ما قبلت منها واحدة.

بم جئتنى يا منصور؟ قلت: بصيام ستين سنة، قال: ما قبلت منها يومًا واحدًا.

بم جئتنى يا منصور؟ قلت: جئتك بك، قال: الآن جئتنى بشىء، أذهب يا عبدى، فقد غفرت لك.

***

(مكتوب على قبر)

قال بشر بن الحارث الحافى الزاهد العابد: مررت يومًا على بعض القبور، فرأيت بالقلم مكتوبًا.

إن الحديد وإن تطاول مكثه ... يومًا يصير إلى مقالة كانْ

فاعملْ على مهلٍ فإنك ميت ... وامهد لنفسك أيها الإنسانْ

فكأن ما قد كان لمْ يكُ إذ مضى ... وكأنّ ما هو كائن قد كان

فلما قرأه بشر امتقع لونه، واشتدت طيرته، وعاد إلى مجلسه موعوكًا، فلم يمض له ثلاثة حتى مات.

***

(أحمق شعر قالته العرب)

قال الأصمعى: أحمق بيت قالته العرب:

إذا مِتُّ فادفنّى إلى أصل كرمةٍ ... يرّوى عظامى بعد موتى عروقُها

ولا تدفنّنى فى الفلاةِ، فإنّنى ... أخاف إذا ما مِتُّ ألا أذوقها

***

(أصدق بيت قالته العرب)

الله أنجح مـا طَلَبْتَ به والبرُّ خيرُ حقيبة الرَّجُل

***

(أنصف بيت قالته العرب)

قول حسان بن ثابت رادًّا عن النبى ﷺ حيث يقول:

أتهجوه ولَسْتَ له بكفء فشركُما لخيركما الفـداءُ

ولما أنـشد حسـان بن ثابت ذلـك على النبى ﷺ قـال: «هذا أنصف بـيت قالته العرب».

***

(أسير بيت قالته العرب)

قال الأصمعى: وأسير بيت قالته العرب قول القطامى:

والنـاسُ مَنْ يلقَ خيرًا قائلون له ما يشتهى، ولأم المخطئ الهَبَلُ

***

(أحكم بيت قالته العرب)

أحكم بيت قالته العرب قول طرفة:

ستبدى لك الأيّامُ ما كنت جاهلا ويأتيـك بالأخبـار مَن لم تزوّدِ

***

(أمدح بيت قالته العرب)

أمدح بيت قالته العرب قول جرير بن عطية فى عبد الملك بن مروان:

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطـون راح

* * *

(أهجى بيت قالته العرب)

أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل فى جرير حيث يقول:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهم قالـوا لأمّهُمُ: بولى على النـار

* * *

(أشجع بيت قالته العرب)

وأشجع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السُّلمى، حيث يقول:

أكِرّ على الكتيبـة لا أبالى أحتفى كان فيها، أم سواها

* * *

(وأمدح بيت أيضًا قالته العرب)

وأمدح بيت قالته العرب قول الأخطل:

شُمْسُ العداوة، حتى يستفادَ لهم وأعظمُ النـاس أحلامًا إذا قدروا

وأيضا لقول على بن الجهم:

يجود بالنفس إن ضنَّ الجـوادُ بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

* * *

(أهجى بيت قالته العرب)

أهجى بيت قالته العرب قول:

قبحت منـاظره فحين خبرتـه حسُنت مناظره لقبح المخبر

* * *

(أرثى بيت قالته العرب)

قول بعضهم:

أرادوا ليخفوا قبره من عـــدوّه فطيب تُراب القبر نمَّ على القبر

* * *

(جزاء الشامتين)

قال الشاعر:

إذا جرّ الزمـانُ على أُناس كـلاكـله أناخَ بآخرينـا

فقل للشامتين بنا: أفيقـوا سيلقى الشامتون كما لقينا

* * *

(كل النعيم إلى زوال)

زعموا أن أنوشروان أشرف يومًا على قصره الخورنق فنظر إلى ما حوله فقال: أكلُّ ما أرى إلى فناء وزوال؟ قالوا: نعم، قال: فأىّ خير فيما يفنى! لأطلبنَّ عيشًا لا يزول، فانخلع من ملكه، ولبس المُسوح، وساح فى الأرض.

* * *

(كلٌّ لا محالة زائل)

رُوى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما ورد المدائن مرَّ بعد نزوله بحنظلة بن الربيع التميمى وهو واقف ينظر إلى إيوان كسرى وينشد:

مـــــاذا تؤمّلُ آل محـــرقٍ ... تركـوا منازلهم، وبعـــد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارقٍ ... فكأنّما كانوا على ميعـــاد

إنّ النعيم وكلّ مـــا يُلهى به ... يومًا يصير إلى بلًى ونفـــادِ

فقال له علىّ عليه السلام: يـا حنظلة، فهلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:٢٥ ـ ٢٩].

يا حنظلة، إن هؤلاء كانوا وارثين أصبحوا موروثين.

يا حنظلة، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فعوقبوا بالنقمة.

***

(عيبك وعيوب الناس)

يقول الشاعر:

أرى كلَّ إنسان يرى عيـب غيره ... ويعمى عن العيب الذى هو فيه

وما خير مَنْ يخفى عليـه عيوبه ... ويبـدو له العيب الذى لأخيـه

***

(قبران)

قال أبـو عثمان الجـاحظ: مررت بقبر، فـإذا مكتوب: من رأى مـصرعى فلا يغترَّ بالعيش بعدى، فأنا الذى سُخرت له الريح، إن شاء حبسها وإن شاء أطلقها، فالتفت فإذا بـإزائه قبر آخر مكتوب علـيه: أنا أولى الاعتبار مـنه، أنا الذى سفكت دم من لا

يحصى من الملوك والأشراف، فلم أطالب بقود، ولا أخذ أحدٌ منى بثأر، فسألت عن القبرين، فقيل لى: القبر الأول لحداد والآخر قبر حجام.

يعنى الحداد أنه كان متى شاء جلب الريح لناره بالمندف المنفوخ، ومتى شاء ترك تحريكه فسكنت ريحه، ويعنى الحجام أنه فصد وحجم من لا يحصى من الملوك والأشراف من غير خوف لعاقبة.

***

(الأدب)

* سمع حكيم رجلًا يقول: أنا غريب، فقال: الغريب من لا أدب له.

* وكان يقال: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

* ويقال: الأدب أولى بالمرء من الحسب، وأعدل شاهد على النسب.

* وكان يقال: رُبَّ حسب أضاعه سوء الأدب، ومروءة أحرزت بحسن التأدب.

* يقول القائل:

عِىُّ الشريف يشين منصبه وابن الوضيع يزينه أدبه

***

(العلم والجهل)

* يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال:

كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نُسِب إليه، وكفى بالجهل خمولًا أنه يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نُسب إليه.

يقول القائل:

كفى شرفًا بالعلم دعواه جاهل ويفرح إنْ أمسى إلى العلم يُنسبُ

ويكفى خمولًا بالجهالة أننى أراعُ متى أُنسبْ إليها وأغضب

* قال قائل: من كان غداؤه الأدب كان ثمرته الحكمة، فاغذوا أولادكم بالأدب

تغنوهم به.

* وقال آخر: من كثر أدبه دام شرفه وإن كان خسيسًا، وكانت الحاجة إليه وإن كان قليلًا، وساد وإن كان وضيعًا، وبَعُد صيته وإن كان مجهولًا.

يقول الشاعر:

ليس الفتى كلّ الفتى إلا الفتى فى أدبه
وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

* قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدب أضرّ؟ قال: إذا كان العقل أنقص.

* وكان يقال: ما ورثت الملوك أبناءها شيئًا هو أنفع من الأدب، لأنها إذا أورثتها الأدب اكتسب به الأموال، وإذا أورثتها الأموال أتلفتها وبقيت صَفِرة من الأدب.

* * *

(ابن الحجاج والمائدة)

قيل: إن ابن الحجاج المصرى كان لا يهاب فى شعره أحدًا وكان يهجو من أراده أمام عينيه.

ومن أخباره أنه دُعى عند رجل للطعام فأخّر الرجل المائدة حتى ضجر الجماعة، فقال ابن الحجاج مخاطبًا له:

يا صاحب البيت الذى ضيفانه ماتوا جميعا
ادعوتنا حتى نموت بدائنا عطشًا وجوعا
ما لى أرى فك الرغيف لديك مشترفًا رفيعا
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

فأخذ صاحب البيت يتمشى أمامهم فقال له:

يا ذاهبًا فى داره جائيا لغير ما معنى ولا فائدة
قد جن أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

* * *

(البهاء زهير يصف بغلة)

قال البهاء زهير فى بغلة صديق له:

لك يا صـــــديقى بغلة ... ليســت تســاوى خردله
تمشى فتحسبهـا العيـون ... عـلى الطـريق مشكـله
وتخـــــال مـدبرة إذا ... مـــا أقبلت مستعجـــله
مقــدار خطواتهـا الطويلة ... حين تسرع أنمـــــله
تهتز وهى مكانهـــــا ... فكأنمـــــا هى زلزله
أشبهتهـــا بل أشبهتـك ... كـــأن بينكمـــا صـله
تحكى صفـاتك فى الثقالة ... والمهـــــانة والبـــله

***

(الغدر)

قال البهاء زهير فى صديق غدار:

إليك عنى ودعنى ... الغــدر لا أرتضيه
أردت تغيير خلقى ... أفٍّ لمـــا سئمتنيه
فلا جزى الله خيرًا ... يومًا عرفناك فيــه

***

(العفاف والطهر)

يقول نفطويه فى العفاف:

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعنى ... منه الحيـاء، وخوف الله، والحــذرُ
وكم ظفرت بمن أهـــوى فيقنعنى ... منه الفكاهة والتحـــديثُ والنظرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجـالسهم ... وليس لى فى حـــــرامٍ منهمُ وطرُ

كـــذلك الحـــبُّ لا إتيانُ فاحشة لا خير فى لذّة من بعدهـــــا سَقَرُ

يقول القاضى: ليس هذا عفافًا، لأن المحادثة والنظر إلى من لا سبيل إليه حُوب، والعفاف اجتناب الحوب، مع أن النظر داعية إلى الفاحشة ولهذا قال النبى ﷺ: «لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».

***

(من المعتصم لملك الروم)

قال الرياشى: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابًا يتهدده فيه، فأمر بجوابه، فلما قرئ عليه لم يرض ما فيه، وقال لبعض الكُتاب: اكتب «أمَّا بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى، لا ما تسمع، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٤٢]».

***

(إكرام النفس)

مرَّ الأصمعى برجل يكنس كنيفًا (وهو مكان قضاء الحاجة) وهو يقول:

وإياك والسُّكْنَى بـــدار مـــــذلَّةٍ تُعدُّ مسىء القوم، إن كنت مُحْسنا

ونفسك أكرمها، وإن ضاق مسكن عليك لها، فاطلب لنفسك مَسْكنا

فقال الأصمعى: والله ما بقى من الهوان شىء إلا وقد أهنت نفسك به فكيف تأمر بإكرام النفس ولا تكرمها أنت لأنك تكنس الكنيف؟ فقال: والله لكنسُ ألف كنيف أكرم من الوقوف بباب سفلة مثلك، فانصرف مسرعًا خوفًا مما أغلظ من ذلك.

***

(رزقى سوف يأتينى)

قال الشاعر:

إنى علمت وما الإسراف من خُلُقى ... أنّ الذى هـــو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلُّبُـــــــــه ... ولو قعـــــــدتُ أتانى لا يُعَنِّينى

***

(أعرابى يطلق زوجته)

طلق أعرابى زوجته فقالت له: جُزيت عنى خيرًا لقد كنت طيب العرق قليل الأرق كثير المرق، فقال لها: وأنت جزاك الله عنى خيرًا لقد كنت لذيذة المعتنق شديدة المعتبق، ولكن قضاء الله سبق.

***

(ميل المرأة إلى ذى مال)

قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك فمالت عنك؟ فقال: إنما مالت إلى الأنذال لقلة المال، والله لو كنت فى سن نوح وتشبيه إبليس وخلقة منكر ونكير ومعى مال لكنت أحب إليها من مقترٍ فى جمال يوسف وخلق داود وسن عيسى وجود حاتم وحلم أحنف بن قيس.

***

(أنو شروان وسياسة الدولة)

قال أنو شروان: الناس ثلاث طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشِّدَّة، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة، لئلا تحرجهم

الشدة ولا يبطرهم اللين.

* * *

(بلوغ أعلى المنازل)

قيل لبعض الملوك وقد بلغ أعلى المنازل: ما الذى بلغ بك هذه المنزلة، قال: عفوى عند قدرتى، ولينى عند شدَّتى، وبذلى الإنصاف ولو من نفسى، وإبقائى فى الحب والبغض مكانًا لموضع الاستبدال.

* * *

(صفات أخلاقية)

* قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ قال: سوء الظن، قيل: فما الصواب؟ قال: المشورة، قيل: فما الرأى الذى يجمع القلوب على المودة؟ قال: كفٌّ بذول وبِشْرٌ جميل، قيل: فما الاحتياط؟ قال: الاقتصاد فى الحب والبغض.

* وسُئل بزرجمهر: ما المروءة؟ قال: ترك ما لا يعنى، قيل: فما الحزم؟ قال: انتهاز الفرصة، قيل: فما الحلم؟ قال: العفو عند المقدرة، قيل: فما الشدة؟ قال: ملك الغضب، قيل: فما الخُرْق؟ قال: حب مُغْرِق؛ وبغض مُفْرِط.

* * *

(وصية معاوية لزياد)

قال معاوية رضى الله عنه لزياد حين ولاه العراق: يا زياد؛ ليكن حبُّك وبغضك قَصْدًا؛ فإن العثرة فيهما كامنة، واجعل للنزوع والرجوع بقية من قلبك، واحذَرْ صَوْلة الانهماك، فإنها تؤدى إلى الهلاك.

* * *

(أجهل الناس)

قال أبو الفتح البستى: أجهل الناس من كان على السلطان مدلًّا، وللإخوان مُذِلًّا.

***

(بين العجاج وعبد الملك بن مروان)

دخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال له: بلغنى أنَّك لا تُحسن الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين، من قَدر على تشييد الأبنية، أمكنه خراب الأخبية، قال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزًّا يمنعنا من أن نُظْلَم، وحلمًا يمنعنا من أن نَظْلِم، قال: لكلماتك أحسنُ من شعرك! فما العزُّ الذى يمنعك أن تُظْلَم؟ قال: الأدب البارع والفهم الناصع، قال: فما الحلم الذى يمنعك من أن تَظْلِم؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التَّال، قال: لقد أصبحت حكيمًا، قال: وما يمنعنى من ذلك وأنا نَجِىٌّ أمير المؤمنين.

***

(وصف كاتبة)

وصف أحمد بن صالح بن شيران جارية كاتبة فقال: كأنَّ خطَّها أشكال صورتها، وكأنَّ مِدَادَها سواد شعرها، وكأنَّ قرطاسها أديمُ وجهها، وكأنَّ قلمها بعضُ أناملها، وكأن بنانها سحر مقلتها، وكأن سكينها غُنْج لحظها وكأن مِقّطها قلب عاشقها.

***

(حسن الخط)

رأى المأمون خطَّ محمد بن داود فقال: يا محمد، إن شاركتنا فى اللفظ فقد فارقناك فى الخطّ، فقال: يا أمير المؤمنين، إن من أعظم آيات النبى ﷺ أنه أدّى عن

الله سبحانه وتعالى رسالته، وحفظ عنه وحَيْهَ، وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنًّا، ولا يقرأ من سائره حرفًا، فبقى عمود ذلك فى أهله، فهم يشرفون بالشَّبَه الكريم فى نقص الخط، كما يشرف غيرهم بزيادته؛ وإن أمير المؤمنين أخصُّ الناس برسول الله ﷺ، والوارث لموضعه، والمتقلد لأمره ونهيه، فعلقت به المشابهة الجليلة، وتناهت إليه الفضيلة، فقال المأمون: يا محمد، لقد تركتنى لا آسى على الكتابة، ولو كنت أميًّا.

* * *

(قريش أضعف العرب شعرًا)

قيل لسعيد بن المسيب: ما بال قريش أضعف العرب شعرًا، وهى أشرف العرب بيتًا؟ قال: لأن كون رسول الله ﷺ منها قطع متن الشعر عنها، لأن الله قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤١].

* * *

(وفاة الإسكندر)

لما مات الإسكندر ووضع فى تابوت من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال: كان الملك يخبأ الذهب، وقد صار الآن الذهب يخبؤه.

وقال آخر: قد طاف الإسكندر الأرضين وتملَّكها، ثم جُعل منها فى أربعة أذرع.

وقال آخر: كان الإسكندر غالبًا طوال عمره فصار مغلوبًا وآكلًا فصار مأكولًا.

* * *

(الحنين إلى الوطن)

* قال أبو عمرو بن العلاء: مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حنينه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى متقدم إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

* وقالوا: الكريم يحنُّ إلى جنابه، كما يحنُّ الأسد إلى غابه.

* وقالوا: يشتاق اللبيب إلى وطنه، كما يشتاق النجيب إلى عطنه.

والنجيب: الجمل الأصيل، والعطن: مبرك الإبل أى مكان بروكها.

* * *

(فضل الشعر)

* لما امتدح الشاعر نصيب عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أمر له بإبل وخيل وثياب ودنانير ودراهم، فقال له رجل: أتعطى لمثل هذا العبد الأسود هذا العطاء؟ فقال: إن كان أسودَ فإن شِعْرَه أبيض، وإن كان عبدًا فإنَّ ثناءه لحرٌّ، ولقد استحق بما قال أكثر مما أعطى وهل أعطيناه إلا ثيابًا تبلى ومالًا يفنى، ومطايًا تنضى، وأعطانا مديحًا يُروى وثناءً يبقى.

* ويروى أن بنتًا لسنان بن أبى حارثة رأت بنتًا لزهير بن أبى سلمى فى بعض المحافل، وإذا لها شارة وحال حسنة، فقالت: قد سرنى ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك، فقالت: إنها منكم (أى بسبب العطاء الذى منحه أبوك لأبى زهير بسبب مدحه له)، فقالت: بلى والله لك الفضل، أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يبقى!

* * *

(تعلم العربية)

* قال رجل للحسن البصرى: يا أبو سعيد، فقال الحسن: كَسْبُ الدراهم شغلك أن تقول: يا أبا سعيد، ثم قال: تعلَّموا العلم للأديان، والنحو للسان، والطب للأبدان.

* قال إسحاق بن خلف البهرانى فى الفصاحة:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تُعْظِمُــه إذا لم يلحنِ

فإذا طلبت من العلـــوم أجلَّها فأجلُّهـــا منهـــا مقيم الألْسُنِ

* * *

(وصف النساء)

* قال أعـرابى فى وصف نسـاء بغداد: دخلـت بغداد فرأيـت فيها عيـونًا دُعْجًا، وحواجب زجًّا، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.

* وذكر أعـرابى نساءً فقال: ظعائن فى سـوالفهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين أسبلن الذيول، وإن ركبن أثقلن الحمول.

* * *

(وصف الهوى)

* سُئل بـعض الحكمـاء عن الهـوى، فقال: هـو جليسٌ مـمتع، وأليفٌ مـؤنس، أحكامه جـائزة، ملك الأبدان وأرواحهـا، والقلوب وخواطـرها، والعيون ونـواظرها، والنفوس وآراءهـا، وأعطى زمام طاعتها، وقياد مملكتها، توارى عن الأبصار مَدْخله، وغمض عن القلوب مسلكه.

* ووصف أعرابى الهـوى فقال: هو داءٌ تـدوى به النفوس الصِّحَـاح، وتسيل منه الأرواح، وهو سقم مكتتم، وجَمْر مُضْطَرِم؛ فالقلوب له منضجة، والعيون ساكنة.

* * *

(العفاف)

* قال بعـض الحكماء فى العفاف: أغلق أبواب الشـبهات بأفعال الزهادة، وأفتح أبواب البر بمفاتيح العبادة، فإنَّ ذلك يُدْنيك من السعادة وتستوجب من الله الزيادة.

* وقال آخر: إنَّ اللذة مشوبة بالقبح؛ ففكروا فى انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح.

* وقال عبد الله بن إبراهيم بن عرفة المسمى (نفطويه):

ليس الظريف بكامل فى ظَرفِه حتى يكـونَ عن الحرام عفيفا
فإذا تعفَّفَ عن محـــارم رَبِّهِ فهنـاك يُدعى فى الأنام ظَريفا

***

(حفظ النظر)

قال المعلى الصوفى: شكوت إلى بعض الزهاد فسادًا أجده فى قلبى، فقال: هل نظرت إلى شىء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم، قال: احفظ عينيك؛ فإنك إن أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك.

***

(منزلة القلب)

قال بعض الحكماء: إن الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد، وملك الأعضاء؛ فجميع الجوارح تنقاد له، وكل الحواس تطيعه، وهو مدبرها ومصرفها، وقائدها وسائقها، وبإرادته تنبعثُ، وفى طاعته تتقلب؛ ووزيره العقل، وعاضده الفهم، ورائده العينان، وطليعته الأذنان وهما فى النقل سواء، لا يكتمانه أمرًا، ولا يطويان دونه سرًّا. يريد العين والأذن.

***

(ضرر السمع والبصر)

قيل لأفلاطون: أيهما أشد ضررًا بالقلب السمع أم البصر؟ فقال: هما للقلب كالجناحين للطائر، لا يستقلّ إلا بهما، ولا ينهض إلا بقوتهما، وربما قُص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة، قيل: فما بال الأعمى يعشق ولا يرى، والأصم يعشق ولا يسمع؟ قال: لذلك قلت: إن الطائر قد ينهض بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيرانًا، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى، وطيرانه أوحى.

(غض البصر)

قال رجل: رأيت جارية حسناء الساعد؛ فقلت: يا جارية، ما أحسن ساعدك! فقالت: أجل، لكنه لم تختص به، فغضّ بصر جسمك عما ليس لك؛ لينفتح بصرُ عقلك فترى ما لك.

* * *

(الرأى والهوى)

* قال بعض الفلاسفة اليونانيين: فضل ما بين الرأى والهوى أنَّ الهوى يخصُّ والرأى يعمّ، وأن الهوى فى حيز العاجل، والرأى فى حيز الآجل، والرأى يبقى على طول الزمان، والهوى سريع الدثور والاضمحلال، والهوى فى حيز الحس، والرأى فى حيز العقل.

* وقال بعض الحكماء: من انقاد لهواه عرضته الشهوات.

* وقال آخر: من جرى مع هواه طَلْقا، جعل عليه للذل طرقًا.

* * *

(معاتبة الصديق)

* قالت الحكماء: مما يجب للصديق على الصديق الإغضاء عن زلاته، والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبته بلا إكثار فإن كثرة العتاب مدرجة للقطيعة.

* قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لا تقطع أخاك عن ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

* قال بشار بن برد:

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

* وقالوا: معاتبة الأخ خير من فقده.

* قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ودّ ... ويبقى الود ما بقى العتاب

* وقال أحمد بن أبان:

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ ... وكنت أجازيه فأين التفاضل

ولكن أداويه فإن صح سرنى ... وإن هو أعيا كان فيه تحامل

* وقال عبد الله بن معاوية:

ولست ببادى صاحبى بقطيعة ... ولست بمفش سره حين يغضب

عليك بإخوان الثقاة فإنهم ... قليل فصلهم دون من كنت تصحب

وما الخدن إلا من صفا لك ودّه ... ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

* * *

(محاسدة الأقارب)

* كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى، مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

* قال يحيى بن سعيد: من أراد أن يبين عمله ويظهر علمه فليجلس فى غير مجلس رهطه.

* قال الشاعر:

مهلًا بنى عمنا مهلًا موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم أنا لا نحبكم ... ولا نلومكم إن لم تحبونا

* وقال آخر:

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـــه
فكل قرين بالمقـــــارن يقتـدى

* وقال آخر:

اصحـــب ذوى الفضـــل وأهل الدين
فالمـــرء منســـــوب إلى القـــرين

* * *

(الساعى بين الناس بالنميمة)

قال الشاعر:

لعمرك ما سب الأمير عدوه ولكنما سب الأمير المبلغ

* * *

(الغيبة)

* قال الرسول ﷺ: «إذا قلت فى الرجل ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته».

* اغتاب رجل رجلًا عند قتيبة بن مسلم فقال له: أمسك عليك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام.

* وعاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها، أما سمعت قول الشاعر:

لا تهتكن من مساوئ الناس ما ستروا
فيهتـــك الله سترًا من مساويكـــا
واذكر محـــاسن مـــا فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحـــــدًا منهم بمـــا فيكا

* وقيل لعمرو بن عُبيد: لقد وقع فيك أيوب السختيانى حتى رحمناك، قال: إياه فارحموا.

* قال ابن عباس: أذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تُذكر به، ودع منه ما تحب أن يدع منك.

* * *

(مداراة أهل الشر)

قال النبى عليه الصلاة والسلام: «شر الناس من اتقاه الناس لشره».

* * *

(الصديق السوء)

* يقول العتبى فى الصديق السوء:

لى صديق يرى حقوقى عليه ... نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولًا إليه ... ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير ... واشتهى أن يزيد فى الأرض أرضا

* وقال صالح بن عبد القدوس:

تجنب صديق السوء واصرم حباله ... وإن لم تجد عنه محيصًا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السماوات جنة ... ولكنها محفوفة بالمكاره

* * *

(ذم الزمان)

* قال أبو جعفر الشيبانى: أتانا يومًا أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال: ما أنتم تتذاكرون؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلا إنما الزمان وعاء وما أُلقى فيه

من خير أو شر كان على حاله ثم أنشأ يقول:

أرى حللًا تصان على أناس ... وأخلاقًا تداس فما تصـــان

يقولون الزمـــــان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

* وقال حبيب الطائى:

لم أبك فى زمن لم أرض خلته ... إلا بكيت عليـــه حين ينصرم

* * *

(فساد الإخوان)

* قال أبو الدَّرداء: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فصاروا شوكًا لا ورق فيه.

* قيل لعروة بن الزبير: ألا تنتقل إلى المدينة، قال: ما بقى بالمدينة إلا حاسد على نعمة أو شامت بمصيبة.

* فى حكمة هندية يقال: إن الرجل السوء لا يتغير عن طبعه كما أن الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرًّا.

* يقول عبد الله بن معاوية بن جعفر:

وأنت أخى مـا لم تكن لى حاجـة ... فإن عرضـت أيقنت أن لا أخـا ليا

فلا زاد مـــا بينى وبينك بعـــدما ... بلوتك فى الحاجـــات إلا تماديا

كلانا غنى عن أخيـــــه حيـــاته ... ونحن إذا متنـــا أشـــد تفانيـــا

وعين الرضـــا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدى المساويا

* * *

(التواضع)

* قال النبى ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله».

* قالت الحكماء: كل نعمة يُحسد عليها إلا التواضع.

* أصبح النجاشى يومًا جالسًا على الأرض والتاج عليه فأعظمت بطارقته ذلك

وسألوه عن السبب الذى أوجبه فقال: وجدت فيما أنزل الله على المسيح: إذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع أتممتها عليه، وأنه وُلد لى هذه الليلة مولود فتواضعت شكرًا لله.

* * *

(الرفق والأناة)

* قال النبى ﷺ: «من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة».

* قالت الحكماء: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى الماء على لينه يقطع الحجر على شدته.

* قال النابغة فى الرفق:

الرفقُ يمنٌ والأناةُ سعـــادةٌ فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

* قالوا: العَجَل بريد الزلل.

* قال القطامى التغلبى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

* * *

(ضمائر الناس)

* قال ذو الأصبع فى معرفة ضمائر الناس:

لا أسأل الناس عمـا فى ضمائرهم ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

* * *

(الصديق)

قالوا: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا ولعدوّ صديقه عدوًّا.

* * *

(فضل الأدب)

* أوصى بعض الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجوهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار لغير رزية، فالبسوه حلة، وتزينوه خلة، يؤنسكم فى الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

* قال شبيب بن شبَّه: اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل ودليل على المروءة وصاحب فى الغربة ومؤنس فى الوحشة، وصلة فى المجلس.

* قال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالًا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالًا.

* قال بعض الحكماء: اعلم أن جاهًا بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وجاهًا بالأدب غير زائل عنك.

* قال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فإن الكرامة تزول بزوالهما، ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

* قال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق ولا خير فى قول إلا بفعل، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى فقه إلا بورع، ولا فى صدق إلا بنية.

* قال بزرجمهر: ما ورّث الآباء الأبناء خيرًا من الأدب، لأن بالأدب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه.

* قال الفضيل بن عياض: رأس الأدب معرفة الرجل قدره.

* * *

(صفات خلقية)

قالت الحكماء: إذا كان الرجل ظاهر الأثواب كثير الآداب حسن المذهب، تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده.

قال الشاعر:

رأيت صـــلاح المـرء يصلح أهله ويفسدهم رَبُّ الفســـاد إذا فســـد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحـــــه ويحفظ بعد الموت فى الأهل والولد

* * *

(حسن الصحبة فى السير)

قال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون يومًا من الأيام فى البستان فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس، فقال المأمون: لا تفعل ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتنى، فقلت: يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيلك حر النار لفعلت فكيف الشمس، فقال: ليس هذا من كرم الصحبة، ومشى ساترًا لى من الشمس كما سترته.

* * *

(فى تأديب الولد)

* قالت الحكماء: من أدّب ولده صغيرًا سُرَّ به كبيرًا.

* وقالوا: أطبع الطين ما كان رطبًا، وأغمز العود ما كان لدنًا.

* وقالوا: من أدب ولده غم حاسده.

* وقال ابن عباس: من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب (والمقصود فى الجلوس فى الصغر حيث يكره: أى يجلس فى مجالس العلم والأدب ويلزم نفسه بها وإن كانت عليه شاقة) قال الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئًا فمطلبها كهلًا عليـــه شديد

* * *

(صفة الإمام العادل)

كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز يصف الإمام العادل:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام قوام كل مائل، وقصد كل حائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالداعى الشفيق على إبله، الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى، ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقرّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلًا تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى، وخازن المساكين، يربى صغيرهم ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

***

(هيبة الإمام وتواضعه)

* قال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك.

* وقال عبد الملك بن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن

قدرة، وأنصف عن قوة.

* * *

(موعظة)

* أرسل أبو جعفر إلى سفيان الثورى، فلما دخل عليه قال: عظنى أبا عبد الله، قال: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت، فما وجد له المنصور جوابًا.

* دخل سالم مولى عمر بن عبد العزيز على عامل للخليفة فقال له: يا أبا النَّضر إنّا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدًّا من إنفاذها فما ترى؟ فقال له أبو النضر: قد أتاك كتاب من الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله.

* دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك، فقال: هاتهن، فقال: لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلًا إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، واعلم أن للأمور بغتات فكن على حذر.

* * *

(كتمان السر)

* قال عمر بن العاص: ما استودعت رجلًا سرًّا فأفشاه فلمته لأنى كنت أضيق منه حين استودعته منه حتى أفشاه.

* قالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك.

* قال الوليد بن عتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسرَّ إلىَّ حديثًا أفلا أحدثك به، قال: يا بُنى أنه من كتم سره كان الخيال له فلا تكن مملوكًا بعد أن كنت مالكًا.

* * *

(أشعب الطماع)

* هو أشعب بن جُبير، مولى عبد الله بن الزبير، وكان أحلى الناس، قال الزبير بن أبى بكر: كان أهل المدينة يقولون: تغيَّر كل شىء إلا ملح أشعب، وخبز أبى الغيث، ومشية برّة؛ وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة، وبرّة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية، وأشعب يضرب به المثل فى الطمع، وكان أشعب قد نشأ فى حجر عائشة بنت عثمان رحمها الله! مع أبى الزناد (من كبار المحدثين) قال أشعب: فلم يزل أبو الزناد يعلو وأنحط حتى بلغنا الغاية.

* قال أشعب: أسلمتنى أمى إلى بزَّاز، فسألتنى بعد سنة، أين بلغت؟ فقلت: فى نصف العمل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النَّشر وبقى الطى، قالت: أنت لا تفلح.

* وسألته صديقة له خاتمًا، فقالت أذكرك به، قال: أذكرى أنك سألتنى ومنعتك.

* وقيل له: كم كان أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر؟ قال: ثلثمائة عشر درهمًا!

ثم تنسك فى آخر عمره، وغزا ومات على خير، رحمه الله تعالى.

* قيل لأشعب: أرأيت أطمع منك؟ قال: نعم، كلبة آل فلان، رأت رجلين يمضغان علكًا، فتتبعتهما فرسخين تظن أنهما يأكلان شيئًا.

* أهدى رجلٌ من ولد عامر بن لؤى إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعب حاضر، فقال: كُلْ يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف تراها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عُمِلت قبل أن يُوحى ربُّك إلى النَّحل! أى ليس فيها حلاوة.

* * *

(الزهد)

* قال مؤرق العجلى: لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها، فقيل لمؤرق: ما هى؟ قال: ترك ما لا يعنينى.

* قال أبو حازم الأعرج: إن عُوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا فَقْد ما زُوِىَ عنا.

* قال ابن ضُبارة: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة أهون من الصبر على عذاب الله.

* قال بعض النُّسَّاك: كفى موعظة أنك لا تموت إلا بحياة ولا تحيا إلا بموت.

* دخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك بيت الله الحرام فقال له هشام: سلنى حاجتك؟ قال: أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله.

* وقال الحسن: يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا، يا ابن آدم، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه، الثواء ههنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون المعاينة.

* باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضًا بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرًا، قال: أنا أجعل هذا المال ذخرًا عند الله، وأجعل الله ذخرًا لولدى. وقسم المال.

* * *

(أضحكنى وأبكانى)

قال أبو الدرداء: أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث: أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يُغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط ربه أم راض، وأبكانى هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفى بين يدى الله ولا يُدْرى أيؤمر بى إلى الجنة أم إلى النار.

* * *

(شيب اللحية)

* رأى إياس بن قتادة العبشمى شيبة لحيته فقال: أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته، أعوذ من فجاءات الأمور وبغتات الحوادث، يا بنى سعد، إنى قد وهبت لكم

شبابى فهبوا لى شيبتى، ولزم بيته، فقال له أهله: إنك تموت هزلًا، فقال: لأن أموت مؤمنًا مهزولًا أحب إلىَّ من أن أموت منافقًا سمينًا.

* * *

(عمل يحبه الله)

قال رجل لرسول الله ﷺ: دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس، قال:«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس».

* * *

(موعظة على حجر)

قال أبو الحسن: وُجد فى حجر مكتوب: ابن آدم لو أنك رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ما ترجو من أملك، ولرغبت فى الزيادة فى عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك وقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك بعائد ولا فى عملك بزائد.

* * *

(موعظة عيسى ابن مريم)

قال عيسى ابن مريم صلوات الله على نبينا وعليه: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل.

* * *

(الدنيا)

* قال عيسى ابن مريم: أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا قائلًا: من خدمنى فأخدميه ومن خدمك فاستخدميه.

* وقال: من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعْصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها.

* * *

(كيف أصبحت)

كان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

* * *

(الكذب)

* قال بعض القريشيين: أمران لا يسلمان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.

* وقال: من خاف الكذب أقل المواعيد.

* * *

(الصاحب)

قال بعض الحكماء: صاحبك من ينسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

* * *

(عَلاَم الهم؟)

مر إبراهيم بن أدهم على رجل وجهه ينطق بالهم والحزن.

فقال إبراهيم: إنى سأسألك عن ثلاثة فأجبنى! فقال الرجل: نعم.

فقال إبراهيم: أيجرى فى هذا الكون شيء لا يريده الله؟ فقال الرجل: لا.

فقال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ فقال الرجل: لا.

فقال إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله؟ فقال الرجل: لا.

فقال إبراهيم: فعلام الهَمُّ؟

***

(الناس ثلاثة)

قال أيوب بن القرية: الناس ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر.

فالعاقل، الدين شريعته، والحلم طبيعته، والرأى الحسن سجيته، إن سُئل أجاب، وإن نطق أصاب، وإن سمع وعى، وإن حدث روى.

وأما الأحمق فإن تكلم عجل، وإن حدث أخطأ، وإن استنزل عن رأيه نزل، وإن حمل على القبيح حمل.

وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك، وإن حدثته شانك، وإن وثقت به لم يرعك، وإن استكتم لم يكتم.

***

(معرفة الله)

قال أحد العارفين: من عرف الله تعالى صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله تعالى.

***

(كرم الدنيا وشرف الآخرة)

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: من آتاه الله منكم مالًا فليصل به القرابة، وليُحسن فيه الضيافة، وليفكَّ فيه العانى والأسير وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين، وليصبر فيه على النائبة، فإنه بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة.

***

(ثلاثة حق)

قال ميمون بن مهران: ثلاثة حق المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر، والوالدان تبرهما مسلمين أو كافرين، والعهد تفى به لمن عاهدت مسلمًا أو كافرًا.

***

(أربع خصال)

لا يكمل للإنسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال: يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس، ويسمع شتم نفسه ويصبر، ويحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ويثق بمواعيد الله تعالى.

***

(معالجة الصديق)

قال بعض الحكماء: إذا رأيت من أخيك عيبًا، فإن كتمته عنه فقد خنته، وإذا قلته لغيره فقد اغتبته، وإن واجهته به أوحشته، فقيل: كيف نصنع؟ قال: تكنّى عنه وتعرّض به وتجعله فى جملة الحديث.

(خير المال)

خير المال ما أُخذ من الحلال وصُرف فى النوال، وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام.

***

(العلم)

العلم دواء القلوب العليلة، وشحذ للأذهان الكليلة، ونور فى الظلمة، وأنس فى الوحشة، وصاحب فى الوحدة، وشرف للوضيع، وعز للذليل، من تحلى بغيره فهو معطّل، ومن تعطّل منه فهو مقفل.

***

(الكلمة الطيبة)

قال حكيم: الكلمة الطيبة تستطيع أن تنال أكثر مما ترجو وتملك أعز شىء عند إخوانك وهى لا تكلفك جهدًا ولا مشقة وتستطيع أن تقولها فى أى وقت كان.

***

(نصيحة)

قال بعضهم: طلبت الراحة لنفسى فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها، وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أكبر من قرين السوء، وغالبت الأقران فلم أر قرينًا أغلب للرجل من المرأة السوء، ونظرت إلى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئًا أذل له ولا أكسر من الفاقة.

***

(احذر)

احذر الحقود إذا تسلط، والجاهل إذا قضى، واللئيم إذا حكم، والجائع إذا يئس.

***

(يسهر الليل وينام النهار)

قال محمد بن عبد العزيز النسفى:

ينام إذا ما استيقظ الناس بالضحى فإن جنّ ليل فهو يقظان حارس

وذاك كمثل الكلب يسهر ليلة فإن لاح صبح فهو وسنان ناعس

***

(أى الرجال أفضل)

قيل لحكيم: أى الرجال أفضل؟ قال: الذى إذا حاورته وجدته حكيمًا، وإذا غضب كان حليمًا، وإذا ظفر كان كريمًا، وإذا استمنح منح جسيمًا، وإذا وعد أوفى وإن كان الوعد عظيمًا، وإذا أُشكى إليه كان رحيمًا.

***

(أثر المعصية)

قيل: إن أثر المعصية هو: قلة التوفيق، وفساد الرأى، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، والوحشة بين العبد وربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة فى الرزق والعمر، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال، كل هذا يتولد من المعصية.

***

(طلب الآخرة)

من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما، ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما.

***

(الصالح والفاسد)

قيل: يبقى الصالح من الرجال صالحًا حتى يصاحب فاسدًا، فإذا صاحبه فسد، مثل مياه الأنهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر فإذا خالطته ملحت وأفسدها.

***

(أربعة تؤدى إلى أربعة)

الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

***

(مجالسة العلماء)

قال الشعبى رحمه الله: جالسوا العلماء فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتهم علموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم.

***

(الحياء)

قيل: إن الحياء حلة جمال وحلية كمال، يحترم فى عيون الناس صاحبه، ويزداد قدره، ويعظم جانبه، وإذا رأى ما يكره غضّ بصره عنه، وكلما رأى خيرًا قبله وتلقاه، أو أبصر شرًّا تحاماه، يمتنع عن البغى والعدوان، ويحذر الفسوق والعصيان، يخاطب الناس كأنه منهم فى خجل، ويتجنب محارم الله عز وجل، فمن لبس ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء، ومالت إليه القلوب، ونال كل أمر محبوب، ومن قل حياؤه قلت أحباؤه.

***

(الربُّ لا يعذرك)

خطب الحجاج الثقفى يومًا فأطال، فقال له رجل: الصَّلاة! فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك! فأمر الحجاج بحبسه؛ فأتاه أهل الرجل، وزعموا أنَّه مجنون، وسألوه أن يُخلِّى سبيله، فقال الحجاج: إن أقرَّ بالجنون خليته، فقيل للرجل فى ذلك، فقال: معاذ الله! لا أزعُمُ أن الله ابتلانى، وقد عافانى! فبلغ ذلك الحجاج، فعفا عنه لصدقه وشجاعته فى الحق.

***

(الحب القاتل)

حكى بعض الثقات قال: اجتزت فى بعض أسفارى حى بنى عذرة، فنزلت فى بعض بيوته، فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلة الكمال، فأعجبنى حسنها وكلامها، فخرجت فى بعض الأيام أدور، وإذا أنا بشاب حسن الوجه، عليه أثر الوجد أضعف من الهلال، وأنحل من الخلال، وهو يوقد نارًا تحت قدر، ويردد أبياتًا ودموعه تجرى على خديه فما حفظت منه إلا قوله:

فلا عنك لى صبر ولا فيك حيلة ولا منك لى بد ولا عنك مهرب
ولى ألف باب قد عرفت طريقها ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
فلو كان لى قلبان عشت بواحد وأفردت قلبًا فى هواك يعذب

فسألت عن الشاب وشأنه، فقيل لى: يهوى الجارية التى أنت نازل بيت أبيها، وهى محتجبة عنه منذ أعوام، قال: فرجعت إلى البيت وذكرتُ لها ما رأيت، فقالت: ذاك ابن عمى، فقلت لها: يا هذه إن للضيف حرمة، فنشدتك بالله إلا متعتيه بالنظر إليك فى يومك هذا، فقالت: صلاحه فى أن لا يرانى، قال: فحسبت أن امتناعها فتنة منها، فمازلت أقسم عليها حتى أظهرت القبول وهى متكرهة، فلما قبلت ذلك منى، قلت: أنجزى الآن وعدك فداك أبى وأمى، فقالت: تقدمنى فإنى ناهضة فى أثرك، فأسرعت نحو الغلام وقلت: أبشر بحضور من تريد فإنها مقبلة نحوك الآن، فبينما أنا أتكلم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجر أذيالها، وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتى ستر الغبار شخصها، فقلت للشاب: ها هى قد أقبلت، فلما نظر إلى الغبار صعق وخرَّ على النار لوجهه، فما أقعدته إلا وقد أخذت النار من صدره ووجهه، فرجعت الجارية وهى تقول: من لا يطيق غبار نعالنا كيف يطيق مطالعة جمالنا.

***

(زواج فاشل)

عن الأصمعى قال: أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه كان فقيرًا مقلًّا، فخطب ابنته رجل مكثر من مال مقل من عقل، فشاور فيه رجلًا يقال له أبو زيد، فقال أبو زيد: لا تزوج ابنتك هذا الرجل ولا تزوجها إلا عاقلًا دينًا فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها، ثم شاور رجلًا آخر يقال له أبو العلاء، فقال له: زوجها فإنّ ماله لها وحمقه على نفسه فزوجه إياها، فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته فقال:

ألهفى إذ عصيت أبا يزيد ولهفى إذا أطعت أبا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح وكانت زلقة من غير ماء

(العلم والخلق الجميل)

سُئل بعض العلماء بم شرف الإنسان، أبتعاطى ألوان الطعام؟ قال: كلا، فالخنزير أكثر أكلًا منه، قيل: إذًا باللباس والزينة؟ قال: كلا فالطاووس أجمل زينة منه، قيل: فبالغلبة؟ قال: كلا فالأسد أشد قوة منه، قيل: أفبعظم الجثة؟ قال: كلا فالفيل أعظم منه، قيل: فماذا إذن؟ قال: بالعلم والخلق الجميل.

***

(الناس نوعان)

* قيل لعبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام وكان خطيبًا: تركت المدينة ولو رجعت إليها لقيت الناس، فقال: وأين الناس؟ إنما الناسُ رجلان: شامت بنكبة، أو حاسد لنعمة.

***

(الإخاء والصداقة)

قال بعض الحكماء: إنَّ الأخ إذا لم يكن صديقًا فهو نسيب الجسم، والصديق وإن لم يكن أخًا فهو نسيب الروح.

***

(غفران زلة الصديق)

يقول الشاعر فى غفران زلة الصديق:

وكنتُ إذا الصديق نبا بأمرى ... وأشرقنى على حنق بريقى

غفرت ذنوبه وكظمت غيظى ... مخافة أن أعيش بلا صديق

***

(خليل وعبد)

قال الشاعر:

إن كنت تطلب فضلا إذا ذكرتَ وَمَجْـــدا
فكن لعبــدك خِــلاً وكُنْ لِخِـلِّك عَبْـــدا

***

(الصداقة والكلفة)

قال محمد بن على بن الحسين البـاقر رضى الله عنهم لأصحابه: أيدخل أحدكم يده فـى كُمِّ صاحبه فيأخـذ حاجته من الدراهـم والدنانير؟ قالـوا: لا، قال: فلستم إذًا بإخوان.

***

(محاورة شعرية)

التقى الإمام الشافعى رحمه الله بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ذات يوم.
فقال الإمام الشافعى:

أحب الصالحين ولست منهم لعلى أن أنال بهم شفاعـــة
وأكره من تجــارته المعاصى وإن كنا سويًّا فى البضاعـــة

فرد الإمام أحمد رحمه الله قائلًا:

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة
وتكره من تجارته المعـاصى وقاك الله من شر البضاعـــة

***

(نصيحة)

بلغ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن ابنه عاصم يلبس خاتمًا بألف درهم فأرسل إليه خطابًا قال فيه: يا عاصم إذا وصلك خطابى هذا فبع الخاتم الذى فى أصبعك وتصدق به على ألف فقير، واشتر خاتمًا من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

***

(ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة)

قيل: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنىء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.

***

(مرض زياد)

مرض زياد فدخل عليه شريح القاضى، فلما خرج بعث خلفه مسروق بن الأخدع يسأله، كيف تركت الأمير؟ فقال شريح: تركته يأمر وينهى، فقال مسروق: إن شريحًا صاحب تعريض، فاسألوه عن حقيقة ما يقصده من قوله، فسألوه فأجابهم: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه.

***

(تارك الصلاة)

يصيب تارك الصلاة ستة فى الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة فى القبر، وثلاثة عند خروجه من القبر.

* أما الستة التى تصيبه فى الدنيا فهى:

١ ـ ينزع الله البركة من عمره.

٢ ـ ويمسح الله سيما الصالحين من وجهه.

٣ ـ ولا يرفع الله عز وجل له دعاء إلى السماء.

٤ ـ تمقته الخلائق فى دار الدنيا.

٥ ـ ليس له حظ فى دعاء الصالحين.

٦ ـ لا يؤجر على علم يتعلمه.

* أما الثلاثة التى تصيبه عند الموت فهى:

١ ـ يموت ذليلًا.

٢ ـ ويموت خائفًا.

٣ ـ ويموت عطشانًا ولو سقى مياه الدنيا ما روى من عطشه.

* أما الثلاثة التى تصيبه فى قبره فهى:

١ ـ يضيق الله عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

٢ ـ يوقد عليه فى قبره نارًا يتقلب على جمرها ليلًا ونهارًا.

٣ ـ يسلط الله عليه ثعبانًا صوته كالرعد يضربه على ضياع الصلوات الخمس.

* أما الثلاثة التى تصيبه يوم القيامة فهى:

١ ـ يسلط الله عليه من يسحبه إلى نار جهنم على حر وجهه.

٢ ـ ينظر الله إليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه.

٣ ـ يحاسبه الله حسابًا ما عليه مزيد سرمدًا طويلًا ثم إلى النار وبئس القرار.

* * *

(الحسنة بعشر أمثالها)

حضرت قافلة عثمان بن عفان بالبضائع إلى المدينة ومكونة من ألف بعير محملة بالتمر والزيت والزبيب فجاء التجار ليشتروا القافلة فقالوا: يا عثمان نزيدك الدرهم درهمين فقال عثمان رضى الله عنه: لقد بعتها بأكثر من هذا، فقالوا: نزيدك

الدرهم بخمسة؟ فقال: لقد زادنى غيركم الدرهم بعشرة، فقالوا: من زادك وليس فى المدينة تجار غيرنا؟ فقال: لقد بعتها لله ورسوله.

***

(أعرابى ومالك بن طوق)

قال الشيبانى: أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق فأقام بالرجبة حينًا لا يستطيع الوصول إلى الأمير، وكان الأعرابى من بنى أسد وكان صعلوكًا فى عباءة صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول على الأمير منعه الحجاب وشتمه العبيد وضربه الأشراط، فلما كان فى بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرجبة فعارضه الأعرابى فضربوه ومنعوه فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال: أيها الأمير إنى عائذ بالله من شر أشراطك (أى رجال الشرطة) فقال مالك: دعوا الأعرابى، هل من حاجة يا أعرابى؟ قال: نعم أصلح الله الأمير أن تصغى إلىَّ بسمعك وتنظر إلىّ بطرفك، وتقبل إلىّ بوجهك، قال: نعم فأنشأ الأعرابى يقول:

ببابك دون الناس أنزلت حاجتى ... وأقبلت أسعى حوله وأطوف

ويمنعنى الحجاب والستر مسبل ... وأنت بعيد والشروط صفوف

يدورون حولى فى الجلوس كأنهم ... ذئاب جياع بينهن خروف

فأما وقد أبصرت وجهك مقبلًا ... فأصدق عنه إننى لضعيف

وما لى من الدنيا سواك ولا لمن ... تركت ورائى مربع ومصيف

وقد علم الحيان قيس وخندف ... ومن هو فيها نازل وحليف

تخطيت أعناق الملوك ورحلتى ... إليك وقد حنت إليك صروف

فجئتك أبغى اليسر منك فمرّ بى ... ببابك من ضرب العبيد صنوف

فلا تجعلن لى نحو بابك عودة ... فقلبى من ضرب الشروط مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله: من يعطيه درهمًا بدرهمين وثوبًا بثوبين، فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى

تحير الأعرابى ثم قال له: هل بقيت لك حاجة يا أعرابى؟ قال: أما إليك فلا، قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها.

* * *

(بين أعرابى وهشام بن عبد الملك)

كانت الأعراب تأتى هشام بن عبد الملك تطلب عطاياه كل عام فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز، فقام أعرابى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فلأن نحبك خير من أن نبغضك، فأعطاه وأجزل له.

* * *

(فضل الكلام)

قال الذين فضلوا المنطق: إنما بعثت الأنبياء بالكلام ولم يبعثوا بالسكوت، وبالكلام وصف فضل الصمت ولم يوصف القول بالصمت، وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والبيان من الكلام هو الذى منّ الله به على عباده فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٣، ٤]، والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص لفاعله.

قال: وأعدل شىء قيل فى الصمت والمنطق قولهم: الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام.

* * *

(عمر بن الخطاب والمدح)

* وقال ابن عباس: قال لى عمر بن الخطاب: أنشدنى قول زهير:

قوم أبوهم سنـــان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجـدهم قعـدوا
جنٌ إذا فزعـوا إنسٌ إذا أمنـوا ... مرزءون بهاليل إذا احتشـدوا
محسدون على مـا كـان من نِعَمٍ ... لا ينزع الله منهم مـا له حسدوا

فقال له عمر: ما كان أحب إلىَّ لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله ﷺ.

* ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن هرم بن سنان، قال: صاحب زهير؟ قال: نعم، قال: أما أنه كان يقول فيكم فيحسن، قال: كذلك كُنَّا نعطيه فنجزل، قال: ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم.

* * *

(عمر بن الخطاب والحطيئة)

قال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب فى هجائه للزبرقان بن بدر أبياتًا يمدح فيها عمر ويستعطفه، فلما قرأها عمر عطف له وأمر بإطلاقه.

والأبيات هى:

مـاذا تقـول لأفراخ بذى مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمـة ... فاغفر عليـك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ... ألقى إليـه مقاليـد النُهى البشر
مـا آثروك بها إذ قلدوك لها ... لكن لأنفسهم كـانت بهـا الأثر

* * *

(عيادة مريض)

* دخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه فسأله عن علته فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان ومات فلان، فقال له عمر: إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

* قال ابن عباس: إذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشروه ليلقى ربه وهو

حسن الظن، ولقنوه الشهادة ولا تضجروه.

* * *

(وصية الإمام مالك)

قال رجل للإمام مالك بن أنس رحمه الله أوصنى، قال: إذا أهممت بأمر من طاعة الله، فلا تحبسه حتى تمضيه فإنك لا تأمن الأحداث، فإذا أهممت بغير ذلك فإن استطعت أن تؤخره لحظة فافعل لعل الله يحدث لك تركه، وطهر ثيابك ونقها من معاصى الله، وعليك بمعالى الأمور وكرائمها واتق رذائلها وسفاسفها، فإن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها، وأكثر تلاوة القرآن، ولا تُمَكِّن الناس من نفسك.

* * *

(أفضل الأعمال)

سُئل رسول الله ﷺ أى الناس أحب إليك؟ فقال: «أنفع الناس للناس».

وسُئل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: «إدخال السرور على المؤمن».

وسُئل: وما هو سرور المؤمن؟ فقال: «إشباع جوعته، وتنفيس كربته وقضاء دينه».

* * *

(ثلاث نعم)

رؤوس النعم ثلاثة:

أولها: نعمة الإسلام التى لا تتم النعم إلا بها.

ثانيها: نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها.

ثالثها: نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها.

(كرامة الإمام أحمد بن حنبل)

طرق فتى باب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال الإمام: من الطارق؟ قال: فتى يا إمام، فدخل الفتى الدار، وقال: يا إمام أمى أصابها شلل ولم ينفع معها دواء وقد أرسلتنى لك لتدعو لها بالشفاء، فقال الإمام: يا فتى ومن الذى أدراك أنى مجاب الدعوة ارجع إلى أمك وسلها لنا الدعاء، فبكى الفتى، و إذا بأم الإمام أحمد تنظر فتجد الفتى يبكى، فقالت له: يا فتى ما يبكيك؟ فقال لها: يا أم الإمام أحمد سألت الإمام أن يدعو الله لأمى فرفض، فقالت: ارجع إلى أمك فقد سمعت الإمام يدعو لها، فذهب الفتى إلى بيته وعندما طرق الباب قامت أمه ففتحت له الباب.

***

(عمر وزوجته)

وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ملك الروم بريدًا، فاشترت زوجة عمر أم كلثوم بنت على بن أبى طالب طيبًا بدينار وجعلته فى قارورتين وأهدته إلى امرأة ملك الروم، فرجع البريد بملء القارورتين من الجواهر، فدخل عمر عليها وقد سكبته فى حجرها، فقال: من أين لك هذا؟ فأخبرته بالقصة فقبض عليه وقال: هذا للمسلمين، فقالت: كيف وهو عوض عن هديتى، قال: بينى وبينك أبوك علىّ، فقال علىّ: لك منه بقيمة دينارك والباقى للمسلمين، لأن بريد المسلمين حمله.

***

(موعظة إبراهيم بن أدهم)

أتى رجل إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقال: يا أبا إسحاق، إنى مسرفٌ على نفسى فأعرض علىَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا.

فقال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصى الله تعالى فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل؟ وكل ما فى الأرض رزقه؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا، هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده.

قال: هذا أعظم فأين أسكن؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه.

قال: لا، هات الثالثة.

قال: وإذا أردت أن تعصيه وأن تأكل رزقه وتسكن بلاده فانظر موضعًا لا يراك فيه.

قال: يا إبراهيم ما هذا وهو يطلع على ما فى السرائر؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟

قال: لا، هات الرابعة.

قال: فإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله صالحًا.

قال: لا يقبل منى.

قال: يا هذا فأنت إذ لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: لا، هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: إنهم لا يدَعُونى ولا يقبلوا منى.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم حسبى، حسبى، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان لتوبته وفيًّا، فلزم العبادة واجتنب المعاصى حتى فارق الدنيا.

***

(حب الولد)

* أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر ما تقول فى الولد؟ قال: ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن له أرض ذليلة وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلًا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك، فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت علىّ وإنى لمملوء غضبًا على يزيد ابنى فسللته من قلبى، فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره البعثة.

* وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه فقال:

يلومـوننى فى سالـم وألومهـم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

* دخل عمرو بن العاص على معاوية بن أبى سفيان وبين يديه بنته عائشة فقال: من هذه؟ فقال: تفاحة القلب، فقال له: انبذها عنك فوالله أنهن ليلدن الأعداء، ويقربن البعداء ويورثن الضغائن، قال: لا تقل ذاك يا عمرو فوالله ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن، ورُبَّ ابن أخت قد نفع خاله.

* وقال المعلى الطائى:

لولا بنيـــات كزغب القطـا ... رددن من بعـض إلى بعـض

لكـــان لى مضطرب واسـع ... فى الأرض ذات الطول والعرض

وإنمـــا أولادنا بيننـــا ... أكبـادنا تمشى عـلى الأرض

***

(أدب الحديث والاستماع)

* قالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم والإصغاء للمتكلم.

* قال بعض الحكماء لابنه: يا بنى تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول، فاحذر أن تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس أنك إلى فعل ما لم تقل أقرب منك.

* * *

(المروءة)

* قال عليه السلام: لا دين إلا بمروءة.

* وقال عمر بن الخطاب المروءة مروءتان، مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف.

* وقدم وفد على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة فيكم؟ فقالوا: العفاف وإصلاح المعيشة.

* قال الأحنف: لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيئ الخلق.

* قال العتُبى عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالمًا، صادقًا، عاقلًا، ذا بيان، مستغنيًا عن الناس.

* * *

(فى رقة الأدب)

* قال أبو بكر بن أبى شيبة: قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر منى وأنا أسن منه.

* وقيل لعمر بن ذر: كيف برّ ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارًا قط إلا مشى خلفى

ولا ليلًا إلا مشى أمامى ولا رقى علىَّ وأنا تحته.

* ومن حديث عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يبجل أحدًا تبجيله لعمه العباس، وكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس نزلا إعظامًا له إذا كانا راكبين.

* * *

(الحلم)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

* شتم رجل أبا ذر فقال: يا هذ لا تُغْرق ودع للصلح موضعًا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

* مر المسيح عليه السلام بقوم قالوا له شرًّا فقال خيرًا فقيل له: إنهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيرًا، فقال: كل واحد ينفق مما عنده.

* قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم، قال: من قيس بن عاصم المنقرى، رأيته بفناء داره محتبيًا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أُتى برجل مكتوف ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حُبوته ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخى أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بنى فوارِ أخاك وحل أكتاف ابن عمك، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة.

* قيل للأحنف بن قيس: من أحلم أنت أم معاوية؟ فقال: تالله ما رأيت أجهل منكم إن معاوية يقدر فيحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس عليه أو أدانيه.

* قال على بن أبى طالب: من لانت كلمته وجبت محبته.

* وقال أيضًا: رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه.

* وقال كعب بن زهير فى الحلم:

إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا أصبت حليمًا أو أصابك جاهل

* * *

(السؤدد)

* قيل لقيس بن عاصم: بم سوّدك قومك فقال: بكف الأذى وبذل الندى ونصر المولى.

* قدم أوس بن حارثة وحاتم بن عبد الله الطائيان على النعمان بن المنذر فقال النعمان لإياس بن قبيصة الطائى: أيهما أفضل؟ قال: أبيت اللعن أيها الملك إنى من أحدهما ولكن سلهما عن أنفسهما فإنهما يخبرانك، فدخل عليه أوس فقال له: أنت أفضل أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن إن أدنى ولد حاتم أفضل منى ولو كنت أنا وولدى ومالى لحاتم لوهبنا فى غداة واحدة، ثم دخل عليه حاتم فقال له: أنت أفضل أم أوس فقال: أبيت اللعن إن أدنى ولد أوس أفضل منى، فقال النعمان: هذا والله السؤدد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الإبل.

* نظر رجل إلى معاوية بن أبى سفيان وهو صغير فقال: إنى أظن هذا الغلام سيسود قومه فسمعته أمه هند فقالت: ثكلتُه إن لم يسد غير قومه.

* دخل ضمرة بن أبى ضمرة على النعمان وكانت به دمامة شديد فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمُعَبدى خير من أن تراه فقال: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: صدقت وبحق سودك قومك.

* قال عبد الله بن معاوية:

لسنا وإن أحسابنا كرمت يومًا على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

* * *

(فضل العلم والأدب)

* قال مالك بن دينار: من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة.

* دخل عروة بن الزبير بستانًا لعبد الملك بن مروان فقال عروة: ما أحسن هذا البستان، فقال له عبد الملك: أنت والله أحسن منه هذا يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم.

* قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء فيكم؟ قالوا: كان والله مثل العافية لا يعرف فضلها حتى تفتقد.

* * *

(فضل العقل)

* قال الحسن البصرى: لسان العاقل وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قاله وإن كان عليه سكت، وقلب الأحمق من وراء لسانه فإذا أراد أن يقول قال.

* قال زياد: ليس العاقل الذى إذا وقع فى الأمر احتال له، ولكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه.

* * *

(فضل البلاغة)

* سمع خالد بن صفوان رجلًا يتكلم ويكثر فقال: اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

* وقال رجل للعتابى: ما البلاغة؟ فقال: كل من بلغك حاجته وأفهمك معناه بلا إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ.

* * *

(الحجاج والأسرى)

أُتى الحجاج بأسرى فأمر بقتلهم فقال له رجل منهم: لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيرًا فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد:٤] فهذا قول الله فى كتابه، وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق:

وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فقال الحجاج: ويحكم أعجزتم أن تخبرونى بما أخبرنى هذا المنافق، وأمسك عمن بقى.

***

(موعظة أعرابى)

* عن الأصمعى قال: دخل أعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له: عظنى يا أعرابى فقال: كفى بالقرآن واعظًا، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:١ ـ ٦] ثم قال: يا أمير المؤمنين هذا جزاء من يطفف فى الكيل والميزان فما ظنك بمن أخذ كله.

* ووعظ أعرابى أخًا له أفسد ماله فى الشراب فقال: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك ولا الشيب يزجرك، والساعات تحصى عليك، والأنفاس تُعَدّ منك، والمنايا تقاد إليك، أحب الأمور إليك أعودها بالمضرة عليك.

* قيل لأعرابى: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خلال فيه، لأنه متلف للمال، مذهب للعقل، مسقط للمروءة.

***

(منزلة على بن أبى طالب)

قال النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «يا على إن الله خصك بثلاثة أشياء: تزوجت فاطمة وهى سيدة نساء أهل الجنة، ورزقت الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة، وصاهرت محمدًا وهو سيد الأولين والآخرين ولا فخر».

***

(مدح أعرابى)

* مدح أعرابى رجلًا فقال: يصم أذنيه عن استماع الخنى، ويخرس لسانه عن التكلم به، فهو الماء الشريب والمصقع الخطيب.

* ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال: إن جهلًا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح وإنى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك وأنشد:

ما لى أرى أبوابهم مهجورة ... وكأنَّ بابك مجمع الأسواق
جابوك أم هابوك أم شاموا الندى ... بيديك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيتك للمكارم عاشقًا ... والمكرمات قليلة العشاق

* وأنشد أعرابى فى بنى المهلب:

قدمت على آل المهلب شاتيا ... قصيًّا بعيد الدار فى زمن المحل
فما زال بى ألطافهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلى

***

(من نوادر الأعراب)

* جىء بأعرابى إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، فقيل له: يقال هذا يوم القيامة، قال: هذا والله شر من يوم القيامة، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتى وسيئاتى وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى.

* سمع أعرابى أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستسقى: اللهم ربنا وإلهنا وسيدنا ومولانا فصلِّ على محمد نبينا، ومن أراد بنا سوءًا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريعًا مجللًا مستحفرًا هزجًا سحًّا سفوحًا طبقًا غدقًا مثعنجرًا صخبًا، فقال الأعرابى: يا خليفة نوح، الطوفان ورب الكعبة، دعنى حتى آوى إلى جبل يعصمنى من الماء.

* قال رجل من العمال لأعرابى: ما أحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة؟ فقال له: فأن عرفت أتجعل لى على نفسك مسألة قال: نعم، قال:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت، هات مسألتك، قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى، قال: فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك.

* * *

(نوادر الأعراب)

حضر أعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك فلما أتى بالفالوذج (نوع من الحلوى الفارسية) جعل الأعرابى يسرع فى الأكل منه فقال سليمان: أتدرى ما تأكل يا أعرابى، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إنى لأجد ريقًا هنيئًا ومزدردًا لينًا وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه، قال: فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابى فإنهم يذكرون أنه يزيد فى الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

* وحضر سفرة سليمان بن عبد الملك أعرابى فقال سليمان للأعرابى: أرى شعرة فى لقمتك يا أعرابى، فقال: وإنك لتراعينى مراعاة من يبصر الشعرة فى لقمتى والله لا واكلتك أبدًا، فقال سليمان: استرها يا أعرابى فإنها زلة ولا أعود إلى مثلها.

* غزا أعرابى مع النبى ﷺ فقيل له: ما رأيت مع رسول الله ﷺ فى غزاتك هذه، قال: وضع عنا رسول الله ﷺ نصف الصلاة وأرجو فى الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقى.

* قال الأصمعى سمع أعرابى جريرًا ينشد:

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلنى وكاد يقتلنى يومًا بنعمان

وكاد يقتلنى يومًا بذى خُشُب وكاد يقتلنى يومًا بسلمان

فقال الأعرابى هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات لا يموت هذا أبدًا.

* * *

(أشعب وأكل الحيتان)

بينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانًا إذ استأذن عليهم أشعب فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا وأذن له فقالوا: كيف رأيك فى الحيتان؟ فقال: والله إن لى عليها لحردًا شديدًا وحنقًا لأن أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان فقالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك، فجلس ومد يده إلى حوت صغير فيها ثم وضعه عند أذنه وقد نظر إلى القصعة التى فيها الحيتان الكبيرة فى زاوية المجلس فقال: أتدرون ما يقول لى هذا الحوت الصغير، قالوا: لا، قال: إنه يقول إنه لم يحضر موت أبى ولم يدركه لأن سنه تصغر عن ذلك وقال لى: عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت فهى أدركت أباك وأكلته.

* مرَّ طفيلى على قوم يتغذون فقال: السلام عليكم معشر اللئام، فقالوا: لا والله بل كرام فثنى رجله وجلس وقال: اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين.

* * *

(احتجاج المتطفلين)

* قال رجل لأبيه وكان يتطفل: يا أبة! أما تستحى من التطفيل؟ قال: وما أنكرت منه؟ فقد تطفَّل بنو إسرائيل فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [المائدة:١١٤].

* قيل لطفيلى مرة: ويلك تأكل حرامًا؟! قال: ما أكلت قط إلا حلالًا، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنى إذا دخلت دارًا لقوم قصدت باب النساء، فيقولون: هاهنا هاهنا، فقولهم: هاهنا هو دعوة، فما آكل إلَّا حلالًا.

* قيل لطفيلى مرة: كيف علمك بكتاب الله؟ قال: أنا من أعلم الناس به، فقيل له: ما معنى قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، فقال معناه: واسأل أهل القرية، قيل له: وما الدليل على ذلك؟ قال: كما تقول: أكلت سفرة فلان، وإنما تريد أكلت ما فيها.

* نقش طفيلىٌّ على خاتمه: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات:٩١].

* قال طُفيلىٌّ: خير البقاع ثلاثة: دكان الرَّوَّاس والشَّوَّاء والهَرَّاس.

* قيل لطفيلىٍّ: أتحب أبا بكر وعمر؟ فقال: ما ترك الطعام فى قلبى حُبًّا لأحد.

* قال طفيلىٌّ: إذا كنت على مائدة فلا تتكلمن فى حال أكلك، وإن كَلَّمك من لابُدَّ لك من جوابه، فلا تجبه إلا بقول: نعم، فإن الكلام يشغل عن الأكل؛ وقول نعم مُضغة.

* خرج طفيلىٌّ مع نفر فى سفر، فعزموا أن يُخرج كل واحد شيئًا للنفقة، فقال كل واحد: علىَّ كذا، فلما بلغوا إلى الطُّفيلى، قال لهم: علىَّ؛ وسكت، فقالوا له: إيش عليك؟ قال: لعنة الله، فضحكوا منه وأعفوه من النفقة، وحملوه طول سفره.

* خرج الرشيد يومًا فى ثياب العوام ومعه يحيى بن خالد وخالد الكاتب وإسحاق الموصلى وأبو نواس وعليهم ثياب العامة، فنزلوا زورق يُتّخذ لنقل المسافرين من أحد جانبى النهر إلى الجانب الآخر فنزل معهم عامىٌّ، فثقل على

الرشيد وهـمَّ بإخراجه وعقـوبته، فقال أبـو نواس: علىَّ إخـراجه من غير إساءة إليه؛ فقال أبـو نواس للجماعة: علىَّ مأكولكـم من اليوم وإلى يوم مثله؛ وقال يحيى: علىَّ مشمومكم من اليوم وإلى يوم مثله؛ وقال خالد: علىَّ بقلكم من اليوم وإلى يوم مثله؛ وقال إسحـاق: علىَّ أن أغنـيكم من الـيوم وإلى يـوم مثله؛ فـالتفت أبـو نواس إلى الرجل، فقال: ومـا الذى لنا عليك أنت؟ فقال: علـىَّ أن لا أفارقكم من اليوم إلى يوم مثله؛ فقال الرشيد: هذا ظريف لا يحسن إخراجه فصحبهم فى تفرّجهم بقية يومهم.

* صحب طفيلـى رجلًا فى سفر، فقال له الرجل: امض فـاشتر لنا لحمًا، قال: لا، والله ما أقـدر؛ فمضى هـو فاشترى؛ ثـم قال له: قم فـاطبخ، قال: لا أُحـسن؛ فطبخ الـرجل؛ ثم قـال له: قم فـاثرد؛ قـال: أنا والله كـسلان؛ فثرد الـرجل؛ ثم قـال له: قم فـاغرف؛ قال: أخـشى أن ينقلب على ثـيابى؛ فغرف الـرجل؛ فقال له: قم الآن فكل، قال الطفيلى: قد والله استحييت من كثرة خلافى عليك؛ وتقدم فأكل.

* جاء طفيلى يُـدعى بنان إلى وليمـة، فأُغلق الباب دونـه، فاكترى سُلَّمًا ووضعه على حائط الرجل، وتسوَّر، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا! أما تخاف الله؛ رأيت أهلى وبـناتى! فقال: يا شيخ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩]، فـضحك الرجل، وقال له: انزل فـكل، فقال له بُنان: يا هذا! لا تسىء بالمشايخ الظن، واستغفر الله مما كان.

* قيل لـنوح الطفيلـى: كيف تصنع إذا لم يتركـوك تدخل إلى عـرس؟ قال: أنوح على الباب حتى يتطيَّروا منى فيدعونى.

* دفعت امرأة إلى رجـل يقرأ عند القبور رغيفًا وقـالت له: اقرأ عند قبر ابنى، فقرأ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٨] فقالـت له: هكذا أيقرأ عنـد القبـور؟! فقـال لهـا: فـإيش أردت بـرغيف ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] ذاك بدرهم.

* قال بنـان الطفيلـى: حفظت القـرآن كله ثـم أنـسيتـه إلا حرفين ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف:٦٢].

(دعوة بُنان الطفيلى)

* قال رجل لبُنان الطُّفيلى: ادع لى، فرفع بُـنان يديه، وقال: مَنَّ الله عليك بصحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهـوة، ونقاء المعدة، وأمتعك بـضرس طحون، ومعدة هضوم، مع السعة والدعة والأمن والعافية، ثم قال: هذه دعوةٌ مغفول عنها.

* * *

(حيل الطفيليين)

* عُوتب طفيلى على التطفيل فقال: والله ما بُنيت المنازل إلا لِتُدخَل، ولا نصبت الموائد إلا لتؤكل، وإنى لأجمع فيهـا خلالًا؛ أدخل مُجالسًا، وأقعد مؤانسًا، وانبسط وإن كان ربُّ الدار عابسًا؛ ولا أتكلف مَغْرَمًا، ولا أنفق درهمًا، ولا أُتعب خادمًا.

* وقـال ابن الـدراج الطـفيلى لأصحـابه: لا يهـولنـكم إغلاق البـاب، ولا شدة الحِجاب، وسـوء الجواب، وعبوس البواب، ولا تحذير الغراب، ولا منابذة الألقاب؛ فإنَّ ذلك صائر بكم إلى محمود النوال، ومُغنٍ لكم عن ذُلِّ السؤال، واحتملوا اللكزة الموهنة، واللطمة المزمنة، فى جنب الظفر بالبغية، ولدرك الأُمْنية.

* من الطفيلـيين أشعب الطماع، قـيل له: ما بلغ من طمعك؟ فقـال: لم أنظر إلى اثنين يتساران إلا ظننتهما يأمران بشىء لى.

* ووقـف أشعب على رجل يصنع طبقًـا فقال: اسألك بـالله ألا ما زدت فى سعته طوقًا أو طوقين فقال له: وما معناك فى ذلك؟ قال: لعل أن يهدى إلىَّ فيه شىء.

* دخل طفـيلى على قوم يأكلون فقـال: ما تأكلون؟ فقالـوا من بغضه: نأكل سمًّا، فأدخل يده وقال: الحياة حرام من بعدكم.

* مرَّ طفيلى على قوم يـأكلون وقد أغلقوا الباب دونه فتسوَّر عليهم الجدار وقال: منعتمونى من الأرض فجئتكم من السماء.

* * *

(أمثال للعرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى مما هو أجل منها وأعلى)

* قال علىّ رضى الله عنه: (القتل أنفى للقتل)، وفى القرآن ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩].

* العرب تقول لمن يعيّر غيره بما هو فيه: «عَيّر بُجَيْر بُجَرَه ونسى بُجَيْرٌ خبره»، وفى القرآن ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس:٨٧].

* وفى معاودة العقوبة عند معاودة الذنب «إنْ عادت العقرب عُدنا لها»، وفى القرآن ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]، ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ [الأنفال:١٩].

* وفى ذوق الجانى وبال أمره يقول المثل: «يداك أوكتا وفوك نفخ»، وفى القرآن: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج:١٠].

* وفى قرب الغد من اليوم قول الشاعر:

* وإن غدًا لناظره قريب *

وفى القرآن ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١].

* وفى ظهور الأمر يقول المثل: «قد وضح الأمر لذى عينين»، وفى القرآن ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١].

* وفى فوت الأمر: «سبق السيف العَذَل»، وفى القرآن ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

* وفى الوصول إلى المراد ببذل الرغائب:

* ومن ينكح الحسناء لم يغلها المهر *

فى القرآن ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

* وفى منع الرجل مراده يقال فى المثل: «وقد حيل بين العير والنزوات»، وفى القرآن ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

* * *

(أبو الأسود الدؤلى يتخاصم مع امرأته)

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامرأته إلى زياد فى ابنهما، وأراد أبو الأسود أخذه منها فأبت، وقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابنى، كان بطنى وعاؤه، وحجرى فناؤه، وثديى سقاؤه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، فلما استوفى فصاله، وكملت خصاله، وأستوكعت أوصاله وأمَّلْتُ نفعه، ورجوتُ عطفه، أراد أن يأخذه منى كرهًا، فآدِنى أيها الأمير؛ فقد أراد قهرى، وحاول قسرى.

فقال أبو الأسود: هذا ابنى حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه فى أدبه، وأنظر فى تقويم أوده، وأمنحه علمى، وألهمه حلمى، حتى يكمل عقله، ويستكمل فتله.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله؛ حمله خِفًّا، وحملته ثقلًا، ووضعه شهوة ووضعته كرهًا.

فقال زياد: اردد على المرأة ولدها؛ فهى أحقّ به منك، ودعنى من سجعك.

***

(دعوة أعرابية)

* قال الأصمعى: سمعت أعرابية تقول: اللهم ارزقنى عمل الخائفين، وخوف العاملين، حتى أتنعم بترك التنعم، رجاء لما وعدت، وخوفًا مما أوعدت.

* وقال آخر: اللهم من أراد بنا سوءًا فأحطه به كإحاطة القلائد، بأعناق الولائد، وأرسخه على هامته، كرسوخ السجيل، على هام أصحاب الفيل.

***

(فضل العمامة)

ذكرت العمامة عند أبى الأسود الدؤلى فقال: جُنَّةٌ فى الحرب، ودثارٌ فى البرد، وكنَّة فى الحرِّ، ووقار فى الندى، وشرف فى الأحدوثة، وزيادة فى القامة، وهى بعدُ عادة من عادات العرب.

* * *

(من كلام الأطباء والفلاسفة)

* العاقل يترك ما يحب ليستغنى عن العلاج بما يكره.

* قال جالينوس: المرض هَرَمٌ عارض، والهرم مرضٌ طبيعى.

* وله أيضًا: مجالسة الثقيل حُمَّى الروح.

* قال بختيشوع: أكل القليل مما يضرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع.

* يقول ثابت بن قرة: ليس شىء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء وطباخ حاذق؛ لأنه يُكثر من الطعام فيسقم، ومن الجماع فَيَهْرم.

* وقال قائل: ليس لثلاث حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يخامرها حسد، ومرض يمازجه هرم.

* وقيل: ثلاثة يجب مداراتهم: السلطان، والمريض، والمرأة.

* وقيل: ثلاثة يُعذرون على سوء الخلق: المريض، والمسافر، والصائم.

* قيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة: ألا تتعالج؟ فقال: إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وإذا قدّر الرب بطل حذر المربوب، ونعم الدواء الأمل، وبئس الداء الأجل.

* قال بزرجمهر: إن كان شىء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شىء فوق الموت فالمرض، وإن كان شىء مثل الحياة فالغنى، وإن كان شىء مثل الموت فالفقر.

* * *

(العجلة أُمُّ الندامة)

قال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإنَّ العرب كانت تَكْنيها أمّ الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يُقدّر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذمّ قبل أن يدرك.

* * *

(قضاء الله وعدله)

قال الأصمعى: سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه: والله لو صُوّر الجهل لأظلم معه النهار، ولو صُوّر العقل لأضاء معه الليل، وإنك من أفصلهما لمعدم؛ فخفِ الله، واعلم أنَّ من ورائك حكَمًا لا يحتاج المدَّعى عنده إلى إحضار البينة.

* * *

(من الأجوبة المفحمة)

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى: كان بلال بن أبى بردة جلدًا حين ابتُلى، احضره يوسف بن عمر فى قيوده لبعض الأمر، وهم بالحيرة؛ فقام خالد ابن صفوان فقال ليوسف: أيها الأمير، إنّ عدوّ الله بلالًا ضربنى وحبسنى ولم أفارق جماعة؛ ولا خلعت يدًا من طاعة، ثم التفت إلى بلال فقال: الحمد لله الذى أزال سلطانك، وهدَّ أركانك، وأزال جمالك، وغيرَّ حالك، فوالله لقد كنت شديد الحجاب، مستخفًا بالشريف، مظهرًا للعصبية، فقال بلال: يا خالد؛ إنما استطلت علىَّ بثلاث معك هنّ علىَّ: الأمير مُقبل عليك، وهو عنى معرض، وأنت مُطلق، وأنا مأسور، وأنت فى طينتك (أى أرضك)، وأنا غريب! فأفحمه، وكان سبب ضرب بلال خالدًا فى ولايته أن بلالًا مرّ بخالد فى موكب عظيم، فقال خالد:

* سحابة صيف عن قليل تقشع *

فسمعه بلال، فقال: والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب برد، فأمر بضربه وحبسه.

***

(الدنيا وأهلها)

قال المسيح عليه السلام: الدنيا لإبليس مزرعة، وأهلها له حُرَّاث.

وقال إبليس لعنه الله: العجب لبنى آدم يحبُّون الله ويَعْصونه، ويُبغضوننى ويُطيعوننى.

***

(بين أعرابى وبعض الولاة)

دخل أعرابى على بعض الولاة فقال: أصلح الله الأمير، اجعلنى زمامًا من أزمتك، فإنى مِسْعَر حَرْب، وركَّاب نُجُب، شديد على الأعداء، ليِّنٌ على الأصدقاء، منطوى الحصيلة، قليل الثَّميلة، قليل غرار النوم، قد غذتنى الحروب أفاويقها، وحلبتُ الدهر أشطره، فلا يمنعك منى الدَّمامة، فإنَّ تحتها لشهامة.

***

(أربع كلمات طيبات)

خرج الزهرى يومًا من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كاليوم، ولا سمعت كأربع كلمات تكلَّم بهن رجل عند هشام؛ دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين؛ احفظ عنى أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك، واستقامة رعيتك، قال: هاتهنَّ؟ قال: لا تَعِدن عِدَةً لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنَّك المرتقى وإن كان سهلًا إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتقِ العواقب، وأن للأمور بغتات فكن على حذر. فقال عيسى بن دأب: فحدَّثت بهذا الحديث الهادى وفى

يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها، وقال: ويحك أعد علىَّ! فقلت: يا أمير المؤمنين، أسغْ لقمتك، فقال: حديثك أحبُّ إلىَّ.

* * *

(من جميل المديح)

* قال رجل لخالد القسرى: والله إنك لتبذل ما جلّ، وتجبر ما انفلّ، وتكثر ما قلّ؛ ففضلك بديع، ورأيك جميع، تحفظ ما شذَّ وتؤلف ما نَدَّ.

* وسُئل أعرابى عن قومه، فقال: يقتلون الفقر، عند شدة القرّ، وأرواح الشتاء، وهبوب الجربياء، بأسنمة الجزور، ومُترعات القدور، تهش وجوهُهُم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعان السيوف.

* * *

(وصف عصا)

لقى الحجاج أعرابيًّا فقال: من أين أقبلت؟ قال: من البادية، قال: ما بيدك؟ قال: عصا أركزها لصلاتى، وأُعِدُّها لِعُداتى، وأسوقُ بها دابَّتى، وأقوى بها على سفرى، وأعتمد بها فى مشيتى، ليتسع بها خطوى، وأعبر بها النهر فتؤمننى؛ وألقى عليها كسائى فتستُرنى من الحرّ، وتقينى من القرّ، وتُدْنى ما بَعُدَ منى، وهى تحمل سُفرتى، وعلاقة إدواتى، ومشجب ثيابى، أعتمد بها عند الضِّراب، وأقدح بها الأبواب، وأتَّقى بها عقور الكلاب، تنوبُ عن الرُّمح فى الطعان، وعن الحِرْز عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبى، وأورثها بعدى ابنى، وأَهُشُّ بها على غنمى، ولى فيها مآرب أخرى، كثيرة لا تحصى.

* * *

(عزة الخليل بن أحمد)

قال النضر بن شميل: كتب سليمان بن على إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه، وبعث إليه بمال كثير، فردّه وكتب إليه:

أبلغْ سليمـــان أنى عنه فى سَعَـــةٍ ... وفى غنى غير أنى لستُ ذا مـــــال
يسخو بنفسى أنى لا أرى أحـــدًا ... يموت هزلا ولا يبقى على حـــال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال
والمـال يَغْشَى أناسًا لا خَـلَاق لهم ... كالسَّيل يغشى أصول الدندن البـالى
كل امـرئ بسبيل المـــوت مرتَهَنٌ ... فاعمل لنفسك، إنى شاغـــل بالى

* * *

(قالوا فى الشيب)

* قال قيس بن عاصم فى الشيب: الشيب خطام المنية.

* وقال أكثم بن صيفى: المشيب عنوان الموت.

* وقال الحجاج بن يوسف: الشيب نذير الآخرة.

* وقال غيره: الشيب نوم الموت.

* وقال العتبى: الشيب مجمع الأمراض.

* وقال العتابى: الشيب نذير المنية.

* وقال محمود الوراق: الشيب أحد الميتتين.

* وقال ابن المعتز: الشيب أول مواعد الفناء.

* وقال غيره: الشيب قناع الموت.

* وقال قائل: الشيب قذى عين الشباب.

* * *

(فضل الأدب)

* حكى أن رجلًا تكلم بين يدى المأمون فأحسن، فقال المأمون: ابن من أنت؟ قال الرجل: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، قال: نِعْم النسب انتسبت إليه.

ولذلك قال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا ... يغنيك محمـــوده عن النسب

إن الفتى من يقـــول هـاأنذا ... ليس الفتى من يقـول كان أبى

* وقال بعض الحكماء: ومن كثر أدبه كَثُر شرفه، وإن كان وضيعًا، وبَعُدَ صيته وإن كان خاملًا، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا.

* وقال بعض الشعراء:

لكل شىء زينـة فى الورى ... وزينة المرء تمـام الأدب

قـــد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

* * *

(فضل العلم والأدب)

قيل لبزر جمهر: أىُّ الاكتساب أفضل؟ قال: العلم والأدب فهما كنزان لا ينفدان، وسراجان لا يطفآن، وخلتان لا تبليان؛ مَنْ قالهما نال أسباب الرشاد، وعرف طريق المعاد، وعاش رفيعًا بين العباد.

* * *

(أدب ابن الفوال والحلاق)

حُكى أن الحجاج طاف ليلة، فظفر بشابين سكرانين، فقال: من أنتما؟ فقال أحدهما:

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يومًا فسوف تعـــود

ترى الناس أفواجًا إلى ضوء ناره فمنهم قيـــام حولها وقعـــود

وسأل الآخر فقال:

إنا ابن من ذلت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهى صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فسأل الحجاج عن أبويهما فإذا أبو الأول فوال يبع الفول وأبو الآخر حلاق، فقال الحجاج: أطلقوهما لأدبهما لا لنسبها، لئن أخطأ النسب فما أخطأ الأدب.

***

(هب لى كلبًا)

دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدة، فقال المهدى له: سل حاجتك، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين هب لى كلبًا، فغضب المهدى وقال: أقول لك سل حاجتك فتقول: هب لى كلبًا فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لى أم لك؟ فقال: بل لك، فقال: إنى أسألك أن تهب لى كلب صيد، فأمر له بكلب، قال: يا أمير المؤمنين، هبنى خرجت للصيد، أعدو على رجلى! فأمر له بدابة، فقال له: يا أمير المؤمنين، فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال يا أمير المؤمنين، هبنى صدت صيدًا وأتيت به المنزل، فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، فهؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرَّتَ فى عنقى عيالًا، فمن أين لى ما يقوت هؤلاء؟ قال المهدى: أعطوه جريب نخل، ثم قال: هل بقيت لك حاجة؟ قال: نعم فأذن لى أن أقبل يدك.

***

(الضبعة والرجل)

قال المدائنى: خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة، فنفرت وفرّت فاتبعوها، فلجأت إلى بيت رجل فخرج إليهم بالسيف مسلولًا، فقالوا له: يا عبد الله لم تمنعنا

من صيدنا؟ فقال: إنها استجارت بى فخلوا بينها وبينه، فنظر إليها فإذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحًا ومقيلًا وغبوقًا حتى سمنت وحسنت حالها، فبينما هو ذات يوم راقد شدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه، فقال ابن عم له:

ومن يصنع المعروف فى غير أهله ... يلاقِ الذى لاقى مجير أم عامر

أعدّ لها لما استجارت بقربه ... من الأمن ألبان اللقاح الدرائر

فأشبعها حتى إذا ما تمكنت ... فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من ... يوجه معروفًا إلى غير شاكر

***

(الأسد الأعمى المتكبر)

أصاب العمى أسد من الأسود الضارية، فقيل له: لو جئت لملك الغابة الأسد الكبير فسألته أن يصلك بطعام كل يوم لكان ذلك أحسن، فذهب الأسد الأعمى إلى ملك الغابة وقصه القصة، فقال ملك الغابة لخازنه: أعط الأسد الضرير كل يوم قطعة لحم صغيرة، فقال الأسد الضرير: أصلح الله الملك، إنى كنت اصطاد الوعل أو البقرة فلا أكاد تكفينى الشبع فماذا تفعل قطعة اللحم، فقال ملك الغابة: من اتكل على كسب غيره وجب أن يقنع بقليل خيره، فقال الأسد: صدقت أيها الملك؟ ولا حاجة لى بقطعة اللحم، فقال الملك: فماذا تصنع؟ قال: اجتزئ بنبت السحاب، ولا افتقر إلى الملك والأصحاب.

***

(الطيور والثعلب)

قالوا: أولم طائر وليمة فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعض رسله، فجاء إلى الثعلب فقال: أخوك الطائر يدعوك لوليمته فقال: السمع والطاعة، فلما رجع أخبر الطائر أنه دعا الثعلب للوليمة فاضطربت الطيور وقالوا: أهلكتنا وعرضتنا للحتف،

فقالت القنبرة: أنا أصرفه عنكم بالحيلة، فمضت إلى الثعلب وقالت له: أخوك الطائر يقرئك السلام ويقول لك: الوليمة يوم الاثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك، مع الكلاب السلوقية أو مع الكلاب الكردية؟ فتجرعها الثعلب وقال: أبلغى أخى السلام، وقولى له: أبو سرور الثعلب يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لى نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس.

***

(حكمة)

يقول الشاعر فى الإخاء:

دعوى الإخاء على الرخاء كثيرة بل فى الشَّدائد تُعْرَفُ الإخوان

***

(وصية الأحنف لولده)

أوصى الأحنف بن قيس ولده قائلًا: يا بنى إذا أردت أن تؤاخى رجلًا فأغضبه، فإن أنصفك فألزمه وإلا فاحذره، فالإنصاف وقت الغضب من شيم الأكرمين.

***

(حكمة)

قيل: من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها.

***

(نصيحة)

يقول الشاعر:

تمتع بمالك قبل الممات وإلا فلا مال إن أنت مُتَّا

شقيت به ثم خلفتـــــــه لغيرك بُعـــدًا وسحقًا ومقتا
جـادوا عليـك بزور البكـا وجدت عليهم بما قد جمعتا
وأوهبتهم كل مـا فى يديك وخلّوك رهنًا بما قـد كسبتا

***

(صائد وعصفور)

كان صائـد يصيد العصافير فى يـوم بارد، فكان يذبحها والـدموع تسيل من عينيه من شدة البرد، فقال عصفور لصاحبه: لا بأس عليك من الرجل أما تراه يبكى؟ فقال له الآخر: لا تنظر إلى دموعه، بل إلى ما تصنع يداه.

***

(فضل السكوت)

حُكى أنه اجتمع برغوث وبعوضة، فقالت البعوضة للبرغوث: إنى لأعجب من حالى وحالك، أنا أفصح منك لسانًا وأوضح بيانًا وأرجح ميزانًا وأكبر شأنًا وأكثر طيرانًا، ومع هذا فقد أضرَّ بى الجوع وحرمنى الهجوع ولا أزال عليلة مجهودة مبعدة عن الطريق مطرودة، وأنت تأكل وتشبع وفى نواعم الأبدان ترتع، فقال لها البرغوث: أنتِ بين العالم مطنطنة وعلى رؤوسهم مدندنة وأنا قد توصلت إلى قوتى بسبب سكوتى.

***

(حسن العهد)

ومن أروع ما قال دعبل الخزاعى فى حسن العهد:

وإن أولى البرايا أن تواسيـــــه عنـــد المسرَّة من واساك بالحَزَنِ
إنَّ الكـرام إذا مـا أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

(حسن الحجاب)

* ومن جميل ما قاله أبو تمام فى تحسين الحجاب:

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أملًا إنَّ السمـــــاء تُرَجَّى حين تحتجب

* وما أجمل وأحسن وأملح ما اعتذر به الحسن بن سهل إلى محمد بن عبد الملك الزيات حين منعه المطر من الوصول إليه فقال:

أوجب العذر فى تراخى اللقـاء مـــا توالى من هـــذه الأنواء

لست أدرى مـاذا أقول وأشكو من سماء تعـوقنى عن سمـــاء

غير أنى أدعو على تلك بالثكلِ وأدعو لهـــــــذه بالبقـــاء

* يقول ابن بسام فى هجاء أبى جعفر:

بلـوت أبا جعفـــــر مـــرةً فألفيت منـه ثقيـلًا سخيفًا

فلولا الضـــرورة لم آتـــه وعند الضرورة نأتى الكنيفا

* ومن أجمل ما قال القاضى أبو القاسم التنوخى:

رضاك شبابٌ ما عليـه مشيب وسخطك داء ليس منه طبيب

كأنك فى كل النفـوس مركبّ فأنت إلى كل النفوس حبيب

* * *

(من نوادر الأغبياء)

* هبت يـومًا ريح شديدة فـأقبل الناس يدعـون الله ويتوبون، فصـاح أحدهم: يا قوم، لا تعجلوا بالتوبة وإنما هى زوبعة وتسكن.

* سأل حاكم أحـد الحمقى: هل تعلم أنَّ خلفاء بنى العباس كان لكل منهم لقب اختـص به، منهم المـوفق بالله والـمتوكـل على الله، والمعتـصم بالله والـواثق بالله والحاكم بأمر الله، فلو كنت أنـا واحدًا منهم فماذا كان يجب أن أختار من الألقاب؟ فقال المغفل على الفور: اختار (العياذ بالله).

* سمع أحد المغفلين رجلًا يقول: ما أحسن القمر، فقال: أى والله وخاصة فى الليل.

* كان المعلم يشرح لتلاميذه معنى كلمة (صدفة) وطلب أن يضرب له أحدًا مثلًا، فأجاب أحد الصبية: أبى وأمى تزوجا فى نفس اليوم، وهذه صدفة.

* لقى رجلٌ من أهل الأدب والنحو رجلًا آخر وأراد أن يسأله عن أخيه، فقال: أخاك.. أخوك.. أخيك.. هل هو هنا؟ فقال له الرجل: لا.. لى.. لو.. ما هو هنا.

* قال معلم لتلاميذه فى الكُتَّاب ـ وكان أحمق ـ: كان اسم الذئب الذى أكل سيدنا يوسف (جعجعون)، فقال له طفل صغير: ولكن سيدنا يوسف لم يأكله الذئب، فخجل المعلم وقال: أحسنت، كان ذلك هو اسم الذئب الذى لم يأكل سيدنا يوسف.

* قال أحد الحمقى ينصح الناس: يا معشر الناس إن الشيطان إذا ما سميتم على الطعام والشراب لم يقربه، فكلوا سمكًا مملحًا ولا تسموا، فيأكل الشيطان معكم، ثم اشربوا الماء وسموا، فلا يشرب ويموت عطشًا.

* سُئل أحد المغفلين: أأنت أكبر أم أخوك؟ فقال: إنى أكبر منه بسنة وفى العام القادم نصير نحن الاثنان عمر واحد.

* سأل رجل أحد المغفلين: ما قولك فى امرأة هل يجوز أن يكون ابنها البالغ وليّها فى الزواج، فقال المغفل: فى ذلك قولان: إذا كانت أمه بكرًا جاز ذلك، وإن كانت غير ذلك لا يجوز.

* سرق رجل حمارًا وأتى السوق ليبيعه فسُرق منه فعاد إلى منزله، فقالت له امرأته: بكم بعته فأجابها: برأس ماله.

* سأل رجل خادمه: فى أى يوم صلينا الجمعة فى المسجد الكبير فقال الخادم: كان يوم الثلاثاء.

* أراد أحد المغفلين أن يقدم هدايا لقائد الجيش بمناسبة انتصاره، فأرسل هدايا إلى الوالى ومعها بيانًا بكيفية توزيعها كالآتى القائد ثور، وامرأته بقرة، وابنه كبش، وابنته نعجة ومساعده تيس!

(من مستحسن الأجوبة)

دخل رجل من شيبان على معن بن زائدة، فقال معن للرجل: ما هذه الغيبة؟ فقال: أيها الأمير، ما غاب عن العين مَنْ يذكره القلب، ومازال شوقى إلى الأمير شديدًا، وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيرًا، وهو دون قدره، ولكن جفوة الحجاب، وقلّة بِشْر الغلمان، منعانى من الإتيان! فأمر بتسهيل إذنه، وأجزل صلته.

* ومن مستحسن الأجوبة أيضًا عندما قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: كبرت يا معن! قال: فى طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنك لجلد (أى قوى شديد الاحتمال) قال: على أعدائك، قال: وإنّ فيك لبقية، قال: هى لك يا أمير المؤمنين، قال: فأى الدولتين أحبُّ إليك هذه (يقصد الدولة العباسية) أم دولة بنى أمية؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، إن زاد برُّك على برّهم كانت دولتك أحبَّ إلىَّ.

* * *

(الفرزدق يهجو بنى كليب)

قال الفرزدق يهجو بنى كليب:

لو يُرْمى بلؤم بنى كليب ... نجوم الليل ما وضحت لسارى

ولو لبس النهار بنو كليب ... لَدَنَّسَ لؤمهُم وضَحَ النهار

* * *

(دعاء أعرابى)

دعا أعرابى فقال: اللهم إنى أعوذ بك أن افتقر فى غناك، أو أضلّ فى هُداك، أو أذلّ فى عزك، أو أضام فى سلطانك، أو اضطهد والأمر إليك.

* * *

(وعظ أعرابى)

قال الأصمعى: سمعت أعرابيًّا يعظ رجلًا وهو يقول: ويحك! إن فلان وإن ضحك إليك، فإنه يضحك منك، ولئن أظهر الشفقة عليك، إن عقاربه لتسرى إليك؛ فإنْ لم تتخذه عدوًّا فى علانيتك، فلا تجعله صديقًا فى سريرتك.

* وقال الأصمعى أيضًا: سمعت أعرابيًّا يقول: إذا ثبتت الأصول فى القلوب، نطقت الألسنة للفروع! والله يعلم أنَّ قلبى لك شاكر، ولسانى ذاكر، ومحال أن يظهر الودّ المستقيم، من الفؤاد السقيم.

* * *

(أعرابى يصف قومه)

* سُئِل أعرابى عن قومه، فقال: يقتلون الفقر، عند شدّة القرّ، وأرواح الشتاء، وهبوب الجِرْبياء، بأسنمة الجزور، ومترعات القدور، تهش وجوهُهُم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعان السيوف.

* ووصف أعرابى قومًا فقال: لهم جودُ كرام اتسعت أحوالها، ويأسُ ليوث تتبعها أشيالها، وهمم ملوكٍ انفسحت آمالها، وفخرُ آباء شَرُفَتْ أخوالها.

* اجتمع ثلاثة شعراء فى قرية تسمى (طهياثا) وشربوا الخمر حتى سكروا، فقال أحدهم: فليقل كل واحد منا بيتًا من الشعر فى وصف يومنا هذا.

فقال الأول: نلنا عزيز العيش فى طهياثا.

فقال الثانى: لما احتثثنا القدح احتثاثا.

فاحتار الثالث كيف يأتى ببيت من الشعر بنفس الوزن والقافية، ثم أسرع قائلًا: وامرأتى طالق ثلاثًا، ثم قعد يبكى على امرأته والجميع يضحك عليه.

* كان هناك طبيب مغفل اسمه عيسى، ما ذهب إليه مريض إلا مات، فقيل فيه:

عيسى الطبيب ترفق فأنت طوفان نوح

يأبى علاجـــك إلا فـراق جســـم لروح
شتان مـــا بين عيسى وبين عيسى المسيح
فذاك محيى مـــوات وهذا مميت الصحيح

* استأجر رجل غلامًا ليخدمه، فسأله: كم أجرتك.

فقال الغلام: شبع بطنى.

فقال له الرجل: وآخر كلام (أى انقص من الأجر).

فقال الغلام: أصوم كل اثنين وخميس.

* قيل لأحد المغفلين: أتحب أن تموت امرأتك؟ قال: لا، قيل: لم؟ قال أخاف أن أموت بعدها من الفرح.

* سألوا معلم: ما الفرق بين المصيبة والكارثة؟ قال: المصيبة أن تغرق زوجتك فى البحر، والكارثة أن يتطوع أحد فينقذها.

* * *

(وصف امرأة)

قال الأصمعى: سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهى تقول: سطعاء بَضَّةٌ بيضاء غضَّة، درماء رَخْصَة، قبَّاء طفلة، تنظر بعينَىْ شادن ظمآن، وتبسم عن مُنَوِّر الأقحوان، فى غبّ التّهتان، وتشير بأساريع الكثبان، خلقها عميم، وكلامها رخيم، فهى كما قال الشاعر:

كأنها فى القُمُصِ الرقـــاق مُخَّة ســـاق بين كفَّى ســـاقِ
أعجلها الشاوى عن الإحراق

* ووصف أعرابى امرأة يحبّها فقال: هى زينة فى الحضُور، وباب من أبواب السرور، ولذكرها فى المغيب والبعد من الرقيب، أشهى إلينا من كل ولد ونسيب، وبها عرفت فضل الحور العين، واشتقت بها إليهنَّ يوم الدين.

* * *

(الشراب وخطره)

* قال بعض الظرفاء: الشراب أول الخراب، ومفتاح كل باب يمحق الأموال، ويُذهب الجمال، ويهدم المروءة، ويُوهن القوة، ويضع الشريف، ويهين الظريف، ويُذِلُّ العزيز، ويُفلس التجار، ويهتك الأستار، ويورث الشَّنار.

* وقال يزيد بن محمد المهلبى فى الخمر:

لعمرك ما يُحْصَى على الكأس شرُّها ... وإن كان فيها لذَّةٌ ورخاءُ
مرارًا تريك الغىَّ رشدًا وتارة ... تحيّل أن المحسنين أساءوا
وأنَّ الصديق الماحض الودّ مبغضٌ ... وأنَّ مديح المادحين هِجاء
وجرَّبت إخوانَ النبيذ فقلّما ... يدوم لإخوان النبيذ إخاء

* * *

(فى الإقدام حياة)

قال المهلب يومًا لجلسائه: أراكم تعنفوننى فى الإقدام فى الحرب، قالوا له: إى والله، إنك لَسَقوط بنفسك فى المهالك، قال: إليكم عنى! فوالله لولا أن آتى الموت مسترسلًا، لأتانى مستعجلًا؛ إنى لستُ آتى الموت من حُبّه، إنما آتيه من بغضه، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المرى:

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة مثل أن أتقدما

ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبى قوله:

أرى كُلنا يهوى الحياة لنفسه ... حريصًا عليها مستهامًا بها صبًّا
فحبُّ الجبان النفس أورده التُّقى ... وحبُّ الشجاع النفس أورده الحربا

* * *

(من أخبار أبى دلف وشعره)

كان أبو دلف شاعرًا مجيدًا، وجوادًا كريمًا جامعًا لآلات الأدب والظرف، وله شعر جيد فى كل فن، وهو القائل:

أحبك يا جَنَان؛ فأنتِ منى ... محلّ الروح من جسد الجبان

ولو أنى أقول: مكان روحى ... لخِفتُ عليك بادرة الزمان

***

(الإخوان ثلاثة)

يقال أنّ الإخوان ثلاثة: أخ يخلص لك وُدّه، ويبلغ لك فى مهمّك جهده، وأخ ذو نيّةٍ يقتصد بك على حسن نيته، دون رفده ومعونته، وأخ يجاملك بلسانه، ويشتغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه بأيمانه.

***

(أحمق)

* قال بعض الرواة: رأيت قاصًّا يحدث الناس بقتل حمزة فقال: ولما بقرت هند عن كبد حمزة بن عبد المطلب استخرجتها ولاكتها ولم تزدردها فقال النبى ﷺ: «لو ازدردتها ما مستها النار» ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم أطعمنا من كبد حمزة».

* وقف معاوية بن مروان على باب طحان فرأى حمارًا يدور بالرحى فى عنقه جلجل فقال للطحان: لِمَ جعلت الجلجل فى عنق الحمار؟ فقال: ربما أدركتنى سآمة أو نعاس فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف فصحت به فانبعث، قال: أفرأيت إن وقف الحمار وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك رأسه؟ فقال له: ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير وهو القائل وقد ضاع له باز: أغلقوا أبواب المدينة لا يخرج البازى.

(مجنون)

كان بالبصرة مجنون يقال له عَلْيان بن أبى مالك، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه، وكان راوية للشعر بصيرًا بجيده، فذكر عن عبد الله بن إدريس صاحب الحديث قال: طارد الصبيان عليان بن أبى مالك ذلك المجنون حتى هجم علينا فى الدار فقال لى الخادم: هذا عليان قد هجم علينا والصبيان فى طلبه فقلت: أدفع الباب فى وجوه الصبيان وأخرج إليه طعامًا، فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه وقال: هذا من رحمة الله وأشار إلى الطعام، كما أن أولئك من عذاب الله وأشار إلى الصبيان، ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب وهو يقول: فضُرِبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة (يقصد الطعام) وظاهره من قِبَلِهِ العذاب (يقصد الصبيان).

قال إدريس: فلما انقضى من طعامه قلت له: يا عليان مالك تروى الشعر ولا تقوله فقال: إنى كالمسن أشحذ ولا أقطع، وكان بصيرًا بالشعر، فقلت له: أى بيت تقوله العرب أشعر؟ فقال: البيت الذى لا يحجب عن القلب، قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول جميل:

ألا أيها النـــوام ويحكمو هبو أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

***

(قيمة الصمت)

* قال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله.

* قال أبو عبد الله كاتب المهدى: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، إن البلاء موكل بالمنطق.

* قال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك فإنما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول.

* قال المهلب بن أبى صفرة: لأن أرى لعقل الرجل فضلًا على لسانه أحب إلىَّ من أن أرى للسانه فضلًا على عقله.

* وقالوا: من ضاق صدره اتسع لسانه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن ساء خلقه قل صديقه.

* قال هَرِم بن حبّان: صاحب الكلام بين منزلتين: إن قصد فيه خُصم، وإن أغرق فيه أثم.

* قال شَبيب بن شبة: من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضرها عنه.

* وقال الحسن بن هانئ:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

رُبَّ لفظ شاق آجـ ... ـال فئام وفئام

إنما السالم من ألـ ... ـجم فاه بلجام

* * *

(ثلاثة)

* قال ميمون بن مهران: ثلاث حق المؤمن والكافر فيهن سواء:

الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر.

والوالدان تبرهما مسلمين أو كافرين.

والعهد تفى به لمن عاهدت مسلمًا أو كافرًا.

* وقيل: لا تصطنعوا إلى ثلاث معروفًا:

اللئيم: فإنه بمنزلة الأرض النجسة.

والفاحش: فإنه يرى أن الذى صنعت إليه إنما هو مخافة فحشه.

والأحمق: فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه.

* * *

(بين الخضر وموسى عليه السلام)

قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: يا كليم الله عجبت لك لقد لمتنى على أننى خرقت السفينة خوفًا أن يغرق أهلها أنسيت الذى حفظك من الغرق يوم ألقتك أمك فى الماء.

يا كليم الله لمتنى على أننى قتلت غلامًا بغير نفس أنسيت يوم قتلت رجلًا من آل فرعون وقلت: ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر لك.

يا كليم الله لمتنى على أننى أقمت الجدار دون أجر أنسيت يوم سقيت الغنم لبنتى شعيب دون أجر.

هذه ثلاثة بثلاثة.

* * *

(حج إبراهيم بن أدهم)

خرج إبراهيم بن أدهم إلى الحج ماشيًا، فرآه رجل يركب ناقة قال: أين الراحلة؟ فإن الطريق طويل.

فقال: لى مراكب كثيرة لا تراها.

قال: ما هى؟

قال: إذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر.

وإذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر.

وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضا.

فقال الرجل: سر على بركة الله، فأنت الراكب وأنا الماشى.

* * *

(وصف القمر)

ضل أعرابى طريقه فى البادية فإذا بالقمر يطلع عليه فيكشف له الطريق: فنظر الرجل إلى القمر متأملًا معبرًا عن شعوره ويناجيه قائلًا:

أيها القمر كيف أشكرك وأثنى عليك؟

إن قلت رفعك الله، فقد رفعك.

وإن قلت نور الله محياك فقد نوره.

وإن قلت جمل الله صورتك فقد جملها.

فماذا أقول؟

ليس لى إلا أن أدعو الله أن يبقيك لنا نورًا، ويزيدنا بك هداية وسرورًا.

***

(العبادة الخالصة)

يروى أن امرأة من المتعبدات قالت لحبان بن هلال: ما السخاء عندكم؟ قال: البذل والإيثار.

قالت: فما السخاء فى الدين؟ قال: أن تعبدى الله سبحانه مسخية بها نفسك غير مكرهة.

قالت: أفتريدون على هذا جزاء؟ قال: نعم لأن الله وعد الحسنة بعشر أمثالها.

قالت: فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأى شىء سخوتم به؛ إنما السخاء أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك أجرًا، ألا تستحون أن يطلع الله على قلوبكم فيعلم منها أنها تريد شيئًا بشىء.

***

(خماسيات)

خمس صلاحها فى خمس: صلاح الصبيان فى الكتب، والنساء فى البيوت، والفتيان فى العلم، والكهول فى المساجد، والقطاع فى السجن.

***

(الغيبة)

سمع على بن أبى طالب رجلًا يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال على كرم الله وجهه لابنه: نزّه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك.

***

(شروط المضيف)

ذُكر أن حكيمًا دُعى إلى الطعام فقال: أجيبك بثلاثة شرائط: أن لا تتكلف، ولا تخون، ولا تجور، قال: ما التكلف؟ قال: أن تتكلف بما ليس عندك، فأما الخيانة فإن تبخل بما عندك ولا تقربه إلى ضيفك، والجور أن تجور على عيالك وتعطى ضيفك.

***

(ذكاء بدوى)

صوَّب الفضل بن يحيى سهمه إلى بدوى وقال: رد سهمى ببيت من الشعر، فقال البدوى على الفور:

لقوسك قوس الجود والوتر الندى وسهمك سهم العز فارم به فقرى

***

(كرم عبد الله بن المبارك)

عن المسيب بن واضح أنه قال: كنت عند عبد الله بن المبارك، إذ سألوه لرجل أن يقضى عنه سبعمائة درهم دينًا عليه، فكتب معه إلى وكيله: إذا أتاك كتابى وقرأته، فادفع إلى صاحب الكتاب سبعة آلاف درهم، فمضى الرجل وهو لا يعلم ما فيه، فلما أتى الوكيل سلم إليه الكتاب، فقرأه ثم التفت إلى الرجل فقال: كيف كان أمرك مع عبد الله؟ قال: سألوه أن يقضى عنى سبعمائة درهم، فقال له: إنى أصبت غلطًا، فاقعد وعليك الكفاية من مالى، حتى أبعث إلى عبد الله بن المبارك، فأؤامره فيك.

ثم كتب إلى عبد الله: أتانى كتابك، وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، ثم سألت موصله فذكر أنه كلمك فى سبعمائة درهم، وفى كتابك سبعة آلاف درهم، فإن يكن غلطًا فاكتب إلىَّ بحسب ذلك.

فلما وصل الكتاب إلى عبد الله كتب إلى الوكيل جوابًا فيه: إذا أتاك الكتاب وقرأته فادفع إلى الرجل أربعة عشر ألف درهم.

فلما وصل الكتاب إلى الوكيل كتب إلى عبد الله: إن كان على هذا الفِعال فما أسرع ما تبيع ضيعتك. فكتب إليه عبد الله جوابًا: إن كنت وكيلى فأنفذ ما أمرتك، وإن كنت وكيلك فتعال إلى موضعى حتى أصير موضعك، وأنْفِذ ما تأمرنى به.

***

(غلام يتيم أكرم من حاتم)

قيل: سأل رجل حاتم الطائى فقال: يا حاتم، هل غلبك أحد فى الكرم؟ قال: نعم، غلام يتيم من طىء، نزلت بفنائه، وكانت له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منه فذبحه وأصلح من لحمه، وقدم إلىَّ، وكان فيما قدّم إلىَّ الدماغ، فتناولتُ منه فأستطيبته فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدى، وجعل يذبح رأسًا رأسًا، ويقدم إلىَّ الدماغ وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دمًا عظيمًا،

وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله تستطيب شيئًا أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسُبّة على العرب قبيحة، قيل: يا حاتم، فما الذى عوضته؟ قال: ثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت إذًا أكرم منه، فقال حاتم: بل هو أكرم، لأنه جاد بكل ما يملكه وإنَّما جدتُ بقليل من كثير.

***

(أحسنت)

قيل: إنَّ المتوكل رمى عصفورًا فلم يصبه وطار، فقال له ابن حمدان: أحسنت، فقال له المتوكل: كيف أحسنت! قال: أحسنت إلى العصفور.

***

(بين الحسن والحسين)

قيل: كان بين الحسن والحسين رضى الله عنهما كلام، فقيل للحسين: أدخل على أخيك فهو أكبر منك، فقال: إنى سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول: «أيمَّا اثنين جرى بينهما كلام، فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة»، وأنا أكره أن أسبق أخى الأكبر إلى الجنة، فبلغ قوله أخاه، فأتاه عاجلًا وأرضاه.

***

(يقيم الحد على شاة)

يحكى عن نصر بن مقبل وكان أميرًا على الرقة من قِبَل الرشيد أنه أمر بجلد شاة الحد، فقالوا: إنها بهيمة، قال: الحدود لا تعطل، وإن عطلتها فبئس الوالى أنا، فانتهى خبره إلى الرشيد، فاستدعاه، فلما وقف بين يديه ضحك الرشيد وقال: كيف بصرك بالحكم؟

(ضيوف معن بن زائدة)

قدم إلى معن بن زائدة أسرى، فعرضهم على السيف، فقام إليه رجل منهم وقال: أيها الأمير نحن أسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق، فإن رأيت أن تطعمنا ففى كل ذات كبد حَرَّى أجر، فأمر معن بإطعامهم، فأحضرت الموائد وعليها الطعام، فاجتمعوا، وأكلوا، ومعن ينظر إليهم، فلما فرغوا قام رجل منهم وقال: يا أيها الأمير كنا أسراك، وقد صرنا ضيوفك؛ فانظر ما يصنع مثلك بأضيافه؛ فخلى سبيلهم.

***

(حلم ابن الخطاب)

أحضر بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل سكران فأمر أن يُحَدّ، فشتمه ذلك الرجل السكران، فرجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن ضربه، فقيل: لم تركته يا أمير المؤمنين حين شتمك؟ قال: إنه لما شتمنى غضبت، فلو ضربته لكان ذلك لغضبى لا لربى.

***

(سيدنا يوسف والحب)

قال رجل لسيدنا يوسف عليه السلام: إنى أحبك، فقال: وهل أتيت إلا من المحبة، أحبنى أبى فألقيت فى الجب واستعبدت، وأحبتنى امرأة العزيز فلبثت فى السجن بضع سنين.

***

(زوجة المهلب بن أبى صفرة)

لما تزوج المهلب بن أبى صفرة بديعة المطربة أراد الدخول بها ففاجأها الحيض فقرأت أمامه ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠]، فقرأ هو ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود:٤٣]، فقرأت هى ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣].

***

(أردشير وبناءه)

بنى أردشير بناءًا فأعجبه، فقال لبعض الحكماء: هل تجد فيه عيبًا؟ فقال: ما رأيت مثله، ولكن فيه عيب واحد، قال: وما هو؟ قال: إن لك منه خرجة ولا تعود بعدها إليه أو دخلة إليه لا تخرج بعدها منه، فبكى أردشير من كلامه.

***

(الأعور)

ضرب رجلٌ عجوزًا أعور بحجر فأصاب العين الصحيحة فوضع الأعور يديه على عينه وقال: أمسينا والحمد لله.

***

(الشرطى والمدح)

مدح بعض الشعراء صاحب شرطة فقال: أما إنى أعطيك شيئًا من مالى فلا يكون أبدًا، ولكن اجن جناية حتى لا أعاقبك بها.

***

(أمير وجنده)

قال بعض الأمراء لجنده: يا كلاب، فقال له أحدهم: لا تقل ذلك فإنك أميرنا.

***

(فكاهات)

* دخل رجل دكان طباخ فسمع السفرجى يقول: أربعة على النار، تسعة على النار، فغضب الرجل وقال: ما فيه اثنين على الجنة.

* دخل جحا على المهدى يومًا فقال له؛ كم عيالك، قال: ثمانية، فأمر له بثمانية آلاف درهم، فأخذها جحا وخرج، فلما بلغ الباب رجع وقال: يا سيدى نسيت واحد من عيالى، قال له المهدى: من هو؟ قال: أنا، فضحك المهدى وأمر له بمثل ذلك.

* ركب أحد القرويين مع حماره فى سيارة شحن، فجاء صاحب السيارة ليأخذ الأجرة فسأله القروى كم الأجرة؟ فأجابه صاحب السيارة، الحمار بليرة والرجل بليرتين، فقال القروى: إذًا اقطع تذكرة لاثنين حمير.

* ذهب سائح إلى قرية وكان لديه كلب ثمين، فضاع الكلب فى القرية، فاتصل السائح بجريدة مسائية وطلب نشر إعلان بأوصاف الكلب وإنه سيدفع مبلغ مائة جنيه مكافأة لمن يعثر عليه، وفى المساء لم يجد الجريدة معروضة للبيع فى سوق القرية، فذهب إلى إدارة الجريدة، وهناك وجد الحارس على الباب، فسأله عن موعد صدور الجريدة، فقال الحارس: لا أعتقد أن العدد سيصدر هذه الليلة، ولما سأل الحارس عن السبب قال: إن المحررين جميعهم قد خرجوا للبحث عن الكلب.

***

(المجنون والفلاح)

سأل مجنون فلاحًا ما تزرع؟ فقال الفلاح: بطاطا.

فرد المجنون وماذا تضع فى الأرض؟ الفلاح: زبل الدواب.

المجنون: شىء عجيب بالمستشفى علمونا أن نضع للبطاطا ملحًا.

***

(العاشق)

قيل: إن عمر بن دويرة كان له أخ قد كلف بابنة عمه كلفًا شديدًا وعشقها عشقًا لا بعده عشق، وكان عمه يكره ذلك ويأباه، فشكا ذلك إلى خالد بن عبد الله القسرى وهو يومئذ عامل على العراق، فذكر أنه يسىء جواره، فسأله فى ذلك، فحبسه خالد أيامًا ثم أطلقه، ثم زاد ما به من غلبة الشوق، فحمله على أن يتسور دار عمِّه ليرى ابنته لمحبته فيها، ففعل ذلك ورأوه فأمسكوا به وادعوا عليه السرقة، وجاءوا به لجماعة شهدوا عليه بالسرقة وأنهم وجدوه فوق الدار، وحملوه إلى خالد، فسأله خالد فاعترف بالسرقة ليدفع المظنة عن ابنة عمه، فأمر خالد بقطع يده فأخرج، فكتب أخوه رقعة، ودفعها لمن أوصلها إلى خالد وفيها هذه الأبيات:

أخالدُ قد أعطيت فى الخلق رتبة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما لم يجنه المرء إنه ... رأى القطع خيرًا من فضيحة عاشق

إذا مدت الغايات فى سبق العُلى ... فأنت ابن عبد الله أول سابق

فمُنَّ علينا واصطنع عندنا يدًا ... فإن الفتى فى قوله غير صادق

قال: فأرسل خالد مولى يثق به ليكشف عن حقيقة الأمر، فأتاه بالصحيح من أمر الغلام، فأحضر عمه وألزمه بتزويج ابنته، فتعلل، فقال له خالد: كم مبلغ رجائك من مهر ابنتك؟ فقال: كذا وكذا، فدفع له خالد ما التمسه وأجرى عليه ما يكفيه، ولزم باب خالد، وكان يعرف بالعاشق.

(جمع شمل المحبين)

ذكر عن فتى من ذوى النعم أنه قعد به دهره ولح عليه الفقر، وكانت له جارية من أحسن الناس وجهًا، وكانت أعظمهم خلقًا، وكان يحبها محبة عظيمة، وكانت تحبه كذلك، فلما ضاق عليه الحال واشتد عليه الأمر، قال لها: ما ترين ما نحن فيه من الفاقة ورقة الحال، فإن رأيت أن أبيعك لبعض المتولين فأتَّسعَ فى ثمنك وأنت تتنعمين عنده فعلت، فقالت: والله فراق روحى من جسدى أهونُ علىَّ من فراقك! فاتفقا على ذلك وخرجا، فعرضها لبعض التجار، فقال له بعض أصحابه: إن كان ولا بد فابعثها إلى عبد الله بن معمر ـ وكان عاملًا على العراق ـ فبعثها، فحملها إليه وأحضرها بين يديه، فاستحسنها ووقعت منه موقع الإعجاب، ثم قال له: كم رجوت فى ثمنها؟ قال: أربعين ألف درهم، فدفع له ذلك وعشرة آلاف درهم نفقته وعشرة رؤوس من الخيل المسومة، وقال له: أرضيت؟ قال: أرضى الله الأمير ورضى عنه، فأمر عبد الله بن معمر بعض الجوارى أن تُدخل الجارية إلى داخل الدار وتُكْرم مثواها، فأمسكت الجارية بجانب الستر وقالت هذه الأبيات:

هنيئًا لك المال الذى قد أخذته ... فلم يبق فى كَفَّىَّ غيرُ التفكر

أقول لنفسى وهى فى كرباتها ... أَقلِّى فقد بان الحبيب أو اكثرى

إذا لم يكن فى الأمر عندك حيلةٌ ... ولم تجدى بُدًّا من الصَّبر فاصبرى

عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا فصل إلا أن يشاء ابن معمر

قال عبد الله بن معمر: قد شئت، يا فتى، خذها وخذ المال الذى صار إليك، فأخذ المال والجارية وانصرف!

***

(حمار أبى العيناء)

قيل لأبى العيناء: ما بال الحمير إذا أحست بالرجوع إلى مرابطها والقرب من دور أهلها أسرعت المشى وتركت البطء والتخابث! إلا حمارك يا أبا العيناء إذا قَرُب من دارك تخابث فى المشى؟ قال: لعلمه بسوء المنقلب.

* * *

(الثقة لا ينم)

قال رجل للأحنف بن قيس: أخبرنى ثقة عنك بسوء، قال له: الثقة لا ينم.

* * *

(كيف سرق الحمار؟!)

غاب أبو العيناء عن المتوكل مدة ثم دخل عليه فقال له: ما أقعدك عنّا يا أبا العيناء؟! قال: سُرق حمارى يا أمير المؤمنين، قال: كيف سُرق؟ فقال: ما كنت مع اللص فأعرف كيف سرقه، قال: فما منعك أن تزورنا على غيره؟ قال: ثلاث يا أمير المؤمنين، قال: ما هن؟ قال: قلة يسارى، ومنّة العوارى، وذلة المكارى.

* * *

(المتوكل وأبى العيناء)

قال المتوكل لأبى العيناء: ما أشد ما مرَّ عليك فى ذهاب بصرك؟ قال: فوت رؤيتك يا أمير المؤمنين! فاستحسنها منه وأمر له بجائزة!

* * *

(على بن أبى طالب وابنه محمد)

قال رجل لمحمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب رضى الله عنه: لِمَ غرر بك أبوك علىّ فى الحروب ولم يغرر بالحسن والحسين؟ فقال: لأنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع بيمينه عن عينيه؟

***

(الخمر حلال أم حرام)

سأل رجل فقيهًا عن الخمر أحلال هى أم حرام؟ فقال له: حرام، قال الرجل: ما تقول فى العنب والزبيب والتمر أحلال هى أم حرام؛ قال له: حلال، قال: فما تقول فى السُّكّر والقند والعسل؟ قال: حلال، قال: فأى شىء حلل هذا وحرم هذا؟! فقال الفقيه: أرأيت لو أخذت كفًا من تراب، ولطمت به وجهك أو صدرك أكان يُؤلمك؟! قال: لا، قال: فلو أخذت كفًا من تبن وضربت به وجهك أكان يؤلمك؟ قال: لا، قال: فلو أخذت التراب والتبن والماء فجمعتهما وجبلتهما ووضعتهما فى الشمس أيامًا ثم ضُربت بهما وجهك، أكان يؤلمك؟ قال: نعم، قال: وهكذا إذا جمع هذا وعتق حرم، وإذا جمع هذا وعتق آلم.

***

(نسوة يضحكن على جرير الشاعر)

مرَّ جرير على جماعة نسوة وهو راكب على بغلة، وهُنَّ يَغسلن على بعض المياه، فظرطت البغلة؛ فضحكت النسوة، فقال جرير لهن: أما علمتن أن كل أنثى تحملنى تفعل كما فعلت هذه البغلة؟! فقالت واحدة منهن: كيف كان حال أمِّك حين حملتك تسعة أشهر؟!

***

(المأمون وأم الفضل)

دخل المأمون على أم الفضل بنت سهل وقد مات ولدها الفضل فقال لها: أما ترضين أن أكون لك عوضًا عن ابنك؟ قالت: أفلا أبكى على ولد أكسبنى مثلك؟!

***

(حُجّة رجل)

حدثنى رجل من أهل الرّقة عن عبد الملك بن عمر قال: أخذ زياد رجلًا من الخوارج فأفلت منه؛ فأخذ أخًا له فقال: إن جئت بأخيك وإلاّ ضربت عنقك، قال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تُخْلى سبيله؟ قال: نعم، قال: أنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٦ ـ ٣٨] فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل لُقّن حُجَّتَهُ!.

***

(الفقير والقرية)

دخل فقير إلى قرية فقيل له: ما تصنع فى هذه القرية؟ فقال: ما صنع موسى والخضر ـ يعنى أستطعم أهلها ـ.

***

(يخطب فى الأرض السفلى)

قال المتوكل يومًا لجلسائه: أتعلمون أول ما عتب الناس؟ قال: عثمان بن عفان رضى الله عنه، قالوا: يا أمير المؤمنين بماذا؟ قال: لأنه لمَّا توفى رسول الله ﷺ قام أبو بكر يخطب على المنبر، دون مقام رسول الله ﷺ بدرجة (أى نزل درجة من على

المنبر وخطب) فلما ولى عمر بن الخطاب نزل عن مقام أبى بكر درجة، فلما ولى عثمان رضى الله عنه صعد على أعلى المنبر مكان رسول الله ﷺ فأنكر المسلمون عليه ذلك، وكان المراد أن يكون دون درجة عمر رضى الله عنه، فقال عبادة: يا أمير المؤمنين ما أحدٌ أعظم منَّةً عليك من عثمان رضى الله عنه، قال: وكيف ذلك؟ قال: كونه صعد المنبر فرقى أعلاه، ولو كان كل من ولى نزل عن مقام من تقدمه درجة كنت أنت اليوم تخطب على الأرض السفلى!.

***

(الفرض وفرض الفرض)

كتب بعض علماء الإمام مالك رحمه الله إلى الإمام الشافعى رحمه الله قائلين: يا إمام، ما تقول فى الفرض وفرض الفرض، وما يتم به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تركها فرض، وصلاة بالطول والعرض، وصلاة بين السماء والأرض؟!

فكتب الإمام الشافعى رحمه الله: أما قول القائل الفرض: فهو الخمس صلوات، أما فرض الفرض: فهو الوضوء.

وأما قوله: ما يتم به الفرض: فهو الصلاة على رسول الله ﷺ.

وأما قوله: صلاة لا فرض: فهى صلاة الصغير قبل البلوغ.

وأما الصلاة التى تركها فرض: فهى صلاة السكران.

وأما الصلاة التى بالطول والعرض فهى صلاة يونس فى بطن الحوت.

وأما الصلاة التى بين السماء والأرض فهى صلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج.

***

(شاب أفحم الشعبى)

تكلم شاب يومًا فى مجلس الشعبى، فقال الشعبى: ما سمعنا بهذا، فقال الشاب: أكل العلم سمعت؟ قال: لا، قال: فشطره؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا فى الشطر الذى

لم تسمعه، فأُفحم الشعبى!.

* * *

(سبب الضحك)

حكى أن رجلًا أضاف رجلًا فبيته فى داره، فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الضيف من أعلى الدار! فصاح به: فلان، فقال: لبيك، فقال له: إنك كنت أسفل الدار! فقال: تدحرجتُ، فقال: الناس يتدحرجون من العلو إلى السّفل، فكيف تدحرجت أنت؟! قال: فمن هذا أضحكك!!

* * *

(القول فى الثقلاء)

* يستثقل الناس بعض الناس فى مجالسهم ولا يطيقونهم فكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله يقول: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢].

* وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها: نزلت آية فى الثقلاء وهى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب:٥٣].

* وقيل لجالينوس: لِمَ كان الرجل الثقيل أثقل من حَمْل الميت؟ قال: لأن حمل الميت ثقله على الأرض، والرجل الثقيل ثقله على القلب.

* وأهدى رجل ثقيل إلى رجل جملًا فقال:

يا قادمًا أهـــدى جمل خُذ وارتحل ألفى جمل

* * *

(عقوق الوالدين)

حكى عن عطاء بن يسار أن قومًا سافروا ونزلوا فى برية فسمعوا نهيق حمار متواتر فأسهرهم، فانطلقوا ينظرون إليه، فإذا هم ببيت من الشعر فيه عجوز، فقالوا

لها: قد سمعنا نهيق حمار أسهرنا ولم نر عندك حمارًا، فقالت لهم: ذلك ابنى كان يقول لى: يا حمارة تعالى يا حمارة اذهبى يا حمارة هكذا، فدعوت الله أن يصيره حمارًا، فلذلك لم يزل ينهق إلى الصباح فى كل ليلة، فقالوا لها: انطلقى بنا إليه لننظره، فانطلقوا إليه وإذا هو فى القبر وعنقه كعنق الحمار، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

***

(وفاة عمر بن عبد العزيز)

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دعا بنيه، فكانوا أحد عشر ابنًا وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، فأحضر عمر بن عبد العزيز أحد عشر ابنًا وأحضر أحد عشر دينارًا ونصف دينار، فأمر أن يُكفَّن ويشترى له مكان يُدفن فيه بخمسة دنانير، ويقسم الباقى على بنيه، وقال: يا بنى والله ليس لى مال فأوصى لكم به، ولكنى ما تركتُ لأحدٍ علىَّ تبعة ولا لأحدٍ ثأر فى مالٍ ولا عرضٍ ولا دمٍ، والله الخليفة عليكم، فقال له مسلمة: وما ذاك يا أمير المؤمنين أوخيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: تأخذ من مالى ثلاثمائة دينار فتقسمها بينهم كما تريد، قال عمر: أوخير من ذلك؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ترد المال إلى من أُخذ منه! فإنه ليس بملكك، قال: فبكى مسلمة عند ذلك!!

* وقيل: ما رؤى أحد من أولاد عمر بن عبد العزيز إلا وهو غنى، ولقد شُوهد أحدهم وقد جَهّز فى سبيل الله مائة فارس على مائة فرس من خالص ماله!

* وقيل: أن هشام بن عبد الملك ترك أحد عشر ابنًا أصاب كل واحد من تركته ألف ألف دينار، ويقال: إنه ما رؤى أحد منهم إلا وهو فقير، ولقد شوهد بعضهم وهو يوقد فى تنور الحمام (أى يعمل لدى صاحب حمام حيث يقوم بإشعال الوقود لتسخين الماء للاستحمام وهى من أدنى المهن).

***

(العصيان يؤدى إلى زوال الملك)

قال عبد الله بن مروان ـ وهو آخر ملوك بنى أمية ـ: لما زال ملكنا وملكت بنو العباس هربت إلى أرض النوبة مع جمع من أصحابى، فسمع بى ملك النوبة فجاءنى إلى المكان الذى كنت فيه، فجلس على الأرض ولم يجلس على فراشى، فقلت له: هلا تجلس على فراشنا أيها الملك؛ فإنه لم يعتد لك هاهنا فراش، فقال: لا، قلت له: ولم؟ قال: لأنى ملك وحقيق على الملك أن يتواضع إذا رفعه الله!

ثم قال ملك النوبة لعبد الله بن مروان: أخبرنى لِمَ شربتم الخمور وهى محرمة عليكم؟ ولم وطئتم الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ ولم استعملتم أوانى الذهب والفضة وهى محرمة عليكم؟ ولم لبستم الحرير وقد نهيتم عنه على لسان نبيكم؟ قال عبد الله: فقلت له: إنا لما قلّت أنصارنا استعنا بقوم أعاجم دخلوا ديننا ففعلوا ما ذكره الملك على غرّة منا! فأطرق الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال: ليس الأمر على ما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم، وظلمتم إذ ملكتم؛ فسلبكم الله العزَّ بذنوبكم، ونقمة الله فيكم لم تبلغ مداها ولا وصلت غايتها، وأنا أخاف أن يحل غضب من الله وأنتم فى أرضى فيصيبنى معكم! والضيافة ثلاثة أيام فتزودوا فيها بما شئتم، وارتحلوا فوالله لن تقيموا عندى بعدها!!

***

(حِكَمٌ عظيمة)

* أربعة تؤدى إلى أربعة: الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

* من طاب أصله زكا فرعه، ومن أعجب بعمله حبط أجره، ومن ساء خلقه قل رزقه، ومن كثر ظلمه قرب هلاكه.

* سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

* اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده، والكلام سهم نافذ لا يمكن رده.

* أجمل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه.

* بُعدٌ يورث الصفاء خير من قُربٌ يوجب الجفاء.

* الكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلامة.

* * *

(من توكل على الله كفاه)

دخل أحد الصحابة مسجد رسول الله ﷺ فى غير وقت الصلاة فوجد غلامًا لم يبلغ العاشرة من عمره قائمًا يصلى بخشوع، فانتظر حتى انتهى الغلام من صلاته فجاء إليه وسلم عليه وقال له: يا بنى، ابن من أنت؟ فطأطأ الغلام برأسه وانحدرت دمعة على خده ثم رفع رأسه وقال: يا عم، إنى يتيم الأب والأم، فَرَقَّ له الصحابى وقال له: يا بنى، أترضى أن تكون ابنًا لى؟ فقال الغلام: هل إذا جعت تطعمنى؟ قال: نعم، فقال الغلام: هل إذا عريت تكسونى؟ قال: نعم، فقال الغلام: هل إذا مرضت تشفينى؟ قال الصحابى: ليس إلى ذلك سبيل يا بنى، قال الغلام: هل إذا مت تحيينى؟ قال الصحابى: ليس إلى ذلك سبيل، قال الغلام: فدعنى يا عم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨ ـ ٨٢]، فسكت الصحابى ومضى لحاله وهو يقول: آمنت بالله، من توكل على الله كفاه.

* * *

(عمر بن الخطاب والرعية)

حدّث أسلم خادم عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: خرجت مع عمر ليلة وبعدنا عن المدينة ونحن نتفقد أهل المدينة النائية فبصرنا بنار من بعيد، فقال

عمر: إنى أرى هاهنا ركبانًا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتصايحون ويبكون، فسلم عمر ثم سأل المرأة: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يبكون! قالت: الجوع، قال: وأى شىء فى هذا القدر؟ قالت: ما أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: أى رحمك الله، وما يدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟ قال أسلم: فأخرج عدلًا من دقيق وكبة من شحم وقال: احمله علىَّ، قلت: أنا أحمله عنك، قال: أنت تحمل وزرى يوم القيامة؟ فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذرى علىَّ وأنا أمر لك، وجعل ينفخ تحت القدر وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ثم أنزلها وقال: أبغنى شيئًا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها فجعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم، فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها زيادة وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرًا كنت بالخلافة أولى من أمير المؤمنين فيقول: قولى خيرًا، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله، ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها فربض مربضًا، فقلت له: ألك شأن غير هذا؟ فلا يكلمنى، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدؤوا فقام يحمد الله، ثم أقبل علىَّ فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

***

(البكاء من خشية الله)

* عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله».

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة».

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن يخرج من عينيه دموع وإن كان مثل الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئًا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار».

* * *

(من لطائف الشعراء)

* من ظريف امرئ القيس وعجيب شأنه أنه قال فى الجاهلية بيتًا جاء فيه بشرائط الجنة مع أنه لا يعرفها فقال:

ألا عم صباحًا أيها الطلل البالى وهل ينعمن ما كان فى العصر الخالى

وهل ينعمن إلا سعيد مخلَّد قليل هموم ما يبيت بأوجال

فذكر السعادة التى تجمع خير الدارين، ثم الخلود الذى هو أحسن أحوال أهل الجنة، ثم ذكر قلة الهموم التى هى أجلّ الرغائب، ثم ذكر الأمن الذى هو أنفس المواهب، ولا مزيد على هذه الأربعة.

* ومن ظريف قول بشار: أنا والله أشتهى سحر عينيه وأخشى مصارع العشاق.

* ومن أجمل ما قال بشار أيضًا فى عشق الآذان:

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأُذن تعشق قبل العين أحيانًا

* وقال عبد الملك بن عبد الرحيم فى الهوى والعشق أيضًا:

وما زرتكم عمدًا ولكنّ ذا الهوى

إلى حيث يهوى القلب تسعى به الرِّجْلُ

* قال عمر بن شبة: كان سفيان بن عيينة مع زهده وورعه مولعًا بشعر أبى نواس فقال يومًا: أحسن أبو نواس والله فى قوله وأبدع:

بَصُرْتُ ظبيًا حلّ فى مأتم ينـدب شجوًا بين أتراب

يبكى فيُذْرى الدمع من نرجس ويلطم الورد بعناب

ومن شعره أيضًا:

أربعـــــة مُذْهِبـــةٌ لكـل هَـمٍّ وحَـــزَنْ
يحيـــا بها عينٌ وروحٌ وفـــــــؤادٌ وبَدنْ
الماء والقهـــوة والبســ ـتان والوجـــه الحسنْ

* يقول العباس بن الأحنف فى أروع ما قيل فى الغزل وأجمله:

نزوركم لا نكافيكم بجفـــوتكم إن المحـــــبّ إذا لم يُستَزرْ زارا
يقرّب الشوق دارًا وهى نازحـــة من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

* ومن البديع والمليح ما قاله أبو حفص الشطرنجى فى جارية سوداء:

أشْبَهَكِ المسك وأشبهته قائمـــةً فى لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحـدٌ أنكما من طينة واحـــدة

* وما أجمل ما قاله أبو عيينة المهلبى:

جسمى معى غير أنَّ الروح عندكم فالروح فى غربة والجسم فى وطن
فَلْيَعْجَبِ النـــاس منى أنّ لى بدنًا لا روحَ فيـــــه ولى روحٌ بلا بدن

ومن جميل قوله:

أرى عهـــــدكم كالورد ليس بدائم فلا خير فيمن لا يدوم له عهـــــــد
وعهدى بكم كالآس حُسْنًا وخضرة له بهجـــــــة تبقى إذا فنى الورد

* ومن ظريف ما قاله المؤمّل بن أميل الحاربى فى المودة:

إذا مرضتم أتيناكم نعـــودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتـــــذر
لا تحسبونى غنيًّا عن مودتكم إنى إليكـــم وإن أيسرت مفتقر

* وقد أبدع وأجاد ابن عائشة القرشى أحد الظرفاء عندما قال:

لا تُرعنى بفـراق وَبَعـــــــدْ أنا راضٍ بفراق وبصـــــــدّ
أنت كل الناس عنـــدى فإذا غبتَ عن عينى فلم أنظر أحد

* وما أبدع من قال:

أيا طلعـــــة القمر الزاهر ويا قامـــة الغُصُن النـاضر
ويا غائبًا حـاضرًا فى الفـؤاد سلامًا على الغائب الحاضر

(خير الزاد التقوى)

وقف الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه على المقابر ثم قال: اعتبروا يا أهل الديار، نطق بالخراب فناؤها، وشيد فى التراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، لا يتزاورون تزاور الإخوان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، قد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى ثم قال: يا أهل العز والثروة، إن الأزواج بعدكم قد نكحت، والأموال قد قُسِّمت، والدور قد سكنت، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو أذن لهم لقالوا: ﴿إِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

***

(أثر الذنوب)

يقول ابن المبارك:

رأيت الذنوب تُميتُ القلوبَ ... وقد يورثُ الذُّلَّ إدمانُها

وترك الذُّنوب حياةُ القلوب ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيانُها

***

(عدل الإسلام)

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفد إليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم قائد الجيش الإسلامى فيها دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدرًا بغير حق، فكتب عمر إلى عامله هناك أن ينصب لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين من سمرقند أُخرجوا، فنصب لهم الوالى جميع بن حاضر الباجى قاضيًا ينظر فى شكواهم، فحكم القاضى وهو مسلم بإخراج المسلمين! على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامى بعد ذلك وينابذهم وفقًا لمبادئ الحرب

الإسلامية، حتى يكون أهل سمرقند على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتة، فلما رأى أهل سمرقند ذلك، رأوا ما لا مثيل له فى التاريخ من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها! قالوا: هذه أمة لا تحارب وإنما حكمها رحمة ونعمة فرضوا ببقاء الجيش الإسلامى، وأقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم.

* أرأيتم جيشًا يفتح مدينة ويدخلها فيشتكى المغلوبون للدولة المنتصرة فيحكم قضاؤها على الجيش الظافر ويأمر بإخراجه ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها.

***

(توبة تائب)

روى أنه لحق بنى إسرائيل قحط على عهد سيدنا موسى عليه السلام، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله، ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث، فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون، فقال موسى عليه السلام: إلهى أسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضَّع والبهائم الرتَّع والشيوخ الركَّع، فما زادت السماء إلا تقشعًا، والشمس إلا حرارة، فتعجب موسى عليه السلام وسأل ربه عن ذلك، فأوحى الله إليه «إن فيكم عبدًا يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة، فنادِ فى الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فبه منعتكم» فقال موسى: إلهى وسيدى: أنا عبد ضعيف، وصوتى ضعيف، فأين يبلغ، وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء ومنا البلاغ، فقام مناديًا وقال «أيها العبد العاصى الذى يبارز الله بالمعاصى منذ أربعين سنة، أخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر».

فنظر العبد العاصى ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحدًا خرج منهم، فعلم أنه المطلوب فقال فى نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق فضحت نفسى، وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلى، فأدخل رأسه فى ثيابه نادمًا على فعاله، وقال: إلهى وسيدى، عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى، وقد أتيتك طائعًا فاقبلنى، فلم يستتم

كلامه حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرَب، فقال موسى: إلهى وسيدى بماذا سقيتنا وما خرج بين أظهرنا أحد؟! فقال: يا موسى سقيتكم بالذى منعتكم «يعنى ذلك التائب» فقال موسى: إلهى أرنى هذا العبد الطائع، فقال يا موسى: إنى لم أفضحه وهو يعصينى، أأفضحه وهو يطيعنى؟

وهكذا كان رجل عاص سببًا فى منع الماء من السماء فكيف إذا كانت الأمة كلها عاصية إلا من رحمه الله؟ وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] صدق الله العظيم.

* * *

(فاجر وعابد)

يقول برهان الصوفى الدّينورى: سمعت الجُنَيْد يقول: لو صحبنى فاجر حسن الخُلُق، كان أحبَّ إلىَّ من أن يصحبنى عابد سيئ الخُلُق، لأن الفاجر حسن الخُلُق يصلحنى بحسن خُلُقه، ولا يضرّنى فجوره، والعابد السيئ الخُلُق يفسدنى بسوء خُلُقه، ولا ينفعنى بعبادته، لأن عبادة العابد له، وسوء خُلُقه عليه، وفجور الفاجر عليه وحسن خُلُقه لى.

* * *

(رجل فريد)

قال الشاعر فيمن تفرد بالخصال الحميدة:

عَقمَ النسـاءُ فلا يلدنَ نظيرُهُ ... فنظيره فى العَـالمين قليلُ

هَيْهات لا يَأتى الزّمانُ بمثله ... إنَّ الزَّمـان بمِثْلِهِ لَبَخيلُ

* * *

(فى المدح)

مدح القاضى التنوخى أحدًا فقال:

رضاك شبابٌ لا يليه مشيبُ وسخطك داءٌ ليس منه طَبِيبُ
كأنَّكَ من كل النفوس مُرَكّبٌ فأنت إلى كل النفوس حَبِيبُ

***

(كره الإخوان)

قال بعض السلف: إياك وكره الإخوان، فإنه لا يؤذيك إلَّا من تعرف وأنشد:

جزى الله عنَّا بالخير من ليس بيننا ولا بينه ودٌّ ولا نتعارف
فما سامنا ضيمًا ولا شفَّنا أذى من الناس إلاَّ من نودُّ ونألفُ

***

(إخوان الصدق)

قال شبيب بن شيبة: إخوان الصديق خير مكاسب الدنيا، هم زينة فى الرخاء، وعُدَّة فى البلاء.

***

(ضرر المعارف)

حكى العلماء أن رجلًا كتب على باب داره: جزى الله من لم نعرفه ولم يعرفنا خيرًا، فإنَّنا ما أُتينا فى نكبتنا هذه إلا من المعارف.

وصدق القائل:

كفانى الله شرَّك يا ابن عمى فأما الخير منك فقد كفانى
نظرتُ فلم أجد أشفى لغيظى من أنى لا أراك ولا ترانى

(طول السفر)

قيل لفيلسوف: من أطول الناس سفرًا؟ قال: من سافر فى طلب صديق.

***

(مداراة الناس)

يقول هلال بن العلاء الرقّى:

لمّا عفوتُ ولم أحقد على أحـدٍ ... أرحت نفسى من غمِّ العـداواتِ
إنى أحيى عـــدوّى عند رؤيته ... لأدفع الشرَّ عنّى بالتحيـــاتِ
وأُظهر البِشر للإنسان أبغضـــه ... كأنَّه قـــــد ملأ قلبى محبَّاتِ
والناسُ داءٌ، وداءُ النـاس قربُهُم ... وفى الجفـاء لهم قطع الأُخُوات
فلستُ أسلُم ممـن لستُ أعرفُـه ... فكيف أسلم من أهل المـودَّاتِ
ألقى العدوَّ بوجـهٍ لا قطوبَ به ... يكاد يقطر من مـــاء البشاشاتِ
وأحزمُ الناس من يلقى أعـــادِيه ... فى جسم حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ

***

(تعايش الناس)

قال الشعبى: تعايش الناسُ بالدين زمانًا حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة، وسيتعايشون بالجهالة زمانًا طويلًا.

***

(قرناء السوء)

قال بزرجمهر: إياك وقرناء السوء، فإنك إن عملت قالوا: رائيت، وإن قصَّرت قالوا: أثمت، وإن بكيت قالوا: شهرت، وإن ضحكت قالوا: جَهِلْتَ، وإن نطقتَ قالوا: تكلفت، وإن سكتَّ قالوا: عييت، وإن تواضعت قالوا: افتقرت، وإن أنفقت قالوا: أسرفت، وإن اقتصدتَ قالوا: بخلت.

***

(ترك القطيعة)

قال أعرابى: دع مصارمة أخيك وإن حثا الترابَ فى فيك.

***

(نقص الصديق)

قال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

***

(خطبة المودة)

جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتُك خاطبًا، قال: لمن؟ قال: لمودتك، قال: قد أنكحتكها وجعلت الصَّداق أن لا تقبل فىَّ مقالة قائل.

***

(المعاتبة خير من الفقد)

قال أبو الدرداء: معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله، أطِعْ أخاك، ولِنْ له، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح، غدًا يأتيك أجله فيكفيك فقده، كيف تبكيه

بعد الموت وفى الحياة تركت وصله؟

* * *

(الناس خنازير)

أخبرنا الطبرانى، قال: سمعت عبد الله بن المعتز يقول: قال بعض الملاح: إن الناس مُسخوا خنازير، فإذا وجدت كلبًا فتمسك به.

* * *

(الحرص على الصديق)

يقول الشاعر:

وكنت إذا الصديقُ أراد غيظى ... وأشرقنى على حَنَق بريقى

عفوتُ ذنوبَه وصفحتُ عنه ... مخافةَ أن أعيش بلا صديقِ

* * *

(نصيحة)

استطرد لعدوك، وأبقه بإظهار الرضا عنه، والمداراة له حتى تصيب الفرصة فتأخذه على غِرَّة.

* * *

(الحكيم والفتى)

رأى حكيم رجلًا على شاطئ البحر مهمومًا محزونًا يتلهف على متاع الدنيا، فقال له: يا رجل، ما تلهفك على الدنيا؟ لو كنت فى غاية الغنى وأنت راكب لجة البحر، وقد انكسرت بك السفينة وأشرفت على الغرق أما كانت غاية مطلوبك النجاة وأن يفوتك كل ما بيدك؟ قال: نعم، قال: ولو كنت ملكًا على الدنيا وأحاط

بك من يريد قتلك أما كان مرادك النجاة من يده ولو ذهب جميع ما تملك؟ قال: نعم، قال: فأنت ذلك الغنى الآن وأنت ذلك الملك، فتسلى الرجل بكلامه.

***

(إبليس وعيسى عليه السلام)

ظهر إبليس لعيسى عليه السلام فقال له: ألست تقول: لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك، قال عيسى عليه السلام بلى، قال إبليس: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون، الله تعالى يختبر عباده وليس لعبد أن يختبر ربه.

***

(نسب جندى)

سُئل جندى عن نسبه فقال: أنا ابن أخت فلان، فسمعه أعرابى فقال: الناس ينتسبون طولًا وهذا الفتى ينتسب عرضًا.

***

(زاهد)

أثنى رجل على زاهد، فقال الزاهد: يا هذا لو عرفت منى ما أعرفه من نفسى لأبغضتنى.

***

(خطبة معاوية)

خطب معاوية خطبة أعجبته فقال: أيها الناس هل من خلل، فقال رجل من عرض الناس: نعم خلل كخلل المنخل، فقال: وما هو؟ فقال: إعجابك بها ومدحك إياها.

(طبيب دجال)

وقف طبيب دجال وسط جمع من الناس يعلن عن مقوى من الأعشاب ثم قال: نعم يا سادتى لقد بعت من هذا المقوى أكثر من عشرين سنة ولم أسمع كلمة تذمر أو شكوى، فعلام يدل هذا؟ فأجابه صوت من بين الزحام: هذا يدل على أن الموتى لا يتكلمون.

***

(الضابط والجندى)

أراد أحد الضباط أن يمتحن الجندى قبل إرساله إلى الميدان، فسأله، لنفرض أنك فى الميدان، ونفدت منك الذخيرة فماذا تعمل؟ أجاب الجندى: أواصل إطلاق النار حتى لا يفهم العدو أن الذخيرة قد نفدت منى.

***

(السيدة وتاجر القماش)

السيدة: هل هذا القماش موضة جديدة.

صاحب المحل: نعم آخر موضة يا ست.

السيدة: بس لونه ما يتغير.

صاحب المحل: لا أبدًا هذا القماش صار له خمس سنين عندى وما تغير لونه.

***

(العافية)

قال كعب: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها فى السكوت.

***

(أستاذ وتلميذه)

قال الأستاذ لتلميذه: أثبت لى أنَّ الأرض كروية، فهز التلميذ كتفيه وقال للأستاذ: وما شأنى بهذا الموضوع، دع الذى قال هذا الكلام يثبته لك.

***

(زائر وطفله)

حدقت الطفلة الصغيرة فى وجه الزائر الدميم طويلًا، فقال لها: لماذا تحملقين فى وجهى هكذا؟ فأجابته: لأن أبى يقول عنك أنك عصامى وحينما سألته عما يعنى ذلك قال: إنك صنعت نفسك بنفسك، فقال الزائر: نعم هذا صحيح، وعندئذ قالت الطفلة: إذن لماذا صنعت نفسك بهذه الصورة.

***

(فتاة وشاب)

ذهب شاب لزيارة فتاة فوجد أن الأسرة قد خرجت برحلة إلى خارج المدينة، وتركت له هذه الفتاة ورقة ملصقة على الباب تقول فيها: لقد خرجت يا عزيزى فى رحلة وسأعود يوم الأحد بعد الظهر، أرجو عدم تمزيق الورقة فهى ليست مكتوبة لك وحدك.

***

(طفل وزائر)

وقف زائر يسأل الطفل عن أبيه قائلًا: هل أبوك موجود، أجاب الطفل: كلا، فقال الرجل: متى يعود؟ فقال الطفل: أمى تقول إنه سيعود بعد سنة، ولكن قد يعود قبل ذلك إذا كان حسن السلوك فى السجن.

(يعلمه السباحة)

دفع أبو الطيب الطبرى خفه إلى إسكافى ليصلحه، فكان كلما مر عليه يسأل عنه، وكان الإسكافى كلما رأى أبا الطيب أخذ الخف وغمسه فى الماء، وقال: بعد ساعة، بعد ساعة، فلما تكرر الأمر عدة مرات قال أبو الطيب: إنما دفعته إليك لتصلحه، ولم أدفعه إليك لتعلمه السباحة.

***

(كثرة الزحام)

جلس أشعب وامرأته يأكلان من قدر، قال أشعب: ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام، فقالت امرأته: أين الزحام وليس على الطعام إلا أنا وأنت، قال: وددت والله لو كنت أنا والقدر فقط.

***

(رجاء)

رفعت الفتاة يدها إلى السماء قائلة: يا ربى إنى لا أطلب شيئًا لنفسى، كل ما أرجوه أن تسعد أمى وتبعث لابنتها عريس.

***

(ضرب الحَمَه)

القاضى: حكمت المحكمة ببراءتك من تهمتك لضرب حماتك.

المتهم: يعنى إذا ضربتها مرة ثانية ما فى مسؤولية.

***

(زواج)

الأول وهو يشير إلى فتاة تمر فى الطريق، كنت أتزوج هذه الفتاة لولا أسرتها، الثانى وما أسرتها؟ زوجها وأولادها الثلاثة.

* * *

(طفل وأمه)

سأل الطفل أمه: هل نحن خلقنا من طين يا أماه؟

الأم: نعم.

الطفل: الآن فهمت ليش ثيابنا بتتوسخ بسرعة.

* * *

(عفو الرشيد)

خرج على الرشيد رجل خارجى، فأنهض إليه الرشيد جيشًا فظفر به، فأحضره بين يديه فقال له الرشيد: ما تريد أن أصنع بك؟ قال: الذى تريد أن يصنع الله بك إذا أوقفك بين يديه، فأطرق الرشيد ساعة، وقال: خلو سبيله، فلما خرج من بين يديه، قال له من حضره: يا أمير المؤمنين أنفقت أموالك، وأتعبت رجالك وأطلقت عدوك بكلمة واحدة، لا يأمن أمير المؤمنين أن يتجرأ عليك أهل الشر، قال: ردوه، فلما مثل بين يديه، علم أنهم تحدثوا فيه عنده، فقال: يا أمير المؤمنين لا تطلع فى أسيرك أحدًا، فإن الله تعالى لو أطاع فيك غيرك ما استخلفك ساعة واحدة، فقال: خلو سبيله، لا يعاودنى أحد فيه.

* * *

(عداوة النساء)

* قال بعض الحكماء: النساء نار توهج، وسلم إلى كل بلاء، وهن مثل شجرة الدفلى، لها رونق، وبها ثمر، إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به.

* نظر بعض الصالحين إلى امرأة تتزين وتتعطر، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزاد جمالها، فقال لمن حوله: إنما المرأة مثل النار، إذا زيد فى حطبها تأججت واشتد حرها، وضاءت للناس، فهى حسنة المنظر، تحرق من دنا منها.

* قال بعض الحكماء: من كانت لذته فى النساء وقع فى أعظم البلاء.

* وقال: من أراد أن يعيش عيشة رغد، ويحيا حياة بلا نكد، فلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولا يومئ إليهن بطرفه ولا يده.

* روى فيهن: أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار، وأنهن يسرعن اللعن ويكثرن الطعن.

* ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «أنهن يكفرن العشير، وينكرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت من خير قط».

* نظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس، وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب (لا يدخل علىَّ من هذا الباب شىء من الشر)، فقالت له: (فامرأتك من أين تدخل؟).

* قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء».

* * *

(كرم الفضل بن يحيى)

ذكر عن الفضل بن يحيى بن خالد أنه ركب فى حشمه بموكبه إلى الصيد حين علا النهار، ثم أمر فضربت له المضارب، وأمر بالطعام فقدم بين يديه، فبينما هو

يأكل إذا هو بأعرابى على ناقة قد أشرف، فلما نظر الأعرابى إلى تلك المضارب والجيش والجنائب والغلمان، ما شك أنه هارون الرشيد، فنزل عن ناقته وعقلها، ثم دنا وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال الفضل: مه، فقال: السلام عليك أيها الوزير، فقال: مه، فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: قاربت، فأذن له، فدنا وأكل، فلما فرغ من الأكل قال الفضل: من أى العرب؟ قال: من ربيعة، فقال: أين تريد؟ قال: إلى الفضل بن يحيى، فقد شاع ذكره فى العرب وكرمه، فقصدته على الاسم والذكر بأبيات من الشعر، فقال: يا أخا العرب، قد ما لحناك ووجب نصحك علينا، وأنا عارف بالفضل فأنشدنا، فإن كان يصلح له وصلناك إليه، وإن لم يكن أعطيناك نفقة توصلك إلى أهلك وأنت على جاهك، فأنشد هذه الأبيات:

ولو قيل للمعروف: نادٍ أخا العلا

لنادى بأعلى الصوت يا فضل يا فضلُ

ولو أم طفل مضها جوع طفلها

وغذته باسم الفضل لاستعصم الطفلُ

فقال الفضل: أحسنت إنهما لبيتان جيدان، ولكن إذا قال لك الفضل: هذان بيتان لقيتهما من شعر العرب، وجئتنا لتخدعنا عن حاجتك، قال: أقول له: يأمر بإحضار كتاب فيه شعر فيفتحه، فأى وزن وقافية اشتهى عملت عليها بيتين، فقال: يا غلمان، احضروا كتابًا فيه أشعار، فحضر ففضه، فخرجت قصيدة ابن الجهم التى يقول فيها:

* عيون المها بين الرصافة والجسر *

فقال الفضل: هذا وزن سهل وقافية سهلة، فإن قال لك الفضل أريد أن تعمل أربعة أبيات يكون فى كل بيت منها اسم الفضل فما تصنع، فتفكر الأعرابى قليلًا ثم قال:

ولائمة لامتك يا فضل فى الندى

فقلت لها: وهل يقدح اللوم فى البحر

أرادت لتثنى الفضل عن عادة الندى

ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

مواقع جـــــود الفضل فى كل بلدة

مـواقع مـــاء المزن فى البلد القفر

كأن وفـــود الفضـــل حين تحملوا

إلى الفضل وافى عنـده ليلة القـدر

فقال: أحسنت يا أخا العرب، أنا الفضل: ما الذى أملته منى؟ فقال: ألف درهم استعين بها على حالى، فقال: يا غلام، ادفع له ألفًا وألفًا، ولم يزل يكررها حتى انقطع نفسه، فحصى ذلك ستة عشر ألفًا فأخذها الأعرابى وانصرف.

* * *

(خمس خصال)

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وسخروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

* * *

(الخليل وسيدنا إسماعيل)

روى أن إسماعيل ـ عليه السلام ـ لما رفع القواعد من البيت مع أبيه إبراهيم الخليل ـ صلوات الله عليهما ـ أوحى الله إلى إسماعيل: إنى معطيك كنزًا من

كنوزى لم أعطه أحدًا قبلك، فاخرج فناد بالكنز يلبك، فخرج ولم يدر ما ذلك الكنز ولا كيف الدعاء به حتى أتى أجيادًا من جبال مكة، فألهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل فنادى: يا خيل الله اركبى، فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذلله له، فأمكنه الله من نواصيها، وكانت قبل متأبدة كسائر الوحوش.

***

(علامة)

سأل رجل الجاحظ كتابًا بالوصية إلى رجل، فكتب له فى ورقة (كتابى إليك مع من لا أعرفه، ولا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أمدحك، وإن رددته لم أذمك)، فقرأها الرجل فى الطريق ففوجئ بهذا الكلام، فرجع إلى الجاحظ، فقال له الجاحظ: كأنك قرأت ما فى الورقة؟ قال: نعم، قال الجاحظ: لا يضيرك فإنه علامة لى إذا أردت العناية بشخص، فقال الرجل: قطع الله يديك ورجليك ولعنك، فقال الجاحظ: ما هذا، قال: هذه علامة لى إذا أردت أن أشكر أحدًا.

***

(رقية فاشلة)

كان رجل يسخر من الناس ويدعى أنه يرقى من وجع الضرب فيشفى، فكان إذا أتاه من يشتكى ضرسه قال إذا رقاه: إياك أن تذكر إذا صرت إلى فراشك القرد فإنك إن ذكرته بطلت الرقية، فكان الرجل إذا أوى إلى فراشه أول شىء يخطر على باله ذكر القرد، ويبيت على حاله من ذلك الوجع، فيغدوا إلى الذى رقاه فيقول له: كيف كنت البارحة؟ فيقول: بت وجعًا فيقول: لعلك ذكرت القرد، فيقول: نعم، فيقول: من ثم لم تنتفع بالرقية.

***

(الفرار من الموت)

تركها زوجها وحيدة بعد أن وافاه الأجل، وبقيت تصارع الحياة وتشقى لسعادة ابنها، وتكد وتعمل من أجله، قد رفضت الزواج مرارًا، وكانت لابنها الأب والأم والصديق، حتى أنها كانت تنتظره عند الباب حين يرجع من المدرسة، ولقد علمته وربته على الفضيلة فكان من أوائل الطلاب، وحين أتم دراسته الثانوية أراد أن يكمل تعليمه فى إحدى جامعات الدول العربية لكن الأم رفضت الفكرة فهى لا تطيق فراق ولدها الوحيد ولكن شغف الابن بالعلم و إلحاحه، جعله يقدم أوراقه، وأتم إجراءات السفر دون علم أمه حتى كانت ليلة السفر حيث أخبرها بأنه قد حجز تذكرة طيران إلى بغداد وأن موعد السفر غدًا، حزنت الأم ولكنها أخفت حزنها وفكرت فى طريقة تبقى معها ولدها بجوارها، وفى منتصف الليل أخفت الأم جواز سفره والتذكرة من حقيبته، وفى الصباح ودع الابن والدته وانصرف، وفى المطار منعه رجال الشرطة من المغادرة والسفر لأنه لم يجد جواز سفره والتذكرة فى حقيبته، فتذكر أن أمه لابد أنها أخفت الجواز والتذكرة، فرجع غاضبًا وتشاجر مع والدته ودخل غرفة نومه ونام، كانت الأم فى المطبخ تجهز طعام الغذاء، وكانت تسمع المذياع و إذا بصوت مذيع نشرة الأخبار يقول: لقد سقطت الطائرة المتجهة إلى بغداد وتوفى جميع ركابها، ففرحت الأم لنجاة ولدها وعدم سفره وذهبت إليه مسرعة لتخبره بالقصة فأرادت استيقاظه، فوجدته قد فارق الحياة على فراشه.

حقًا ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٨]، وحقًا ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤] صدق الله العظيم.

***

(شعراء مصر عند الوالى)

كان من أدب شعراء مصر أن يأتوا الوالى كل سنة فى عيد الأضحى ليهنوه بالقصائد، فينالوا الجوائز، وبينما كانوا لديه إذا هاجت العواصف، وحدثت زلزلة ارتجت منها ديار مصر، فالتفت الوالى إلى أولئك الشعراء قائلًا لهم: هل منكم من يطرفنا بديهيًّا بشعر تطمئن به أفئدتنا، وتلألأ به فرحًا وجوهنا، يكون مضمونه هذه الزلزلة؟ فقال بعضهم مرتجلًا:

يا حاكم الفضل إن الحق متضح ... لدى الأنام أيَا ابن السادة النجب

ما زلزلت مصر من كيد أَلَمَّ بها ... لكنها رقصت من عدلكم طربا

فملئ الوالى سرورًا وقال: املئوا فمه لآلئًا وذهبًا.

* * *

(خذ الجار قبل الدار)

يروى أن رجلًا كان جارًا لأبى دلف ببغداد فأدركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره، وطلب ثمنًا لها ألف دينار، فقالوا له: إن دارك لا تساوى أكثر من خمسمائة دينار، فقال: أجل ولكننى أبيعها بخمسمائة وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى، فبلغ القول أبا دلف، فأمر بقضاء دينه ووصله وواساه، ولله در القائل:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلى ... ولم يعلموا جار هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

* * *

(طبع كريم)

لما مات حاتم الطائى تشبه به أخوه، فقالت له أمه: يا بنى أريد أن تحذو حذو أخيك، فإنك لن تبلغ ما بلغه فلا تتعبن فيما لا تناله، فقال: وما يمنعنى وقد كان

شقيقى وأخى من أمى وأبى؟ فقالت: إنى لما ولدته كنت كلما أرضعته، يرفض أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدى الآخر، وكنت إذا أرضعتك ودخل صبى بكيت حتى يخرج.

* * *

(اللهم ارزقنا السابعة)

كان رجل يُرزق بإنجاب البنات فكانت عنده ستًّا منهن، وكانت زوجته حاملًا، فكان يخشى أن تلد بنتًا وهو يرغب فى الولد، فعزم فى نفسه على طلاقها والزواج بأخرى إن هى جاءت ببنت! ونام تلك الليلة، فرأى فى نومه كأن القيامة قد قامت، وحضرت؟ فكان كلما أخذوا به إلى أحد أبواب النار وجد إحدى بناته تدافع عنه، وتمنعه من دخول النار حتى مر على ستة أبواب من أبواب جهنم، وفى كل باب تقف إحدى البنات لتحجزه من دخول النار سوى الباب السابع، فانتبه مزعورًا وهو يصرخ ويقول: اللهم ارزقنى بنتًا سابعة، اللهم ارزقنى بنتًا سابعة، وعرف خطأ ما نواه وما عزم عليه فندم على ذلك واستغفر ودعا ربه وقال: اللهم ارزقنى سابعة.

* * *

(أربع لا يشبعن من أربع)

عن النبى ﷺ قال: «أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم».

* * *

(شهادة الحمير)

ذكر الزبير بن بكار أن رجلًا يجمع الرجال والنساء على الفساد ويعمل لهم الشراب، وقد أفسد الأحداث، فشكاه الناس إلى الوالى، فنفاه إلى خارج أسوار

المدينة، لكنه بنى منزلًا وعاد لسيرته، وطلب من الأحداث أن يعودوا لما كانوا عليه، فقالوا: كيف الوصول وأنت بالخارج؟ فقال: حمار بدرهمين تستأجرونه، وقد صرتم إلى الأمن والنزهة لأنكم ابتعدتم عن المدينة، ففعلوا، فأعاد الناس الشكوى للوالى، فطلبه الوالى وقال: يا عدو الله طردناك فسرت بفسادك لمنفاك، فقال الرجل: يكذبون علىَّ أصلح الله الأمير، فقال الناس: ندلك أصلحك الله على ما نقول، أن تأمر بحمير الكراء وترسلها خارج المدينة فإن ذهبت إلى بيته خارج المدينة دون غيره فنحن صادقون، فقال الوالى: إن فى هذا دليلًا عادلًا، ثم أرسلت الحمير فصارت إلى منزله، فقال الوالى: ما بعد هذا شىء، جردوه لنقيم عليه الحد، فلما نظر الرجل إلى السياط قال: لابد أصلحك الله من ضربى، قال الوالى: نعم يا عدو الله، قال: ما فى ذلك شىء هو أشد علىَّ من أن يشمت بنا أهل الأمصار ويضحكون منا ويقولون: إننا نجيز شهادة الحمير، فضحك الوالى وخلى سبيله.

***

(أشأم من طويس)

طويس رجل يضرب به المثل فى الشؤم، وهو رجل من المدينة لبنى مخزوم واسمه عيسى بن عبد الله، وهو أول من أظهر المجون بالمدينة، وكان مغنيًا يضرب بالدف، فسئل عن مولده، فقال: ولدت يوم مات رسول الله ﷺ، وفطمت يوم مات أبو بكر الصديق، وختنت يوم قتل عمر بن الخطاب، وتزوجت يوم قتل على بن أبى طالب، لذلك يقولون فى المثل (أشأم من طويس).

***

(طلق خمسة فى ساعة)

كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهم يومًا فوجدهن متنازعات مختلفات، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ولا أظن هذا الأمر إلا من قِبَلِك أنت (يقول ذلك لامرأة منهن)

اذهبى فأنت طالق، فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت محقًّا، فقال لها: وأنت طالق، فقالت الثالثة: قبحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين، فقال: وأنت أيتها المعددة طالق أيضًا، فقالت له الرابعة: ضاق صدرك على أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت أيضًا طالق، وكان ذلك بسمع جارة له، فأشرفت عليه، وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه وشاهدوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسائك الأربع فى ساعة واحدة، فقال لها: وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك، فأجابه من داخل بيته: قد أجزت، قد أجزت.

***

(قصة هاروت وماروت)

عن عبد الله بن عمر قال: سمعت نبى الله ﷺ يقول: «إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض، قالت الملائكة: أى ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم، قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فتنظروا كيف يعملان، قالوا: ربنا! هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومُثلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها، قالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك، فقالا: لا والله! لا نشرك بالله شيئًا أبدًا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبى، فقالا: لا والله! لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله! حتى تشربا هذا الخمر، فشربا حتى سكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى، فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا مما أبيتماه إلا فعلتماه حين سكرتما، فخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختار عذاب الدنيا.

وقال معاذ: لما أن أفاقا جاءهما جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل وهما يبكيان، فبكى معهما وقال لهما: ما هذه البلية التى أجحف بكما بلاؤها وشقاؤها فبكيا إليه، فقال لهما: إن ربكما يخيركما بين عذاب الدنيا وأن تكونا عنده فى الآخرة فى مشيئته، إن شاء الله، فاختارا عذاب الدنيا، وأن يكونا فى المشيئة عند الله، قال: فهما ببابل فارس معلقين بين جبلين فى غار تحت الأرض، يعذبان كل يوم طرفى النهار إلى الصبيحة، ولما رأت ذلك الملائكة خفقت بأجنحتها فى البيت، ثم قالوا: اللهم اغفر لولد آدم، عجبًا كيف يعبدون الله ويطيعونه على ما لهم من الشهوات واللذات؟

* * *

(حقارة الدنيا)

* روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال تحقيرًا للدنيا: (أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة).

* يقول الشافعى:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ... وليتنا لا نرى ممن نرى أحدًا

إن الكلاب لتهدأ فى مرابضها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدًا

* أراد أعرابى السفر، فقال لامرأته:

عدى السنين لغيبتى وتصبرى ... وذرى الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

فاذكر صبابتنا إليك وشوقنا ... وارحم بناتك إنهن صغار

فأقام وترك السفر.

* * *

(أروغ من ثعالة)

قال الشاعر:

فاحتلت حين حرمتنى والمرء يعجز لا محالة
والهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعالة
والمرء يكسب ماله والشح يورثه الفسالة
والعبد يقرع بالعصا الحر تكفيه المقالة

***

(الفقير)

يقول ابن الأحنف:

يمشى الفقير وكل شىء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضًا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يومًا فقيرًا عابرا نبحت عليه وكشرت أنيابها

***

(كرم أسماء بن خارجة)

كان أسماء بن خارجة يقول: ما أحب أن أرد أحدًا عن حاجة لأنه إن كان كريمًا أصون عرضه، أو لئيمًا أصون عنه عرضى.

***

(الإيثار)

* حكى عن حذيفة العدوى أنه قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى، ومعى شىء من الماء، وأنا أقول إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به بين القتلى مجروحًا، فقلت له: أسقيك فأشار إلىَّ أن نعم، فسمع برجل يقول: آه فأشار إلىَّ ابن عمى أن انطلق واسقه، فإذا هو هشام بن العاص قلت: أسقيك؟ فأشار إلىَّ أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، فأشار إلىَّ أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات.

* وحكى أبو محمد الأزدى قال: لما احترق المسجد بمرو وظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا حاناتهم، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الحانات، وكتب رقاعًا فيها القطع، والجلد، والقتل، ونثرها عليهم، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال: والله ما كنت أبالى لولا أم لى، وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له: فى رقعتى الجلد، وليس لى أم، فخذ أنت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل، فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل.

* * *

(كرم يزيد بن المهلب)

حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقًا يحلق رأسه فجاءوه بحلاق، فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم، فتحير الحلاق، ودهش وقال: آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضى إلى أم فلان وأخبرها أنى قد استغنيت، فقال يزيد: أعطوه خمسة آلاف أخرى، فقال الحلاق: امرأتى طالق إن حلقت رأس أحد بعدك.

* * *

(كريم حتى بعد موته)

حكى أن قومًا من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره، فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له: هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى (أى ناقة قوية)؟ وكان الميت قد خلف نجيبًا، وكان للرائى بعير سمين فقال: نعم، وباعه فى النوم بعيره بنجيبه، فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر إلى البعير فنحره فى النوم، فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيل من نحر بعيره، فقام وأتم نحره، وقطع لحمه وطبخوه، وأكلوا ثم رحلوا، وساروا.

فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون، استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى: هل فيكم فلان ابن فلان؟ فقال صاحب البعير: نعم ها أنا فلان ابن فلان، فقال: هل بعت من فلان الميت شيئًا؟ قال: نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم، فقال: هذا نجيبه فخذه، وأنا ولده ولقد رأيته فى النوم وهو يقول: إن كنت ابنى فادفع نجيبى إلى فلان.

فانظر إلى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته.

***

(خطر الكذب)

قال يحيى بن خالد: رأيت شارب خمر نزع (أى ترك الخمر)، ولصًّا أقلع (أى تاب عن السرقة)، وصاحب فواحش رجع، ولم نر كذابًا صار صادقًا.

***

(بخل أهل مرو)

من الموصوفين بالبخل أهل مرو، يقال: إن من عادتهم إذا ترافقوا فى سفر أن يشترى كل واحد منهم قطعة لحم، ويشكها فى خيط، ويجمعون اللحم كله فى قدر،

ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه، فإذا استوى، جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق.

***

(أبو الكرم حاتم الطائى)

* حُكى أن ملكان ابن أخى ماوية زوجة حاتم الطائى قال: قلت لماوية: يا عمه حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه، فقالت: يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه: أصابت الناس سنة أذهبت الخلف والظلف، وقد أخذنى وإياه الجوع وأسهرنا، فأخذت ابنتى سفانة، وأخذ عديًا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل علىَّ يحدثنى، ويعللنى بالحديث حتى أنام فرفقت به، لما به من الجوع، فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى: أنمت فلم أجبه، فسكت ونظر فى فناء الخباء، فإذا شىء قد أقبل، فرفع رأسه فإذا امرأة، فقال: ما هذا؟ فقالت: يا أبا عدىّ أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب، أو كالذئاب جوعًا فقال لها: أحضرى صبيانك فوالله لأشبعنهم فقامت سريعة لأولادها، فرفعت رأسى وقلت: يا حاتم بماذا تشبع أطفالها، فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل؟ فقال: والله لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها، فلما جاءت المرأة نهض قائمًا وأخذ المدية بيده وعمد إلى فرسه فذبحه، ثم أجج نارًا، ودفع إليها شفرة وقال: قطعى وأشوى وكلى، أطعمى صبيانك فأكلت المرأة، وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادى، وأكلت وأطعمتهم، فقال: والله إن هذا هو اللؤم، تأكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم، ثم أتى إلى بيتٍ بيتٍ يقول لهم: انهضوا عليكم بالنار، فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية، فوالله ما أصبحوا على وجه الأرض منها قليل ولا كثير، إلا العظم والحافر، والله ما ذاقها حاتم وأنه لأشدهم جوعًا.

* وأغار قوم على طىء فركب حاتم فرسه، وأخذ رمحه ونادى جيشه وأهل عشيرته، ولقى القوم فهزمهم وتبعهم، فقال له كبير أعدائه: يا حاتم هب لى رمحك

فرمى به إليه، فقيل لحاتم: عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك، فقال: قد علمت ذلك، ولكن ما جواب من يقول هب لى؟

* * *

(بخل محمد بن يحيى)

قيل لبعض الناس: أما يكسوك محمد بن يحيى؟ فقال: والله لو كان له بيت مملوء إبرًا وجاء يعقوب عليه السلام ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء، يستعير منه إبرة ليخيط قميص يوسف الذى قُدَّ من دُبُرٍ ما أعاره إياها، فكيف يكسونى؟ وقد نظم ذلك من قال:

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت ... إبرًا يضيق بها فناء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

* * *

(بخل مروان بن أبى حفصة)

* اشترى مروان يومًا لحمًا بدرهم، فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه لوليمة عنده، فرد اللحم على القصاب (الجزار) بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول: هذا لحم مروان.

* واحتاز مروان يومًا بأعرابية فأضافته، فقال: إن وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهمًا، فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق.

* قال الهيثم بن عدى: نزل على مروان بن أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه (أى ضيافته) فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه:

يا أيها الخارج من بيته ... هاربًا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له ... فارجع وكن ضيفًا على الضيف

(بخل محمد بن الجهم)

* قال محمد بن الجهم: وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء، وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى واستسهلوا شتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد إلىَّ أمل آمل، ولا يبسط نحوى رجاء راج.

* وقال له أصحابه يومًا: إنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالسنا، فقال: علامة ذلك أن أقول: يا غلام هات الغداء.

* * *

(رجل من البخلاء)

قال رجل من البخلاء لأولاده: اشتروا لى لحمًا، فاشتروه فأمر، بطبخه فلما استوى: أكله جميعه حتى لم يبق فى يده إلا عظمة، وعيون أولاده ترمقه، فقال: ما أعطى أحدًا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها، فقال ولده الأكبر: أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها عقيلًا، قال: لست بصاحبها، فقال الأوسط: ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هى، أم لعامين، قال: لست بصاحبها، فقال الأصغر: يا أبت، أمصها، ثم أدقها وأسفها سفًّا، قال: أنت صاحبها، وهى لك زادك الله معرفة وحزمًا.

* * *

(حلم الرشيد)

غضب الرشيد على حميد الطوسى، فدعا له بالنطع (بساط من الأديم يقتل الإنسان عليه) كما دعا بالسيف فبكى حميد، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لابد منه، وإنما بكيت أسفًا على خروجى من

الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علىَّ، فضحك، وعفى عنه، وقال: إن الكريم إذا خادعته انخدع.

* * *

(أحسن المدح)

مدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له هشام: يا هذا قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه، فقال: ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرًا، فقال هشام: هذا أحسن من المدح، ووصله وأكرمه.

* * *

(جحدر بن ربيعة والحجاج)

كان جحدر بن ربيعة العكلى بطلًا شجاعًا، شاعرًا فاتكًا، له وقائع عظيمة هائلة، قهر أهل اليمامة، وأبادهم، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه، ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله إليه أسيرًا، فوجه العامل إليه فتية من بنى حنظلة، وجعل لهم جعلًا عظيمًا إن هم قتلوا جحدرًا أو أتوا به أسيرًا، فتوجه الفتية فى طلبه، حتى كانوا قريبًا منه، وأرسلوا يقولون له: إنهم يريدون الانقطاع إليه والارتفاق به، فوثق بذلك منهم، وسكن إلى قولهم، فبينما هو معهم يومًا، وثبوا عليه فشدوا وثاقه، ثم قدموا به على العامل، فوجه به إلى الحجاج معهم، فلما قدموا به عليه ومَثُل بين يديه قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: ما جرأك على ما بلغنى عنك؟ قال: كلب الزمان وجفوة السلطان وجرأة الجنان، قال: وما بلغ من أمرك؟ قال: لو ابتلانى الأمير، وجعلنى مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه، قال: فتعجب الحجاج من ثبات عقله، ومنطقه، ثم قال: يا جحدر إنى قاذف بك فى حاجر (حفرة) فيه أسد عظيم فإن قتلك كفانا مؤنتك، وإن قتلته عفونا عنك، قال: أصلح الله الأمير، قرب الفرج - إن شاء الله تعالى -، فأمر به فصفدوه

بـالحديد، ثم كتب إلى عـامله أن يرتاد له أسدًا ويحـمله إليه فتحيل العامل وارتاد له أسـدًا كان كاسـرًا خبيثًا قـد أفنى عامـة المواشـى، فتحيلوا حـتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسحبـوه على عجل فلما قدمـوا به على الحجاج أمر به، فـألقى فى الحاجر، ولم يطعم شيئًا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب، ثم أمر بجحدر، فلما نظر الأسد إلى جحـدر نهـض ووثب، وتمـطى وزعق زعقـة دويت منهـا الجبـال، وارتـاعت أهل الأرض، فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول:

ليث وليث فى مجال ضنك كلاهمـــا ذو قـوة وسفك
وصـــولة وبطشـــة وفتك إن يكشف الله قنـاع الشك
فأنت لى فى قبضتى وملكى

ثـم دنا منه، وضـربه بسيفه، ففلـق هامته، فكـبر الناس، وأعجـب الحجاج ذلك، وقـال: لله درك ما أنجبك، ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك قيوده وقال له: اختر إما أن تقيـم معنا فنكـرمك ونقرب منـزلتك، وإما أن نـأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك، على أن تضمن لنا أن لا تحدث حدثًا، ولا تؤذى أحدًا، قال: بل أختار صحبتك أيها الأمير فجعله من خواصه.

***

(شكر الحواس)

قال أبـو هارون: دخلت على أبى حازم فقلت له: يـرحمك الله، ما شكر العينين؟ قـال: إذا رأيت بهـما خيـرًا ذكرتـه، وإذا رأيت بهمـا شرًّا سـترته، قلت: فـما شـكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيرًا حفظته، وإذا سمعت بهما شرًّا نسيته.

***

(أضيع الأشياء)

سئل بعض الحكماء: ما أضيع الأشياء؟ قال: مطر الجود فى أرض سبخة لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، وسراج يوقد فى الشمس، وجارية حسناء تزف إلى أعمى، وصنيعة تسر (أى تعطى) إلى من لا يشكرها.

***

(العباس صاحب شرطة المأمون)

قال العباس صاحب شرطة المأمون: دخلت يومًا مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما رآنى قال لى: عباس؟ قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: خذ هذا إليك فاستوثق منه، واحتفظ به وبكر به إلىَّ فى غد، واحترز عليه كل الاحتراز، قال العباس: فدعوت جماعة فحملوه، ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى: مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين مع الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معى فى بيتى، فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو؟ فقال: أنا من دمشق، فقلت: جزى الله دمشق وأهلها خيرًا، فمن أنت من أهلها؟ قال: وعمن تسأل؟ قلت: أتعرف فلانًا؟ قال: ومن أين تعرف ذلك الرجل؟ فقلت: وقع لى معه قضية، فقال: ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقلت: ويحك، كنت مع بعض الولاة بدمشق، فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم، فبينما أنا هارب فى بعض الدروب وإذا بجماعة يعدون خلفى، فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم، فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره، فقلت أغثنى أغاثك الله، قال: لا بأس عليك، ادخل الدار، فدخلت، فقالت زوجته: أدخل تلك المقصورة، فدخلتها، ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت إلا وقد دخل والرجال معه يقولون: هو والله عندك، فقال:

دونكم الدار فتشوها، ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها، فقالوا: هو ههنا، فصاحت بهم المرأة ونهرتهم، فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة، وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من الخوف، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال: لا تخف قد صرف الله عنك شرهم، وصرت إلى الأمن والدعة ـ إن شاء الله تعالى ـ، فقلت له: جزاك الله خيرًا، فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها، وأفرد لى مكانًا فى داره، ولم يحوجنى إلى شىء ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه إلى أن سكنت الفتنة وهدأت، وزال أثرها فقلت له: أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى؟ فلعلى أقف منهم على خبر، فأخذ علىَّ المواثيق بالرجوع إليه، فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرًا فرجعت إليه وأعلمته الخبر، وهو مع هذا كله لا يعرفنى، ولا يسألنى، ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى إلا بالكنية، فقال: علام تعزم؟ فقلت: عزمت على التوجه إلى بغداد، فقال: القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج، وها أنا قد أعلمتك فقلت له: إنك تفضلت علىَّ هذه المدة، ولك علىَّ عهد الله أنى لا أنسى لك هذا الفضل، ولأوفينك مهما استطعت، قال: فدعا غلامًا له أسود وقال له: أسرج الفرس الفلانى، ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى: أظن أنه يريد أن يخرج إلى ضيعة أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب، فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى السحر وقال لى: فلان قم فإن القافلة تخرج الساعة، وأكره أن تنفرد عنها، فقلت فى نفسى: كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبًا؟ ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس، وخفين جديدين، وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى، ثم قدم بغلًا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع إلىَّ نسخة ما فى الصندوقين، فيهما خمسة آلاف درهم، وقدم إلى الفرس الذى كان جهزه وقال: اركب، وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك، وأقبل هو وامرأته يعتذران إلىَّ من التقصير فى أمرى، وركب معى يشيعنى، وانصرفت إلى بغداد، وأنا أسأل عنه، فلما سمع الرجل

الحديث قال: قد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا ذلك الرجل، وإنما الضر الذى أنا فيه قد غيَّر عليك حالى وما كنت تعرفه منى، ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته، فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه، ثم قلت له: فما الذى أصارك إلى ما أرى؟ فقال: هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت إلىَّ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد فأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقيدت وبعث بى إلى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم، وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة، وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية، وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف إلى أهلى بخبر، وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد، فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت بوفاء عهدك، قال العباس: فقلت يصنع الله خيرًا، ثم أحضر حدادًا فى الليل وفك قيوده، وزال ما كان عليه من الأنكال، وأدخله حمام داره، وألبسه من الثياب ما احتاج إليه، ثم سير من أحضر إليه غلامه، فلما رآه جعل يبكى ويوصيه، فاستدعى العباس نائبه وقال: علىَّ بالفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة، ثم عشرة من الصناديق، ومن الكسوة كذا وكذا، ومن الطعام كذا وكذا، قال ذلك الرجل: وأحضر لى بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيسًا فيه خمسة آلاف دينار، وقال لنائبه فى الشرطة: خذ هذا الرجل وشيعه إلى حد الأنبار، وقلت له: إن ذنبى عظيم عند أمير المؤمنين وخطبى جسيم، وإن أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرادوا قتلى، فقال لى: انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى، فقلت: والله ما أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضورى حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على ما يقول، فليكن فى موضع كذا، فإن أنا سلمت فى غداة غدٍ أعلمته، وإن أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه، وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم، وتجتهد فى إخراجه من بغداد، قال

الرجل: فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به، وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنًا، قال العباس: فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا وأرسل المأمون فى طلبى يقولون: يقول لك أمير المؤمنين: هات الرجل معك وقم، قال: فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فإذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينظرنا فقال: أين الرجل؟ فسكت، فقال: ويحك أين الرجل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول، فقال: لله علىَّ عهد، لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك، فقلت: لا والله، يا أمير المؤمنين ما هرب، ولكن اسمع حديثى وحديثه، ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت، وقصصت عليه القصة جميعها، وعرفته أننى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى، وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين: إما أن يصفح عنى، وقد وفيت وكافأت، وإما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت، وها كفنى يا أمير المؤمنين، فلما سمع المأمون الحديث قال: ويلك، لا جزاك الله عن نفسك خيرًا، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير؟ هلا عرفتنى خبره، فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه ههنا، قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى، فإن احتجت إلى حضوره حضر، فقال المأمون: وهذه منه أعظم من الأولى، اذهب الآن إليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته عنك، قال: فأتيت إليه وقلت: ليزل عنك حزنك، إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه، ثم قام فصلى ركعتين، ثم ركب وجئنا، فلما مَثُل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى، فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها، وعشرة أبغال بآلاتها، وعشر بدر، وعشرة آلاف دينار، وعشرة مماليك بدوابهم، وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به، وأطلق خراجه، وأمر بمكاتبته بأحوال دمشق، فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى: يا عباس هذا كتاب صديقك.

(أبو دلامة والهجاء)

دخل أبو دلامة على المهدى وعنده إسماعيل بن على، وعيسى بن موسى، والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى: والله لأن لم تهج واحدًا ممن فى هذا البيت لأقطعن لسانك، فنظر إلى القوم وتحير فى أمره، وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه، قال أبو دلامة فازددت حيرة، فما رأيت أسلم من أن أهجو نفسى فقلت:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة ... فلست من الكرام ولا كرامة
جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
إذا لبس العمامة قلت قردا ... وخنزيرًا إذا نزع العمامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه.

* * *

(رؤوس الناس والزمان)

قال عبد الملك بن عمير: رأيت رأس الحسن بن على رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب، ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك، قال سفيان: فقلت له: كم كان بين أول الرءوس وآخرها؟ قال: اثنتا عشرة سنة.

* * *

(ولد اسمه حمزة)

كان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة، فبينما هو يمشى مع أبيه، إذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله، فلم يجبه ذلك الشاب فقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى؟ فالتفت أبو حمزة إلى ابنه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى

بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان من الغد إذا برجل ينادى شابًّا يا حمزة، فقال حمزة بن الأعرابى: كلنا حماميز الله، فأى حمزة تعنى؟ فقال له أبوه: ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه.

* * *

(كيف الفرج يا رسول الله؟)

روى فى الخبر: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفرج بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض، أليس يصيبك الأذى، أليس تحزن؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فهذا ما تجزون به» يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك.

* * *

(درجة عالية)

مر موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ برجل كان يعرفه مطيعًا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه، وأضلاعه، وكبده، ملقاة على الأرض فوقف متعجبًا فقال: أى ربى عبدك ابتليته بما أرى؟ فأوحى الله تعالى إليه أنه سألنى درجة لم يلقها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة.

* * *

(اليسر بعد العسر)

* قال الإمام على بن أبى طالب:

إذا اشتملت على البؤس القلوب وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست فى مكامنها الخطوب

ولم تر لانكشـــاف الضر وجها ولا أغنى بحيلتـــــــه الأريب
أتاك على قنـــوط منك غـــوث يمن به اللطيـف المستجيـــب

* ويقول آخر:

تصبَّر أيها العبـــد اللبيب لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءهـــا فرج قريب

* ويقول إبراهيم بن العباس:

ولرُبَّ نازلة يضيـــق بهـــا الفتى ذرعًا وعنـــد الله منهـــا المخـــرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَت وكنت أظنهـــــا لا تفـرج

* * *

(ديسيموس اليونانى)

ديسيموس رجل يـونانى، له نوادر عجيبة، منها: شتمه رجلٌ كلامًا غليظًا وسطا عليه وأفحش فـى القول، ولكن ديسيـموس تحلم عنه ولم يجبه، فقيل له: ما منعك من مكافأته وهو لك معرض؟ وما منعك من أن ترد عليه؟ قال ديسيموس: أرأيت لو رمحك حمـار أكنت ترمحه؟ قـال: لا، قال: فإن السفيه إما أن يكـون حمارًا و إما أن يكون كلبًا، لأنه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل، وما أكثر ما يجتمعان فيه!

* * *

(شجاعة سيف الدولة)

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه، قال: لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد ابن طغج، سار إليهـا سيف الدولـة الحمدانـى فافتتحهـا، وهزم عسـاكره عن صفين فقال المتنبى له:

يا سيف دولة ذى الجلال ومن له خير الخـــــلائف والأنام سَمِيُّ
أوَ مـــا ترى صفين كيف أتيتهـــا فانجـــاب عنهـا العسكر الغربيُّ

فكأنه جيش ابن حرب رعتـــــه حتى كأنـــــك يا عـلىَّ عـلىٌّ

* * *

(بخل أهل مرو)

مرو هذه من بلاد خرسان، واشتهر أهل مرو بالبخل، ولقد أورد الجاحظ فيهم الكثير ننتقى بعضه:

* يقول المروزى للزائر إذا أتاه، وللجليس إذا طال جلوسه: تغذيت اليوم؟ فإن قال: نعم قال: لولا أنك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب و إن قال: لا، قال: لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح، فلا يصير فى يده على الوجهين قليل ولا كثير.

* قال ثمامة بن أشرس النميرى: لم أر الديك فى بلد قط إلا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإنى رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما فى مناقيرها من الحب! قال: فعلمت أن بخلهم شىء فى طبع البلاد، وفى جواهر الماء فمن ثم عَمَّ جميع حيوانهم، فحدثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد فقال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبى له صغير يلعب بين يديه، فقلت له إما عابثًا أو ممتحنًا: أطعمنى من خبزكم، قال: لا تريده هو مر! فقلت: فاسقنى من مائكم، قال: لا تريده، هو مالح! قلت: هات من كذا وكذا قال: لا تريده، هو كذا وكذا! إلى أن عددت أصنافًا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إلىَّ! فضحك أبوه، وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمه ما تسمع! يعنى أن البخل طبع فيهم وفى أعراقهم وطينتهم.

* ومن أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشايخنا على وجه الدهر وذلك أن رجلًا من أهل مرو كان لا يزال يحج ويتجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤنته، ثم كان كثيرًا ما يقول لذلك العراقى: ليت أنى قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك لقديم إحسانك، وما تجدد لى من البر فى كل قدمه، فأما هاهنا فقد أغناك الله عنى، قال: فعرضت لذلك العراقى بعد دهر طويل حاجة فى تلك الناحية، فكان

مـما هون عليه مـكابدة السفـر، ووحشة الاغتراب، مـكان المروزى هنـاك، فلما قدم مضى نحوه فى ثيـاب سفره وفى عمامته وقلـنسوته وكسائه، لـيحط رحله عنده، كما كـان يصنع الـرجل بثقته ومـوضع أنسه، فلمـا وجده قـاعدًا فى أصحـابه أكبَّ عليه وعـانقه فلم يـره أثبـته، ولا سأل به سـؤال من رآه قـط، قال العـراقى فى نـفسه: لعل إنكاره إياى لمكـان القناع، فرمى بقناعه وابتدأ مسألته، فكان له أنكر، فقال: لعله أن يكون إنـما أُتى من قِبَل العمامـة، فنزعها، ثم انتـسب وجدد مسألته، فـوجده أشد ما كان إنكارًا، قال: فلعله إنـما أُتى من قِبَل القلنسـوة، وعلم المروزى أنه لم يبق شىء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، قال: لو خرجت من جلدك لم أعرفك.

***

(علمه حيلة فوقع فى أسرها)

روى أبو الحسن عن أبى مريـم قال: كان عنـدنا بالـمدينة رجـل كثر عليه الدين حتـى توارى عن غرمـائه ولزم منـزله، فأتاه غـريم له على شىء يـسير، فتلطف حتى وصل إلـيه، فقال لـه: ما تجعل لـى إن أنا دللـتك على حيلـة تصير بـها إلى الـظهور والسلامـة من غرمائك؟ قـال: أقضيك حقك وأزيدك مـما عندى بمـا تقر به عينك، فتوثَّق منه بالأيمـان، فقال له: إذا كـان غدًا قبـل الصلاة مر خـادمك يكنـس بابك وفـناءك ويرش، ويبسط على دكانك حصيرًا، ويضع لك متكأ، ثم أمهل حتى تصبح ويمر النـاس، ثم تجلس وكل من يمر عليك، ويـسلم، انبح له فى وجهه، ولا تزيدن على النـباح أحد كائنًا من كـان، ومن كلمك من أهلك، أو خدمك، أو من غيرهم، أو غريم أو غيره، حتـى تصير إلى الوالى فـإذا كلمك فانبح له، وإيـاك أن تزيده أو غيره على النبـاح، فإن الوالى إذا أيقن أن ذلك منك جد لم يشك أنه قد عرض لك عارض من مس، فيخلى عنك ولا يغرى عليك، قال ففعل.

فمر به بعض جيرانه فسلم عليه فنبح فى وجهه، ثم مر آخر ففعل مثل ذلك، حتى تـسامع غرماؤه، فـأتاه بعضهم فسلـم عليه فلم يزده على النبـاح، ثم آخر، فتعلقوا به

فرفعوه إلى الوالى، فسأله الوالى فلم يزده على النباح، فرفعه إلى القاضى، فلم يزده على لذلك، فأمر بحبسه أيامًا، وجعل عليه العيون فى منزله، وجعل لا ينطق بحرف إلا النباح، فلما رأى القاضى ذلك أمر غرماؤه بالكف عنه وقال: هذا رجل به لَمَم (جنون).

فمكث ما شاء الله تعالى ثم إن غريمه الذى علمه الحيلة أتاه متقاضيًا لِعِدَته، فلما كلمه جعل لا يزيده على النباح فقال له: ويلك يا فلان وعلىَّ أيضًا، وأنا علمتك هذه الحيلة؟ فجعل لا يزيده على النباح، فلما يئس منه انصرف يائسًا مما يطالب به.

***

(قسمة الدجاج)

قال أبو الحسن: حدثنى أعرابى كان ينزل بالبصرة قال: قدم أعرابى من البادية فأنزلته، وكان عندى دجاج كثير، ولى امرأة وابنان وابنتان منها، قلت لامرأتى: بادرى واشوى لنا دجاجة وقدميها إلينا نتغداها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعًا أنا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابى.

قال: فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له: اقسمها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه فقال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتى قسمتها بينكم، قلنا: فإنا نرضى، فأخذ رأس الدجاجة فقطعه فناولنيه وقال: الرأس للرأس، وقطع الجناحين وقال: الجناحان للابنين، ثم قطع الساقين فقال: الساقان للابنتين، ثم قطع الزِّمكى أى الذنب وقال: العجز للعُجُز (جمع عجوز)، ثم قطع الزور وقال: الزور للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا.

فلما كان من الغد قلت لامرأتى: اشوى لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلت: اقسم بيننا، قال: إنى أظن أنكم وجدتم فى أنفسكم، قلنا: لا، لم نجد فى أنفسنا فاقسم، قال: أقسم شفعًا أ وترًا؟ قلنا: اقسم وترًا، قال: أنت وامرأتك ودجاجة

ثلاثة، ثم رمى إلينا بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة ثم رمى إليهما بدجاجة، وابنتاك ودجاجة ثلاثة ثم رمى إليهما بدجاجة، ثم قال: أنا ودجاجتين ثلاثة وأخذ دجاجتين وسخر بنا.

قال: فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال: ما تنظرون، لعلكم كرهتم قسمتى الوتر لا يجىء إلا هكذا، فهل لكم فى قسمة الشفع؟ قلنا: نعم فضمهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة، ثم قال: والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهن بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة، وضم إليه الثلاث، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم لك الحمد أنت فهمتنيها.

***

(وصية أبى بكر لخالد بن الوليد)

قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد: فر من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت توهب لك الحياة.

***

(التيسير على المعسر)

* عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إنى معسر، قال الله قال الله، قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينجيه الله عن كرب يوم القيامة فليُنَفِّس عن معسر أو يضع عنه» رواه مسلم وغيره.

* وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله تعالى: نحن أحق بذلك، تجاوزوا عنه» رواه مسلم والترمذى.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من نَفَّس عن مسلم كربة من

كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

* * *

(عمر بن عبد العزيز والخلافة)

لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما: أشيرا علىَّ فقال له سالم: اجعل الناس أبًا وأخًا وابنًا، فبرّ أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك.

* * *

(أكرم رجل بعد أمير المؤمنين)

لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس اختفى رجال بنى أمية، ومنهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان إبراهيم رجلًا عالمًا أديبًا كاملًا، وهو فى سن الشيبة، فأخذوا له أمانًا من السفاح أمير المؤمنين العباس، فقال السفاح لإبراهيم يومًا: حدثنى عما مر بك فى اختفائك، قال: كنت يا أمير المؤمنين مختفيًا بالحيرة فى منزل شارع مفتوح على الصحراء، فبينما أنا على ظهرالبيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فتخيلت أنها تريدنى فخرجت من الدار متنكرًا، حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدًا أختفى عنده فبقيت فى حيرة فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة، فدخلت فيها، فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة، ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فقلت: رجل خائف على دمه، وقد استجار بمنزلك، فأدخلنى منزله، ثم صيرنى فى حجرة تلى حرمه، وكنت عنده فى كل يوم على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس، ولا يسألنى عن شىء من حالى إلا أنه يركب فى كل يوم مركبه، فقلت له يومًا: أراك

تـدمن الركوب، ففيـم ذلك؟ قال: إبراهيـم بن سليمان قتل أبـى صبرًا وقد بلغنى أنه متخفى فـى الحيرة، فأنـا أطلبه لإدرك منه ثـأرى، فكثر والله تعجبـى، وقلت: القدر ساقنى إلـى حتفى فى منزل من يطلب دمى وكرهت الحياة، فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذى قتلت أباه، فقلت له: يا هذا، قد وجب علىَّ حقك، ومن حقك أن أدلك على خصمك، وأقـرب لك الخطوة، قال: وما ذاك، قلت: أنا إبـراهيم بن سليمـان قاتل أبيك، فخـذ بثأرك، فقـال: لأنى أحسبك رجلًا أمضَّه الاختفـاء فأحببت الموت، فقلـت: لا والله، ولكن أقول لك الحـق، لقد قتلته يوم كذا بسبب كذا وكذا، فلما علم صدقى تغير لونه، واحمرَّت عيناه وأطرق مليًّا، ثم قال: أما أنت فستلقى أبى عنـد حَكَم عدل، فيأخذ بثـأره، وأما أنا فغير مخفر ذمتى، فـأخرج عنـى فلست آمـن عليك من نفسى، فأعـطانى ألف دينـار فلم آخـذها منه وانصرفت عنه، فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.

***

(حكاية خزيمة بن بشر وعكرمة الفياض)

كان فى أيام سليمـان بن عبد الملك رجل يقال له خزيـمة بن بشر، من بنى أسد، مـشهور بالمروءة والكرم والـمواساة، وكانت نعمته وافـرة، فلم يزل على تلك الحالة حتى احتـاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفـضل عليهم، فواسوه حينًا ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم، أتى امرأته وكانت ابـنة عمه فقال لها: يا بنت العم، قد رأيت من إخوانى تغـيُّرًا وقد عزمت على لزوم بيتى إلى أن يـأتينى الموت، ثم أغلق بابه عليه، وأقام يتقوت بمـا عنده حتى نفد، وبقى حـائرًا فى حاله، وكان عكـرمة الفياض واليًا على الجـزيرة، فبينمـا هو فى مجلسه، وعنده جمـاعة من أهل البلـد، إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر، فقال عكرمة: ما حاله؟ فقالوا: صار فى أسوأ الأحوال، وقد أغلق بابه ولزم بيته، فقال عكـرمة الفياض ـ وما كان سمى الفياض إلا للإفراط فى الكرم ـ: فما وجد خزيمة بن بشر مواسـيًا ولا مكافئًا فقالوا: لا، فأمسك عن ذلك، فلما كان الليل

عمد إلى أربعة آلاف دينار، فجعلها فى كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته وخرج سرًا من أهله، فركب ومعه غلام واحد يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه، وتقدم إلى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة، فقال له: أصلح بهذا شأنك، فتناوله فرآه ثقيلًا فوضعه، وقبض على لجام الدابة، وقال له: من أنت جعلت فداك؟ قال: ما جئتك فى هذا الوقت وأنا أريد أن تعرفنى، قال خزيمة: فما أقبله أو تخبرنى من أنت؟ قال: أنا جابر عثرات الكرام، قال: زدنى قال: لا، ثم مضى، ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته فقال لها: أبشرى فقد أتى الله بالفرج، فلو كان فى هذا فلوس لكانت كثيرة، قومى فاسرجى، قالت: لا سبيل إلى السراج، فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ولا يصدق، ورجع عكرمة إلى منزله، فوجد امرأته قد افتقدته، وسألت عنه فأخبرت بركوبه منفردًا، فارتابت وشقت جيبها، ولطمت خدها، فلما رآها على تلك الحالة قال لها: ما دهاك يا ابنة العم؟ قالت: سوء فعلتك بابنة عمك، أمير الجزيرة لا يخرج بعد هدأة من الليل منفردًا عن غلمانه فى سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية (جارية) فقال: لقد علم الله ما خرجت لواحدة منهما قالت: فخبرنى فيم خرجت؟ قال: يا هذه لم أخرج فى هذا الوقت إلا وأنا أريد ألا يعلم بى أحد، قالت: لابد أن تعلمنى قال: فاكتميه قالت: سأفعل فأخبرها بالقصة على وجهها، ثم قال: أتحبين أن أحلف لك؟ قالت: لا، قد سكن قلبى ثم أصبح خزيمة، فصالح غرماءه وأصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين، فلما وقف ببابه، دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورًا بالمروءة، وكان الخليفة به عارفًا، فأذن له، فلما دخل عليه وسلم بالخلافة، قال: يا خزيمة ما أبطأك عنا؟ فقال: سوء الحال يا أمير المؤمنين، قال: فما منعك من النهوض إلينا؟ قال: ضعفى، قال: فما أنهضك؟ قال: لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل إلا ورجل يطرق بابى، وكان معه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها، فقال: هل عرفته؟ قال لا والله لأنه كان متنكرًا، وما سمعت منه إلا (جابر عثرات الكرام) قال: فتلهف سليمان بن عبد الملك على

معرفته، وقال: لو عرفناه لأعناه على مروءته ثم قال: علىَّ بقناة، فأتى بها وعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة، وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه، وأمره بالتوجه إلى الجزيرة فخرج عكرمة وأهل البلد للقائه، فسلم عليه ثم سارا جميعًا إلى أن دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة وأن يحاسب، فحوسب، ففضل عليه مال كثير، فطلبه خزيمة بالمال، فقال: ما لى إلى شىء منه سبيل فأمر بحبسه، ثم بعث يطالبه فأرسل إليه: إنى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت، فأمر به فكبل بالحديد، وضيق عليه، فأقام على ذلك شهرًا، فأضناه ثقل الحديد وأضر به وبلغ ذلك ابنة عمه، فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل، وقالت: امض الساعة إلى باب هذا الأمير، فقولى: عندى نصيحة، فإذا طلبت منك قولى: لا أقولها إلا للأمير خزيمة، فإذا دخلت عليه سليه الخلوة فإذا فعل قولى له: ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك فى مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد، قال: ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها، قال: واسوأتاه! جابر عثرات الكرام غريمى! قالت: نعم، فأمر من وقته بدابته فأسرجت، وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض فى قاع الحبس متغيِّرًا قد أضناه الضر، فلما نظر عكرمة إلى خزيمة وإلى الناس أحشمه ذلك، فنكس رأسه، فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله، فرفع رأسه إليه وقال: ما أعقب هذا منك؟ قال: كريم فعالك وسوء مكافأتى، قال: يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده، وأن توضع فى رجليه فقال عكرمة: تريد ماذا؟ قال: أريد أن ينالنى من الضر مثل ما نالك، فقال: أقسم عليك بالله ألا تفعل، فخرجا جميعًا إلى أن وصلا إلى دار خزيمة، فودعه عكرمة، وأراد الانصراف، فلم يمكنه من ذلك فقال: وما تريد؟ قال: أغيِّر من حالك ما أراه وأما حيائى من ابنة عمك فأشد من حيائى منك، ثم أمر بالحمام فأخلى ودخلا جميعًا، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه وحمل إليه مالًا كثيرًا ثم سار معه إلى منزله، واستأذنه فى الاعتذار من ابنة عمه، فأذن له فاعتذر إليها وتذمم من ذلك ثم سأله أن يسير معه

إلى أمير المؤمنين، فسارا جميعًا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك، فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة بن بشر، فراعه ذلك وقال: والى الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا، مع قرب العهد به! ما هذا إلا لحادث عظيم! فلما دخل عليه قال قبل أن يسلم: ما وراءك يا خزيمة؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أُسِرّك، لما رأيت من شوقك إلى رؤيته، قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض، فأذن له بالدخول، فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه، وقال: يا عكرمة إن خيرك له وبالًا عليك، ثم قال له: اكتب حوائجك وما تختاره فى رقعة، فكتبها، فقضيت على الفور، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار، مع ما أضيف إليها من التحف والطرف، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمر خزيمة إليك؟ إن شئت! أبقيته وإن شئت عزلته، قال: بل أرده إلى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعًا، ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته.

***

(الحجاج وإبراهيم بن طلحة)

لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير رحل إلى عبد الملك بن مروان، ومعه إبراهيم ابن محمد بن طلحة، فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة، وقال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل من الحجاز فى الشرف والأبوة، وكمال المروءة، والأدب، وحسن المذهب والطاعة، والنصيحة مع العزلة، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يُفعل بمثله فى أبوته وشرفه، قال عبد الملك: يا أبا محمد، أَذْكَرْتَنَا حقًّا واجبًا، ائذنوا لإبراهيم، فلما وصل وسلم بالخلافة، ثم أمره بالجلوس فى صدر المجلس، وقال له عبد الملك: إن أبا محمد ذَكَّرَنَا ما لم نزل نعرفه منك من الأبوة والشرف، فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته إلا سألتها، فقال إبراهيم: أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان لله خالصًا ولنبيه ﷺ، ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة، لا

أجد بُدًّا من ذكرى إياها، قال: أهى دون أبى محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج، فنهض الحجاج خجلًا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك: قل يا ابن طلحة، فقال: تالله يا أمير المؤمنين إنك عمدت إلى الحجاج فى ظلمه وتعديه على الحق، وإصغائه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيها من فيها من أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء المهاجرين والأنصار، يسومهم الخسف ويطؤهم العسف، بطغام أهل الشام، ومن لا روية له فى إقامة الحق ولا إزاحة الباطل، قال: فأطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه، وقال: كذبت يا ابن طلحة، ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك قم فربما ظن الخير بغير أهله، قال: فقمت وأنا ما أبصر طريقًا، قال: وأتبعنى حرسيًّا وقال له: اشدد يدك به، قال إبراهيم: فما زلت جالسًا حتى دعا الحجاج، فما زالا يتناجيان طويلًا حتى ساء ظنى، ولا أشك أنهما فى أمرى، ثم دعا بى فلقينى الحجاج فى الصحن خارجًا، فقبل ما بين عينى وقال: أحسن الله جزاءك، فقلت فى نفسى: إنه يهزأ بى، ودخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الأول ثم قال: يا ابن طلحة، هل اطلع على نصيحتك أحد؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، لا أردت إلا الله ورسوله والمسلمين، وأمير المؤمنين قد علم بذلك، فقال عبد الملك: قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته فيه لهما، وأعلمته أنك استقللت ذلك عليه، وسألتنى له ولاية كبيرة، وقد أوليته العراقين، وقررت له أن ذلك بسؤالك، ليلزمه من حقك ما لابد له من القيام به، فاخرج معه، فإنك غير ذام لصحبته، فخرجت معه، ونالنى منه كل خير.

***

(قصة وعبرة)

روى أن امرأة دخلت على داود عليه السلام، فقال: يا نبى الله ربك ظالم أم عادل؟ فقال: ويحك يا امرأة هو العدل الذى لا يجور، ثم قال لها: وما قصتك؟ قالت: أنا أرملة عندى ثلاث بنات، أقوم عليهن من غزل يدى، فلما كان أمس شددت غزلى

فى خرقة حمراء وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه وأبلِّغ به أطفالى، فإذا أنا بطائر قد انقض علىَّ وأخذ الخرقة والغزل، وذهب، وبقيت حزينة لا أملك شيئًا أبلِّغ به أطفالى، فبينما المرأة مع داود عليه السلام فى الكلام وإذا بالباب يطرق على داود، فأذن بالدخول وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار فقالوا: يا نبى الله اعطها لمستحقها، فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال؟ قالوا: يا نبى كنا فى مركب فهاجت علينا الريح، وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فهانت علينا الريح، وانسد العيب، ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأة وقال لها: ربى يتجر لك فى البر والبحر وتجعلينه ظالمًا؟ وأعطاها الألف دينار وقال: أنفقيها على أطفالك.

***

(دَيْن يمنع الزيارة)

مرض قيس بن سعد بن عبادة، فأبطأ إخوانه عنه، فسأل عنهم، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن فقال: أخذ الله ما يمنع الإخوان من العيادة، ثم أمر مناديًا فنادى: ألا من كان لقيس عليه حق فهو منه فى حل وسعة، فكسرت درجته بالعشى لكثرة من عاده.

***

(العلم والعقل)

قال بعض العلماء: الحلم أرفع من العقل، قيل له: كيف ذلك؟ قال: لأن الله تعالى تسمى بالحليم ولم يتسم بالعاقل.

***

(حلم المأمون)

حكى سليمان الوراق قال: ما رأيت أعظم حلمًا من المأمون بن الرشيد، وذلك أننى دخلت يومًا عليه وفى يده فص مستطيل من ياقوت أحمر، له شعاع قد أضاء المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه، ثم دعا برجل صائغ، فقال: صغ هذا الفص كذا وكذا، وأبدع فيه ما استطعت، وعرفه كيف يصنع به فأخذه الصائغ، وانصرف، ثم عدت إلى المأمون بعد ثلاثة أيام فَذُكر الفص، فاستدعى الصائغ فأتى به وهو يرعد وقد امتقع لونه، فقال المأمون: ما فعلت بالفص؟ فتلجلج الرجل، ولم يطق الكلام ففهم المأمون عنه شيئًا، فولى بوجهه عنه وكظم حتى سكن روعه، ثم التفت إليه وأعاد القول، فقال: الأمان يا أمير المؤمنين، قال: لك ذلك، فأخرج الفص على أربع قطع، وقال: يا أمير المؤمنين إنه سقط من يدى على السندان فهو كما ترى، فقال المأمون: لا بأس عليك اصنع منه أربع خواتم ولطف له الكلام، فلما خرج الرجل من عنده قال: أتدرون كم قيمة الفص؟ قلنا: لا، قال: اشتراه أمير المؤمنين بمائة ألف وعشرين ألف درهم.

***

(ثمن المهلب خمسمائة درهم)

قيل: إن المهلب بن أبى صفرة، مر بحى من همدان فرأى شابًّا من أهل الحى، فقال الشاب: هذا المهلب؟ قالوا: نعم، قال: والله لا يساوى خمسمائة درهم! وكان المهلب رجلًا أعور، فسمع كلام الشاب ولم يرد عليه، فلما كان الليل أخذ المهلب فى كمه خمسمائة درهم وأتى إلى الحى فارتقب الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه وقال: افتح حجرك ففتح الشاب حجره، فسكب فيه ذلك القدر وهو خمسمائة درهم، وقال: خذ قيمة عمك المهلب، ووالله يا ابن أخى لو قومتنى بخمسمائة دينار لأتيتك بها، فسمعه شيخ من أهل الحى، فقال: والله ما أخطأ من جعلك سيدًا.

(أهل الفضل)

قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، نادى منادٍ من قِبَل الله تعالى: أين أهل الفضل؟ فيقول ناس ـ هم يسير ـ فينطلقون سراعًا، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم قليلًا ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إن ظُلمنا صفحنا، وإذا أُسيء إلينا غفرنا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة نعم أجر العاملين».

* * *

(قول الإمام على فى النساء)

قال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد ذكرت النساء عنده: (لا تتخذوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تدعوهن يدبرن أمر العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن المسالك، وأوردن المهالك، فإنا وجدناهن لا ورع لهن عن شهوتهن، يتلهفن على العصيان، ويتمادين إلى الطغيان، ينكرن الكثير إذا منعن القليل، ينسين الخير ويذكرن الشر، أما صوالحهن فغادرات، وأما طوالحهن ففاجرات، وأما المعصومات فهن المعدومات، وإن ائتمن على مال ضاع، أو سر شاع، فاستعيذوا بالله من خيارهن، وكونوا من شرارهن على حذر).

* * *

(أثر الذنوب)

يقول ابن المبارك:

رأيت الذنوب تُميتُ القلوبَ ... وقد يورثُ الذُّلَّ إدمانُها

وترك الذُّنوب حياةُ القلوب ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيانُها

* * *

(ليس للنساء أمان)

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: لما ملك أردشير بلاد العجم واستوثق له الأمر، ودانت له ملوك الطوائف، حاصر ملك السوريانية، وكان ملكًا عظيمًا تحصن فى مدينة يقال لها: (الحصر) وأقام أردشير يحاصر المدينة زمنًا طويلًا إلى أن أيس منها، ولم يقدر عليها، وأشرفت ابنة الملك تنظر إلى عسكره، وكان أردشير شابًّا حسنًا، فرأته ابنه الملك فوقع فى قلبها، فأخذت نشابة وكتبت عليها: إن أنت شرطت على نفسك أن تتزوجنى دللتك على موضع تأخذ منه المدينة بأخف كلفة وأيسر حيلة، ثم رمت بالنشابة إليه، فأخذها أردشير وقرأها وكتب عليها: لك ذلك وكل ما تريدينه، ثم رمى بها إليها فكتبت له، ودلته على موضع فى المدينة، عرَّفته كيف يأتى إليها وكيف يفعل فى دخولها، فأرسل عسكره إلى المكان الذى دلته عليه، وفعل ما قالته، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وملك المدينة، وقتل الملك وَوَفَّى ابنته كما شرط لها، فبينما هى ذات ليلة فى فراشها إذا قلقت قلقًا شديدًا، ولم تنم، فقال لها أردشير: ما بالك لا تنامين الليلة؟ فقالت: تغير فى جسدى وأحس بشىء يؤلمنى فى فراشى، فنظر الملك فى فراشها فإذا فيه ورقة آس قد أثرت فى رقة جلدها وبشرتها ونعومة جسدها، فقال لها أردشير: ما كان أبوك يطعمك؟ قالت: كان أبى يطعمنى الزبد والشهد والمخ؟ فقال لها: ويلك، هل تجدين أحدًا يبلغ من الكرامة واللطف إلى هذا الحد، وكان جزاؤه عندك ما علمته منك! فلست آمنك بعد اليوم، ثم أمر بها أن يعقد شعرها فى ذيل فرس شديد الجرى، ففعل بها وأطلق الفرس فتساقطت أعضاؤها، وهكذا كان جزاء عديمة الوفاء.

***

(حِكَمٌ عظيمة)

* أربعة تؤدى إلى أربعة: الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

* من طاب أصله زكا فرعه، ومن أعجب بعمله حبط أجره، ومن ساء خلقه قل رزقه، ومن كثر ظلمه قرب هلاكه.

* سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

* اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده، والكلام سهم نافذ لا يمكن رده.

* أجمل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه.

* بُعدٌ يورث الصفاء خير من قُربٌ يوجب الجفاء.

* الكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلامة.

* * *

(من توكل على الله كفاه)

دخل أحد الصحابة مسجد رسول الله ﷺ فى غير وقت الصلاة فوجد غلامًا لم يبلغ العاشرة من عمره قائمًا يصلى بخشوع، فانتظر حتى انتهى الغلام من صلاته فجاء إليه وسلم عليه وقال له: يا بنى، ابن من أنت؟ فطاطأ الغلام برأسه وانحدرت دمعة على خده ثم رفع رأسه وقال: يا عم، إنى يتيم الأب والأم، فَرَقَّ له الصحابى وقال له: يا بنى، أترضى أن تكون ابنًا لى؟ فقال الغلام: هل إذا جعت تطعمنى؟ قال: نعم، فقال الغلام: هل إذا عريت تكسونى؟ قال: نعم، فقال الغلام: هل إذا مرضت تشفينى؟ قال الصحابى: ليس إلى ذلك سبيل يا بنى، قال الغلام: هل إذا مت تحيينى؟ قال الصحابى: ليس إلى ذلك سبيل، قال الغلام: فدعنى يا عم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝

وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨ ـ ٨٢]، فسكت الصحابى ومضى لحاله وهو يقول: آمنت بالله، من توكل على الله كفاه.

* * *

(خير الزاد التقوى)

وقف الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه على المقابر ثم قال: اعتبروا يا أهل الديار، نطق بالخراب فناؤها، وشيد فى التراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، لا يتزاورون تزاور الإخوان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، قد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى ثم قال: يا أهل العز والثروة، إن الأزواج بعدكم قد نكحت، والأموال قد قُسِّمت، والدور قد سكنت، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو أذن لهم لقالوا: ﴿إِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

* * *

(فكاهات)

* يحكى أن ابن الجصاص (وهو أحد المغفلين) دخل يومًا على ابن الفرات الوزير الخاقانى، وفى يده بطيخة، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق فى دجلة، فبصق فى وجه الوزير ورمى البطيخة فى دجلة، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير، وقال: والله العظيم لقد أخطأت وغلطت وأردت أن أبصق فى وجهك وأرمى البطيخة فى دجلة، فقال له الوزير: كذلك فعلت يا جاهل. فغلط فى الفعل وأخطأ فى الاعتذار.

* دخل ابن الجصاص على ابن له قد مات، فبكى، وقال: كفاك الله يا بنى محنة هاروت وماروت، فقيل له: وما هاروت وماروت؟ فقال: لعن الله النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج، قيل: وما يأجوج ومأجوج؟ قال: فطالوت وجالوت: قيل: لعلك

تريد منكرًا ونكيرًا، قال: والله ما أردت غير ذلك.

* سأل رجل أحد العلماء عن الحصاة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد؟ فقال: إرم بها، فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى تُرَد إلى المسجد، فقال العالم: دعها تصيح حتى ينشق حلقها، فقال الرجل: سبحان الله، أولها حلق؟ قال: فمن أين تصيح؟ فسكت الرجل.

* وقف فقير بباب نحوى فقرعه فقال النحوى: من بالباب؟ قال: سائل فقال: ينصرف، فقال: اسمى أحمد (أى ممنوع من الصرف)، فقال النحوى لخادمه: أعط سيبويه كسرة خبز.

* * *

(دار لا تخرب ولا يموت صاحبها)

قال عون بن عبد الله: بنى ملك ممن كان قبلكم مدينة، فتفوق فى بنائها، ثم صنع طعامًا ودعا الناس إليه، وأقعد على أبوابها أناسًا يسألون كل من خرج: هل رأيتم عيبًا؟ فيقولون: لا، حتى جاء فى آخر الناس قوم عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيبًا؟ فقالوا: نعم عيبين، فأدخلوهم على الملك، فقال: هل رأيتم عيبًا؟ فقالوا: عيبين، قال: وما هما؟ قالوا: تخرب، ويموت صاحبها، قال: فهل تعلمون دارًا لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم دار الآخرة، فدعوه إلى الله، فاستجاب لهم وانخلع من ملكه وتعبّد معهم.

* ولذلك يقول الإمام الشافعى:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيها

* ويقول القائل:

يا بانى الدار المعد لها ... ماذا عملت لدارك الأخرى

وممهد الفرش الوثيرة لا ... تغفل فراش الرقدة الكبرى

(مداراة الناس)

يقول هلال بن العلاء الرقّى:

لمّا عفوتُ ولم أحقد على أحـدٍ ... أرحت نفسى من غمِّ العـداواتِ
إنى أحيى عـــدوّى عنـد رؤيته ... لأدفع الشرَّ عنّى بالتحيـــاتِ
وأُظهر البِشر للإنسان أبغضـــه ... كأنَّه قـــــد ملأ قلبى محبَّاتِ
والناسُ داءٌ، وداءُ النـاس قربُهُم ... وفى الجفـاء لهم قطع الأُخُوات
فلستُ أسلُم ممـن لستُ أعرفُـه ... فكيف أسلم من أهل المـودَّاتِ
ألقى العـدوَّ بوجـهٍ لا قطوبَ به ... يكاد يقطر من مـــاء البشاشاتِ
وأحزمُ الناس من يلقى أعـــادِيه ... فى جسم حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ

***

(الحرص على الصديق)

يقول الشاعر:

وكنت إذا الصديقُ أراد غيظى ... وأشرقـنى على حَنَـق بريقى
عفـوتُ ذنوبَه وصفحـتُ عنه ... مخـافةَ أن أعيش بلا صـديقِ

***

(نصيحة)

استطرد لعدوك، وأبقه بإظهار الرضا عنه، والمداراة له حتى تصيب الفرصة فتأخذه على غِرَّة.

***

(الناس نوعان)

* قيل لعبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام وكان خطيبًا: تركت المدينة ولو رجعت إليها لقيت الناس، فقال: وأين الناس؟ إنما الناسُ رجلان: شامت بنكبة، أو حاسد لنعمة.

* * *

(خليل وعبد)

قال الشاعر:

إن كنت تطلب فضلا إذا ذكرتَ وَمَجْـــدا
فكن لعبـــدك خِـــلاً وكُنْ لِخِـلّك عَبْـــدا

* * *

(هجر الأصدقاء)

* اعتزل جميل بن مرة الناس ومكث فى البيت فعُوتب على ذلك فقال: لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لى ذنبًا، ولا سترُوا لى عيبًا، ولا حفظوا لى غيبًا، ولا أقالوا لى عثرة، ولا رحموا لى عبرة، ولا قبلوا منى عذرة، ولا فكُّونى من أسرة، ولا جبروا منى كسرة، ولا بذلوا لى نصرة، ورأيت الشغل بهم تضيعًا للحياة، وتباعدًا من الله تعالى، وتجرُّعًا للغيظ مع الساعات، وتسليطًا للهوى فى الهنات بعد الهنات، ولذلك قال الثورى لرجل قال له أوصنى قال: أنكر من تعرفه، قال: زدنى، قال: لا مزيد.

* يقول ابن كعب: لا خير فى مخالطة الناس، ولا فائدة فى القرب منهم، والثقة بهم، والاعتماد عليهم.

* * *

(أكرم الناس عشرة)

* قيل لإعرابى: من أكرم الناس عشرة؟ قال: مَنْ إن قَرُبَ منح وإن بَعُدَ مَدَح، وإن ظُلم صفح، وإن ضُويقَ فسَح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح.

* كتب رجل إلى صديق له: أما بعد: فإن كان إخوان الثقة كثيرًا فأنت أوَّلهم، وإن كانوا قليلًا فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحدًا فأنت هو!

* * *

(الإخاء رق)

كتب يحيى بن زياد الحارثى إلى عبد الله بن المقفع يلتمس معاقدة الإخاء، والاجتماع على المخالصة والصفاء، فلمَّا لم يجبه كتب إليه يعتب، فكتب له عبد الله: إن الإخاء رقٌّ، وكرهتُ أن أملّكك رِقِّى قبل أن أعرف حسن ملكتك.

* * *

(خلق كريم)

روى أن النبى ﷺ كان يأكل تمرًا ومعه جليس له، فكان النبى ﷺ إذا رأى حشفة (أى تمرة رديئة) عزلها، فقال جليسه: يا رسول الله أعطنى الحشفة حتى آكلها، فقال: «لا أرضى لجليسى إلا ما أرضاه لنفسى».

* * *

(الصداقة والكلفة)

قال محمد بن على بن الحسين الباقر رضى الله عنهم لأصحابه: أيدخل أحدكم يده فى كُمِّ صاحبه فيأخذ حاجته من الدراهم والدنانير؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذًا بإخوان.

(وحدانية الله)

قيل للإمام الشافعى رحمه الله: ما الدليل على وحدانية الله؟

فقال: ورقة التوت، تأكلها دودة القذ فتخرجها حريرًا، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكًا، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلًا، وتأكلها الشاة فتخرجها لبنًا، ويأكلها الحمار فيخرجها بعرًا، فمن الذى نوَّع الأشياء والأصل واحد.

وصدق القائل:

الشمسُ والبدرُ من أنور حكمته ... والبرُّ والبحر فيضٌ من عطاياهُ

الوحشُ مجدّهُ والطيرُ سبحهُ ... والموجُ كبّرهُ والحوتُ ناجاهُ

والنملُ تحت الصخورِ الصُّم قدّسَهُ ... والنحل يهتفُ حمدًا فى خَلاياهُ

والناسُ يعصونَهُ جهرًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربى ليس ينساهُ

***

(الحسنة بعشر أمثالها)

حضرت قافلة عثمان بن عفان بالبضائع إلى المدينة مكونة من ألف بعير محملة بالتمر والزيت والزبيب فجاء التجار ليشتروا القافلة فقالوا: يا عثمان نزيدك الدرهم درهمين فقال عثمان رضى الله عنه: لقد بعتها بأكثر من هذا، فقالوا: نزيدك الدرهم بخمسة؟ فقال: لقد زادنى غيركم الدرهم بعشرة، فقالوا: من زادك وليس فى المدينة تجار غيرنا؟ فقال: لقد بعتها لله ورسوله.

***

(المروءة)

قال الرسول ﷺ: «لا دين إلا بمروءة».

وقال عمر بن الخطاب: المروءة مروءتان، مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة

الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف.

* وقدم وفد على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة فيكم؟ فقالوا: العفاف وإصلاح المعيشة.

* قال الأحنف: لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيئ الخلق.

* قال العتُبى عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالمًا، صادقًا، عاقلًا، ذا بيان، مستغنيًا عن الناس.

* * *

(من نوادر الأعراب)

* جيء بأعرابى إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، فقيل له: يقال هذا يوم القيامة، قال: هذا والله شر من يوم القيامة، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتى وسيئاتى وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى.

* سمع أعرابى أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستسقى: اللهم ربنا وإلهنا وسيدنا ومولانا فصلِّ على محمد نبينا، ومن أراد بنا سوءًا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريعًا مجللًا مستحفرًا هزجًا سحًّا سفوحًا طبقًا غدقًا مثعنجرًا صخبًا، فقال الأعرابى: يا خليفة نوح، الطوفان ورب الكعبة، دعنى حتى آوى إلى جبل يعصمنى من الماء.

* قال رجل من العمال لأعرابى: ما أحسبك تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة؟ فقال له: فأن عرفت أتجعل لى على نفسك مسألة قال: نعم، قال:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت، هات مسألتك، قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى، قال:

فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك.

* * *

(نساء قريش خير من ركبت على إبل)

* قال على بن أبى طالب للنبى ﷺ: لو تزوجت أم هانئ بنت أبى طالب، فقد جعل الله لها قرابة، فتكون صهرًا أيضًا فخطبها، فقالت: والله لهو أحب إلىَّ من سمعى وبصرى ولكن حقه عظيم وأنا مؤتمة (أى أعول عيالًا أيتام) فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامى، وإن قمت بأمرهم قصرت عن حقه، فقال النبى ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناها على ولد فى صغره، وأرعاها على بعل فى ذات يده، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملًا لاستثنيتها».

* قال رجل للحسين بن على رضى الله عنه: إن لى بنية فمن ترى أن أزوجها، فقال: زوجها ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

* وقيل للحسن أيضًا: فلان خطب إلينا فلانة، فقال: أهو موسر من عقل ودين، قال: نعم، قال فزوجوه.

* * *

(وصية أم لابنتها فى ليلة عرسها)

قالت أم لابنتها توصيها فى ليلة عرسها: (أى بنية إنك فارقتى بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أمة يكن لك عبدًا، واحفظى له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا، أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله،

وملاك الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التدبير، وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصنَّ له أمرًا ولا تفشنَّ له سرًّا، فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًا والكآبة بين يديه إذا كان فرحًا.

***

(بعض قول الشعراء فى البخل)

* قال جرير:

قـــــوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج الباب والدارا

* وقال آخر:

تراهم خشية الأضياف خرسا ... يصلون الصـــــلاة بلا أذان

***

(نموذج من الشعر فى أجمل ما قيل فى الغزل)

قول ابن المعتز:

لا ورمـــان النهـــود ... فوق أغصـان القـدود

وعناقيـد من أصـدا ... غ ورد من خـــــدود

وبدور من وجـــــوه ... طالعـــات بالسعـود

ورسـول جـــاء بالميـ ... ـعاد من بعـد الوعيـد

ونعيم من وصـــــال ... فى قفا طول الصـدود

مـــا رأت عينى كظبى ... زارنى فى يوم عيـــد

فى قبـــاء فاختىَّ اللـ ... ـون من لبس الجـديد

كلمـــا قاتل جنـدى ... بسيـف وعمـــــود

قاتل النـــــاس بعيـ ... ـنين وخـــدين وجيد

قد سقانى الخمر من فيه على رغم الحسود
وتعانقنـــا كأنـــا وهو فى عقـــد شديد
نقـرع الثغـــر بثغـــر طيب عنـــد الورود

* * *

(الدنيا وأهلها)

قال المسيح عليه السلام: الدنيا لإبليس مزرعة، وأهلها له حُرَّاث.

وقال إبليس لعنه الله: العجب لبنى آدم يحبُّون الله ويَعْصونه، ويُبغضوننى ويُطيعوننى.

* * *

(قالوا فى الشيب)

* قال قيس بن عاصم فى الشيب: الشيب خطام المنية.
* وقال أكثم بن صيفى: المشيب عنوان الموت.
* وقال الحجاج بن يوسف: الشيب نذير الآخرة.
* وقال غيره: الشيب نوم الموت.
* وقال العتبى: الشيب مجمع الأمراض.
* وقال العتابى: الشيب نذير المنية.
* وقال محمود الوراق: الشيب أحد الميتتين.
* وقال ابن المعتز: الشيب أول مواعد الفناء.
* وقال غيره: الشيب قناع الموت.
* وقال قائل: الشيب قذى عين الشباب.

* * *

(أعرابية تسأل)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: وقفت علينا أعرابية فقالت: يا قوم تعثَّر بنا الدهر، إذ قلَّ منا الشكر، وفارقنا الغنى، وحالفنا الفقر، فرحم الله امرئ فهم بعقل، وأعطى من فضل، وواسى من كفاف، وأعان على عفاف.

***

(ذل السؤال)

قال أبو بكر الحنفى: حضرت مسجد الجماعة بالكوفة، وقام سائل يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر والمغرب، فلم يُعْطَ شيئًا، فقال: اللهم إنك بحاجتى عالم غير معلم، واسع غير مكلف، وأنت الذى لا يرزؤك نائل، ولا يخفيك سائل، ولا يبلغ مدحتك قائل، أنت كما قال المثنون وفوق ما يقولون، أسألك صبرًا جميلًا، وفرجًا قريبًا، ونصرًا بالهدى، وقرة عين فيما تحب وترضى، ثم ولَّى لينصرف، فابتدره الناس يعطونه، فلم يأخذ شيئًا ثم مضى وهو يقول:

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ... عوضًا ولو نال الغنى بسؤالِ

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوالِ

***

(أعرابية تلوم أباها فى الجود)

عذلت أعرابية أباها فى الجود وإتلاف ماله، فقالت: حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه فى السؤال، فقد قلَّ النوال، وكثر البُخال، وقد أتلفت الطارف والتالد، وبقيت تطلب ما فى أيدى العباد، ومن لم يحفظ ما ينفعه أوشك أن يسعى فيما يضره.

***

(فى الإقدام حياة)

قال المهلب يومًا لجلسائه: أراكم تعنفوننى فى الإقدام فى الحرب، قالوا له: إى والله، إنك لسقوط بنفسك فى المهالك، قال: إليكم عنى! فوالله لولا أن آتى الموت مسترسلًا، لأتانى مستعجلًا؛ إنى لستُ آتى الموت من حُبّه، إنما آتيه من بغضه، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المرى:

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حيـــاة مثل أن أتقدما

ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبى قوله:

أرى كُلنا يهــوى الحيـــاة لنفسه حريصًا عليهـا مستهامًا بهـا صبًّا

فحبُّ الجبـان النفس أورده التُّقى وحبُّ الشجاع النفس أورده الحربا

***

(حلم معن بن زائدة وكرمه)

سمع أعرابى عن كرم وحلم معن بن زائدة أمير العراق فقدم إليه، ولما وقف أمام معن قال:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذا نعلاك من جلد البعير

فقال معن: أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب، فقال:

فسبحان الله الذى أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن: سبحان الله، فقال الأعرابى:

فلست مُسَلِّمًا إن عشت دهرا على معـن بتسليـم الأمير

فقال معن: يا أخا العرب السلام سنة وأنت وشأنك فى الأمير، فقال الأعرابى:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحبًا بك وإن رحلت فمصحوبًا بالسلامة، فقال الأعرابى:

فجد لى يا ابن ناقصة بمـال فإنى قد عزمت على المسير

قال معن: أعطوه ألف دينار، فأخذها الأعرابى وقال:

قليل مـــا أتيت به وإنى لأطمع منك بالمال الكثير

فقال معن: أعطوه ألفًا أخرى، فأخذها الأعرابى وقال:

سألت الله أن يبقيك ذخرا فما لك فى البرية من نظير

فقال معن: أعطيناك ألفين على ذمنا فأعطوه ألفين على مدحنا.

فقـال الأعرابى: يـا أمير ما جـئت إلا مختبرًا حلمك لـما بلغنى عـنك، فقد جُمع فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم، فقال معن: يا غلام، كم أعطيته على شعره، فقال: أربعة آلاف، فقال معن: اعطه على نثره مثلها.

***

(قالوا فى الأمثال عن المرأة)

* المرأة عزيزة على الرجال مرتين يوم يتزوجها ويوم يدفنها (مثل روسى).
* تظل المرأة من الجنس اللطيف إلى أن تتزوج (مثل إنجليزى).
* لا تطلب الفتاة من الدنيا إلا زوجًا، فإذا تزوجت طلبت منه كل شىء (شكسبير).
* أجمل العيون وأكذبها عيون النساء (مثل برازيلى).
* سـواء كانت المـرأة جميلة أم قـبيحة فهى ليست بذات قيمـة فالدمـيمة توجع القلب والجميلة توجع الرأس (بيسون).

***

(دعاء رياضى)

دعـا بعض الريـاضيين ربه فـقال: اللهم يـا من يعلم قطـر الدائـرة ونهايـة العدد اللانهائى والجذر الأصـم، اقبضنى إليك على زاويـة مستقيمة واحـشرنى على خط مستقيم لا ينكسر.

(واحدة بواحدة)

دخل شريك بن الأعور على معاوية بن أبى سفيان وهو يختال فى مشيته، وكان شجاعًا مع دمامة، فداعبه معاوية، وقال: ويلك، أنت شريك، وما لله من شريك، وأبوك أعور، والصحيح خير من الأعور، وأنت دميم، والوسيم خير من الدميم، فلم سوَّدك قومك عليهم؟ قال شريك: وأنت أيضًا معاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت، فاستعوت، فسميت معاوية، وأبوك حرب، والسلم خير من الحرب، وجدك صخر، والسهل خير من الصخر، فيم صرت أمير المؤمنين؟! فابتسم معاوية غيظًا، وقال: أقسمت عليك إلا خرجت عنى.

***

(من لطائف الصحابة)

* رأى أبو بكر رضى الله عنه رجلًا بيده ثوب فقال: هو للبيع؟ فقال: لا أصلحك الله! فقال رضى الله عنه: هلا قلت: لا وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدعاء لى بالدعاء علىَّ؟

* وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: لو كنت تاجرًا لما اخترت عن العطر شيئًا، فإن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه.

* ويروى عن الإمام على كرم الله وجهه أنه نظر إلى رجل يجر ذيله على الأرض لطول ثيابه فقال: يا هذا قَصِّر من هذا فإنه أبقى وأتقى.

* وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يقول: إذا خلوتم بالنساء فداعبوهن ولاعبوهن ولا تكونوا كالفحل يأتى البهيمة بغتة.

***

(من لطائف الملوك المتقدمين)

* رأى الإسكندر الأكبر الملقب بذى القرنين رجلًا حسن الاسم قبيح السيرة فقال له: إما أن تغير اسمك أو سيرتك! ورأى رجلًا خضيبًا (أى صابغًا رأسه ولحيته بالخضاب أى الحناء) فقال له: وإن صبغت الشيب فكيف تصبغ آثار الكبر.

* قال أنو شروان: يوم الغيم للصيد، ويوم الريح للنوم، ويوم المطر للشرب، ويوم الشمس للحاجات.

* كان أطلموس الأخير ملك الروم يقول: ينبغى للعاقل أن ينظر فى المرآة، فإن رأى وجهه جميلًا فلا يشينه بقبح، وإن رآه قبيحًا فلا يجمع بين قبحين.

وقيل فى ذلك:

يا حسن الوجه توقَّ الخنا ... لا تخلطن الزين بالشَّين

ويا قبيح الوجه كن مُحسنا ... لا تجمعن بين قبيحين

* يقول أبو العباس السفاح أول ملوك بنى العباس: التغافل عن ذنوب الناس وعيوبهم من أخلاق الكرام، والتعاون بمفاضحتهم من أخلاق اللئام.

* تعرض رجل إلى معن بن زائدة فقال الرجل: أيها الأمير احملنى! فقال: أعطوه جملًا وفرسًا وبغلًا وحمارًا، وجارية وقال: لو علمت أن الله تعالى خلق مركوبًا سوى ما ذكرنا لأمرنا لك به.

* ومن ظريف كلام المأمون أيضًا قوله: قرناء الرجل بمنزلة الشعر من جسده، فمنه ما يُخدم ويكرم، ومنه ما يخفى ويُنفى.

* أصابت وصيف التركى والى الشام للمعتصم مصيبة فركب إليه محمد بن عبد الملك الزيات فعزاه بأخبار وأشعار وأمثال، ثم أصيب محمد بن عبد الملك الزيات بمصيبة فركب إليه وصيف التركى وقال: يا أبا جعفر، أنا رجل أعجمى لا أدرى ما أقول، ولكن انظر ما عزيتنى به ذلك اليوم فعز به نفسك الآن، فاستظرف الناس كلامه.

* قال أبو موسى هارون لولده: إنى أعظك أن تكون من الجاهلين، خَفِ الله يخفك الناس، وكَثِّر لهم اللطف لئلا تُنسب إلى لؤم القدرة، ولا تُفش سرك ولو إلى وزير فإن لكل وزير وزيرًا.

* * *

(من لطائف الوزراء الكبراء)

* قال الربيع بن يونس وزير المنصور: من كلَّم الملوك فى الحاجات فى غير أوقات الكلام لم يظفر ببغيته وضاع كلامه، وما أشبه الحال فى ذلك بأوقات الصلاة لا تقبل إلا فيها، فمن أراد خطاب الملوك فليترصد الوقت المُنجح الذى يصلح فيه ذكر ما أراد ليحصل النجح وإلا فلا.

* قال أبو عبيد الله وزير المهدى: حسن الشيم عَلَمٌ من أعلام النجح.

* ومن كلامه: خير الكلام ما قلَّ وجَلَّ ودلَّ ولم يملّ.

* قيل للحسن بن سهل: لا خير فى السرف، فقال: لا سرف فى الخير، فرد اللفظ واستوفى المعنى.

* * *

(العصفور وسليمان)

روى أن سليمان النبى عليه الصلاة والسلام رأى عصفورًا يقول لعصفورة: لم تمنعين نفسك منى؟ ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقارى فألقيتها فى البحر فتبسم سليمان من كلامه ثم دعا بهما، وقال للعصفور: أتطيق أن تفعل ذلك؟ فقال: يا رسول الله، المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته، والمحب لا يلام على ما يقول، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة: لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت: يا رسول الله، إنه ليس محبًّا ولكنه مدَّع لأنه يحب معى غيرى.

* * *

(عذر معن بن زائدة)

قام شاعر بباب معن بن زائدة حولًا لا يصل إليه فكتب إليه رقعة، ودفعها إليه:

إذا كـــان الجـــواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فكتب معن فيها:

إذا كان الجـــواد قليل مال ولم يُعذر تعلّل بالحجاب

فانصرف الرجل يائسًا، ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم.

* * *

(جمال الدراهم)

من كـــــان يملك درهمين تعلمت شفتـــــاه أنواع الكـــــلام فقـــالا

وتقـــدم الإخـــوان فاستمعـــوا له ورأيتـــــه بين الورى مختـــــالا

لولا دراهمـــــــه التى يزهـــو بها لوجـــــدته فى الناس أسوأ حـــالا

إن الغنـــى إذا تكلـــم مخطـــئا قالوا صـــدقت ومـــا نطقت محالا

أمـــــا الفقير إذا تكلم صـــادقا قالوا كـــــذبت وأبطلوا مـــــا قالا

إن الدراهم فى المـــــواطن كلهـــا تكسو الرجـــال مهـــابة وجمـــالا

فهى اللســـان لمن أراد فصاحـــــة وهى الســـلاح لمن أراد قتـــــالا

* * *

(المقادير)

دع المقادير تجرى فى أعنَّتها ولا تبيتن إلا خـــالى البـــال

مـــا بين طرفـــة عين وانتباهتها يغير الله من حـــال إلى حـــال

* قال الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينـــة لا تجرى على اليبس

* قال الشاعر:

صن النفس واحملها على ما يُزينُها تعش سالمًا والقـول فيـك جميل
ولا ترينَّ النـــاس إلا تجمـــلا نبـا بك دهر أو جفـاك خليـل

* * *

(فى الكذب)

قال بعض الفلاسفة: الكذاب والميت سواء، لأن فضيلة الحى النطق، فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته.

* * *

(فى الفضيلة)

يقول الشاعر:

مررت على الفضيلة وهى تبكى فقلتُ عـــلام تنتحـبُ الفتاةُ
فقالت: كيـف لا أبكى وأهلى جميعًا دون أهـل الأرض مـاتوا

* * *

(فى حفظ السر)

قال الأحنف بن قيس:

إذا المـرء أفشى سـره بلسـانه ولام عليـه غيره فهـو أحمـق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصـدر الذى يستودع السر أضيق

* * *

(تغير حال الناس)

يقول الشاعر:

لئن كانت الدنيـــا أنالتـــك ثروة فأصبحتَ ذا يسر وقـد كنت ذا عسر

لقـــــد كشف الإثراء منك خلائقا من اللؤم كانت تحت ثوبٍ من الفقر

***

(قول مأثور)

قال معاوية بن أبى سفيان: إنى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين العامة شعرة لما انقطعت، قيل له: وكيف ذلك؟! قال: إن جذبوها أرخيتها، وإن أرخوها مددتها.

***

(داوهِ بمثل هذا الدواء)

كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبى سفيان رضى الله عن الجميع، وكان فيها عبيد لعمارة هذه الأرض، فدخل عبيد معاوية أرض عبد الله بن الزبير واغتصبوا منها قطعة فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية: (أما بعد، يا معاوية فان عندك عبيدًا قد اغتصبوا أرضى، فمرهم بالكف عنها، وإلا كان لى ولكم شأن).

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير دفعه إلى ولده يزيد فلما رآه وقرأه، قال: ما تقول يا يزيد؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندنا يأتيك برأسه وتستريح منه، قال: عندى خير من ذلك، قال: ما هو يا أبت؟ قال: علىَّ بدواة وقرطاس ثم كتب إليه فيه: (وقفت على كتاب ابن أخى وقد ساءنى والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى مسطورًا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك

فضمها إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك، والسلام).

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه، كتب له جوابًا فيه: وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمنى الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله هذا المحل، والسلام. فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحًا، فقال له: يا بنى إذا بُليت بشىء من هذا الداء داوه بمثل هذا الدواء، وإنا لقوم لم نر فى الحِلم إلا خيرًا.

***

(بين المهلب وابنه)

سأل المهلب بن أبى صُفرة ولده يزيد وهو صغير: فقال له: يا بُنى، ما أشد البلاء، قال: معاداة العقلاء قال: فهل غير ذلك يا بنى؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: مسألة البخلاء، قال: فهل غير ذلك يا بنى؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: أمرُ اللؤماء على الكرماء.

***

(نملة تناجى الله)

خرج سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام هو وقومه ليصلوا صلاة الاستسقاء بسبب عدم المطر، فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقيك، فإما أن تسقينا وترزقنا، وإما أن تميتنا وتهلكنا، فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا، فقد سقيتم بدعوى غيركم.

***

(فخ الإسرائيلى)

نصب رجل من بنى إسرائيل فخًا من ناحية الطريق، فجاء عصفور فسقط ثم انطلق إلى الفخ فقال للفخ: ما لى أراك متباعدًا عن الطريق؟ قال: أعتزل شرور الناس.

قال: فما لى أراك ناحل الجسم؟ قال: أنحلتنى العبادة.

قال: فما هذا الحبل على عطفيك؟ قال: المسوح والشعر، ولبس الرهبان والزهاد.

قال: فما هذه العصا فى يدك؟ قال: أتوكأ عليها.

قال: فما هذه الحبة فى فيك؟ قال: رصدتها لابن السبيل أو المحتاج، قال: فأنا ابن سبيل ومحتاج، قال: فدونك فخذها، قال: فوضع العصفور رأسه فى الفخ فأخذ بعنقه، فقال العصفور: سيق سيق، ثم قال: لا غرنى بعدك قارئ مرائى مرة أخرى.

***

(الثعلب والديك)

حُكى أن ثعلبًا مر فى السحر بشجرة، فرأى فوقها ديكًا، فقال له: أما تنزل نصلى جماعة، قال الديك: إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب، فرأى الكلب فولى هاربًا، فناداه الديك: ما تأتى لنصلى، فقال: لقد انتقض وضوئى، فاصبر حتى أجدد لى وضوءًا وأرجع.

***

(ثعلب وطبل)

زعموا أن ثعلبًا أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة، وكلما هبت الريح على قضبان الشجرة حركتها، فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم فتوجه الثعلب نحوه لما سمع من عظيم صوته، فلما وصل إليه وجده ضخمًا، فأيقن فى نفسه بكثرة

الشحم واللحم، فعالجه حتى شقه، فلما رآه أجوف لا شيء فيه، قال: لا أدرى لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتًا وأعظمها جثة.

* * *

(الأسد والأرنب)

زعموا أن أسدًا كان فى أرضٍ كثيرة المياه والعشب؛ وكان فى تلك الأرض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شيء كثير؛ إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد، فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب؛ وقد رأينا لك رأيًا فيه صلاح لك وأمنٌ لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا، فلك علينا فى كل يومٍ دابةٌ نرسل بها إليك فى وقت غدائك، فرضى الأسد بذلك، وصالح الوحوش عليه، ووَفَيْن له به، ثم إن أرنبًا أصابتها القرعة، وصارت غداء الأسد؛ فقالت للوحوش: إن أنتن رفقتن بى فيما لا يضركن، رجوت أن أريحكن من الأسد، فقالت الوحوش: وما الذى تكلفيننا من الأمور؟ قالت: تأمرن الذى ينطلق بى إلى الأسد أن يمهلنى ريثما أبطئ عليه بعض الإبطاء، فقلن لها ذلك لك، فانطلقت الأرنب متباطئةً؛ حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الأسد، ثم تقدمت إليه وحدها رويدًا، وقد جاع؛ فغضب وقام من مكانه نحوها؛ فقال لها: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك: بعثنى، ومعى أرنبٌ لك، فتبعنى أسدٌ فى بعض تلك الطريق فأخذها منى، وقال: أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش، فقلت: إن هذا غداء الملك أرسلت به الوحوش معى إليه تغصبنه، فسَبَّك وشتمك، فأقبلت مسرعة لأخبرك، فقال الأسد: انطلقى معى فأرينى موضع هذا الأسد، فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صاف، فاطلعت فيه، وقالت: هذا المكان، فاطلع الأسد، فرأى ظله وظل الأرنب فى الماء فلم يشك فى قولها؛ ووثب إليه ليقاتله، فغرق فى الجب، فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالأسد.

* * *

(القملة والبرغوث)

زعموا أنَ قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرًا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر، وتدبَ دبيبًا خفيفًا، فمكثت كذلك حينًا حتى استضافها ليلة من الليالى برغوث، فقالت له: بت الليلة عندنا فى دم طيب وفراش لين، فأقام البرغوث عندها حتى إذا آوى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه، فقام الرجل وأمر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير إلا القملة فأُخذت وقصعت وفرّ البرغوث.

***

(الظريف من الخطاب يخلص من الهلاك)

قال الأصمعى: خرج الحجاج متصيدًا، فوقف على أعرابى يرعى إبلًا وقد انقطع عن أصحابه، فقال: يا أعرابى، كيف سيرة أميركم الحجاج؟ فقال الأعرابى: غشوم ظلوم لا حياه الله ولا بياه، قال الحجاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين، فقال الأعرابى: هو أظلم منه وأغشم، عليه لعنة الله، قال: فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فأومأ إلى الأعرابى فأُخذ، وحُمِل، فلما صار معهم قال: من هذا؟ قالوا: الأمير الحجاج، فعلم أنه قد أُحيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيها الأمير، قال: ما تشاء يا أعرابى؟ قال: أحب أن يكون السر الذى بينى وبينك مكتومًا، فضحك الحجاج وخلى سبيله.

***

(المأمون يحرم الغناء)

كان المأمون قد حرم الغناء وشدد فيه فلقى على بن هشام إسحاق بن إبراهيم الموصلى على الجسر، فقال إسحاق لعلى بكلام يخفيه: قد زارتنى اليوم فلانة،

وهى أطيب الناس غناءً، فبحياتى إلا كنت اليوم عندى نستمع إليها، فوعده بالحضور، وتفرقا، وإذا بطفيلى يسمع كلامهما فمضى من وقته، فلبس ثيابًا حسنة، واستعار من بعض إخوانه بغلة فارهة بسرجها ولجامها، فركبها وأتى باب على بن هشام بعد أن نزل من الركوب بساعة، فقال للحاجب: عرف الأمير أن رسول صاحبه إسحاق بن إبراهيم بالباب، فدخل الحاجب وخرج مسرعًا وقال: ادخل، جعلت فداك، فدخل على علىٍّ فرحب به، فقال له: يا سيدى يقول لك أخوك: تعلم ما اتفقنا عليه فلم تأخرت عنى؟ فقال له: الساعة وحياتك نزلت من الركوب، والساعة أغير ثيابى وأوافيه، فاستوى الطفيلى على دابته، ووافى منزل إسحاق الموصلى، فقال للحاجب: عرف الأمير أنى رسول على بن هشام، فدخل الحاجب وخرج وقال الحاجب: ادخل جعلنى الله فداك، فدخل فسلم وقال: أخوك على بن هشام يقرئك السلام ويقول لك: الساعة نزلت من الركوب، وقد غيَّرت ثيابى وتأهبت للمسير فما ترى؟ فقال: قل له يا سيدى: قتلتنا جوعًا، فبحياتى إلا ما حضرت، فرجع إلى باب على وقال للحاجب: تعرفه أن الأمير أمرنى ألا أبرح أو يجىء معى، فغيَّر على بن هشام ثيابه، وركب دابته، وتبعه الطفيلى حتى نزل بباب إسحاق بن إبراهيم، ونزل الطفيلى معه، ودخلا جميعًا فسلما وجلسا، وجىء بالطعام فأكلوا، وإسحاق لا يشك أنه أخص الناس بعلى، وعلى لا يشك أنه أخص الناس بإسحاق، ثم غسلوا أيديهم وقدموا الشراب، وخرجت جارية من أحسن الناس وجهًا وزيًّا، فجلست وأتيت بعود، فغنت أحسن غناء، ودارت الأقداح فلم يزالوا على ذلك إلى بعد العصر، وأخذ الطفيلى البول حتى كاد يبول على ثيابه فصبر جهده، فلما عيل صبره، قام فدخل الخلاء، فقال على لإسحاق: يا سيدى، ما أخف روح هذا الفتى وأحل نوادره! فمن أين وقع لك؟ قال أوليس هو صاحبك؟ قال: لا وحياتك، ولا رأيته قبل يومى هذا، قال: فإنه جاءنى برسالتك وقص قصته؛ وقص إسحاق مثلها، وداخله من الغيظ ما لم يملك معه نفسه، وقال: طفيلى يستجرئ علىَّ وعلى النظر إلى حرمى والدخول إلى دارى! يا غلمان: السياط والعقابين، المقارع والجلادين، فقامت فى

الـدار جلبة، وأحضـروا جميع ذلك، والطـفيلى يسمع وهـو فى الخلاء، ثم إنه خرج رافعًـا ثيابه غير مكترث بمـا فعلوه، وهو مقبل علـى تكة لباسه يشـدها، ويتمشى فى صحن الدار وهـو يقول: جعلت فـداك! إيش بقى من جـهدك! فهل عرفـتنى مع هذا كله؟ فقال إسحاق: ومن أنت؟ فـقال: أنا صاحب خبر أمير المؤمنين المأمون، وعينه على سره، والله لولا تحرمى بطعامك ومُمالحتى، لتركتكما فى عمّى من أمرى، حتى كـنت تعرف عاقبـة حالك وإقدامك على مـا فيه هلاكك وفساد أمـرك من هذا الغناء الـذى حرمه أمير المؤمنين، فقام إليه إسحاق وعلىّ يسكتانه وقالا له: يا هذا، إننا لم نعرفك ولم نعلم حـالك، ولك الفضل علينـا، وأنت المحسن المجـمل إلينا؛ ولكن تمم إحـسانك بسـترك ما نحن عليه، ثم قـال إسحاق: يا غلام، الخلع! فـأتى بثياب فـاخرة فصـبت عليه، وتقدم بـإسراج دابة همـلاج بسرج مخفف ولجـام حسن، ولم يزالا به حـتى طابـت نفسه، ووعـدهما كـتمان أمـرهما، وحـضر وقت الانـصراف فودعهما وانصرف، فـأتبعه إسحاق بخادمه معه صـرة فيها ثلاثمائة دينـار، فأخذها وركب الدابة، ومـضى، فلما كان من الغد دخل علىّ بن هشام على المأمون، فقال: يا علىّ، كيف كان خبرك أمس؟ على حسب ما يجرى السؤال عنه دائمًا فتغير لونه، ولم يشـك فى أن الحديث رفع إلـيه، فأكب على الـبساط يقـبله وقال: يا أمـير المؤمنين، العفـو، يا أمـير المؤمـنين، الأمان، قـال: لك الأمان، فـأخبره بالـقصة مـن أولها إلى آخرها، فضحـك المأمون حتـى كاد يغشى عليه، وقـال: ما فى الدنـيا أملح من هذا، ووجه خَلْفَ إسحـاق، فلما حضـر قال: هيه إسحـاق؟ كيف كان خـبر أمس؟ فأخبره كخبر علـىّ بن هشام والمأمـون يضحك، ثم قال: يا إسحـاق، بحياتى أطلب الرجل وجئنى به، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فكان أحد ندماء المأمون.

***

(من مزاح النبى ﷺ)

* روى أنس بن مالك قال: كان لنا أخ يكنى أبا عمير، وكان له (نُغَر) عصفور يلعب به فدخل رسول الله ﷺ فرآه حزينًا، فقال: «ما له؟» قالوا: مات (نُغَره) فكان رسول الله ﷺ إذا رآه بعد ذلك قال: «أبا عمير ما فعل النغير؟».

* وكان رجل من أشجع يقال له زاهر بن حرام، لا يزال يأتى النبى ﷺ بالهدية من البادية والطرفة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه»، فبينما هو فى بعض أسواق المدينة إذ أتاه النبى ﷺ من ورائه فاحتضنه وقال: «من يشترى منى هذا العبد؟» فالتفت الرجل فإذا هو برسول الله ﷺ فقبَّل يده وقال: تجدنى كاسدًا يا رسول الله ولا أحد يشترينى، فقال: «لا، لكنك عند الله ربيح».

* ذكروا أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ فوجده مغمومًا ممتقع اللون، فقيل للأعرابى: لا تكلم الرسول ﷺ وهو على هذه الحالة، فقال: لا أدعه أو يضحك، ثم جثا بين يديه فقال: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى! إن الدجال يخرج وقد هلك الناس جوعًا فيأتيهم بالثريد، فترى أن آكل من ثريده حتى إذا شبعت كذبته، فضحك ﷺ وقال: «يغنيك الله بما غنى به المؤمنين حينئذ».

* قالت أم سلمة: خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى تجارة إلى البصرة قبل وفاة النبى ﷺ ومعه سويبط بن حرملة وكان قد شهد بدرًا ونعيمان أيضًا قد شهد بدرًا، وكان سويبط على الزاد، وكان نعيمان مزاحًا، فقال نعيمان: لسويبط أطعمنى، فقال: حتى يجىء أبو بكر، فقال: أما لأغيظنك، فمروا بقوم، فقال نعيمان: أتشترون منى عبدًا؟ فقالوا: نعم، فقال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم إنى حر، فإذا قال هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا علىَّ عبدى، فقالوا: بل نشتريه، قال: فاشتروه منى بعشر قلائص، ثم أخذوه فوضعوا فى عنقه حبلًا، فقال سويبط: إنى حر ولست بعبد وهذا يستهزئ بكم، فقالوا له: قد خبرنا خبرك، فانطلقوا به، فجاء أبو بكر فأخبروه الخبر فاتبع القوم فرد عليهم القلائص وأخذ منهم سويبطًا، ولما قدموا على النبى ﷺ

فأخبروه الخبر فضحك ﷺ الحول كله.

* وكان سويبط قد كف بصره بعد رسول الله ﷺ فلقيه نعيمان فى المسجد وهو يقول: من يخرجنى حتى أبول؟ قال نعيمان: أنا، وأخذ بيده فمضى به إلى زاوية فى المسجد عامرة بالناس، فقال له بل هنا، فلما كشف ثوبه صاح الناس عليه من كل ناحية، فقال: من غرنى؟ قالوا: نعيمان، فقال: لله علىَّ لئن لقيته لأضربنه بعصاى، فلقيه نعيمان بعد أيام، فقال: أتحب أن أدلك على نعيمان لتوفى نذرك؟ قال: نعم، لله أبوك فأخذ بيده حتى أتى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى، فقال: هذا هو، فرفع عصاه وضرب، فصاح به الناس وقالوا: أوجعت أمير المؤمنين، فقال: من قادنى؟ قالوا: نعيمان، قال: لا يغرنى بعدها.

* * *

(عبد الله بن رواحة والجارية)

اشترى عبد الله بن رواحة جارية، وكتم ذلك عن امرأته خوفًا من الغيرة منها؟ فبلغها ذلك فالتمست كونه عندها فأُخبرت بذلك، فلما جاءها قالت له: بلغنى أنك ابتعت جارية، وأنك الساعة خرجت من عندها وأنك فعلت بها كذا وكذا، وما أحسبك إلا جنبًا؟ قال: ما فعلت، قالت: فاقرأ آيات من القرآن، لأنها كانت تعلم أنه لا يقرأ القرآن وهو جنب، فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مقربينا

فقالت: أما أنه قد قرأت القرآن فقد علمتُ أنه مكذوب عليك.

* وافتقدته ليلة أخرى فلم تجده على فراشها، فلم تزل تطلبه حتى قدرت عليه فى ناحية الدار، فقالت: الآن صدقت ما بلغنى، فجحدها، فقالت: اقرأ آيات من القرآن فقال:

وفينا رســـــــول الله يتلو كتــابه كما انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهـــدى بعـد العمى فقلوبنا به موقنـــات أن مـــا قـــال واقع
يبيت يجـــافى جنبه عن فراشـــه إذا أثقلت بالمشركين المضـــاجع

فقالت: آمنت بـالله وكذبت ظنى، فـأخبر بذلك النبى ﷺ، فـضحك وقال: «هذا لعمرى من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا ابن رواحة، خياركم خيركم لنسائكم».

* * *

(من ملح أشعب)

قيل لأشعب الـطماع: لقد لقيت التابعين وكثيرًا من الصحابة، فهل رويت مع علو سنك حديثًا عن النبى ﷺ؟ فقال: نعم، حدثنى عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: خلتان لا يجتمعان فى مؤمن، قيل: ما هـما؟ قال: نسيت واحدة، ونسى عكرمة الأخرى.

* وقيل لأشعب أيضًا: كم كان أصحاب النبى ﷺ يوم بدر؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر رطلًا.

* قيل لطفيلى: كم اثنين من اثنين؟ قال: أربعة أرغفة.

* وسألت صديقة طفيلى خـاتمًا وقالت له: أعطنى خاتمًا أذكرك به، قال: اذكرى أنك سألت فمنعتك.

* * *

(هيبة الأمير)

دخل رجل على المتـوكل فقال له: مـا اسمك؟ قال: قـطان، قال: ومـا صناعتك، قال: حمدان، قال: لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ولكنى دهشت لهيبتك.

* * *

(أشعب وعائشة بنت طلحة)

غاضبت عائشة بنت طلحة زوجها مصعب بن الزبير، فاشتد ذلك عليه وشكا أمره على خاصته، فقال له أشعب: فما لى إذا هى كلمتك؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأتى أشعب إليها فقال: يا ابنة عم رسول الله ﷺ، تفضلى بكلام الأمير مصعب بن الزبير، فقد استشفع بى عندك، وأجزل لى العطية إن أنت كلمته، قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب، وانتهرته، فقال: جُعلت فداك، كلميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعى إلى ما عوَّدك الله من سوء الخلق، فضحكت فقامت فصالحته.

* * *

(أبو محجن الثقفى وسعد بن أبى وقاص)

كان أبو محجن الثقفى فارسًا شاعرًا، وكان مشتهرًا بالشراب فأقام عمر رضى الله عنه الحد عليه عدة مرات، ثم أخرجه إلى العراق فشرب فى العراق الخمر، فحده سعد بن أبى وقاص، وسجنه فى قصر العذيب، وكان سعد مريضًا فى القصر، وأقام المسلمون فى حرب القادسية أيامًا، فوجهت الأعاجم قومًا إلى القصر ليأخذوا من فيه، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سعد من غير علمه، فخرج فأوقع بالأعاجم، وهزمهم فرآه سعد بن أبى وقاص، فلما انصرف بالظفر خلى سبيله، وقال: لا أضربك بعدها فى الشرب أبدًا، فقال أبو محجن: فإنى لا أذوقها أبدًا.

* ودخل ابن أبى محجن على معاوية بن أبى سفيان، فقال معاوية لابن أبى محجن: أبوك الذى يقول:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى فى الفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فقال ابن أبى محجن: يا أمير المؤمنين، لو شئت لذكرت من شعره ما هو أحسن من هذا، وأنشد:

لا تسألى القـــوم عن مـــالى وكثرته ... وسائلى القوم عن بأسى وعن خلقى
القـــــوم أعلـم أنى مـن سراتهـم ... إذا تطيش يـد الرِّعـــدِيدة الفَـرِقِ
أعطى السنان غـــداة الروح حصتَّه ... وعامـــــل الرمح أرويـه من العلـق
وأطعن الطعنـة النجلاء عن عرض ... وأكتـم السر فيـــــه ضَربـة العُنـق

فقال معاوية: لئن كنا أسأنا المقال، لا نسيء الفعال، وأمر له بصلة.

* * *

(بنو أمية وأهل العراق)

كان بنو أمية يكرهون أهل العراق لفتنتهم، إذ سياسة الأغبياء أسهل عليهم، فقد قال الإسكندر لأرسطاطاليس: قد أعيانى أهل العراق، ما أجرى عليهم حيلة إلا وجدتهم قد سبقونى إلى الخلاص، فتخلصوا قبل إيقاعها بهم، وقد عزمت على قتلهم على آخرهم، فقال: إذا قتلتهم فهل تقدر على قتل الهواء الذى غذى طباعهم وخصهم بهذا الذكاء؟ فإن ماتوا ظهر فى موضعهم من يشاكلهم، فقال: ما الرأى، قال: من كان فيه هذا العقل كانت فيه أنفة وحمية وشراسة وخلق وقلة رضا بالضيم، فأقسمها طوائف، وول على كل طائفة أمير فإنهم يختلفون، فإذا اختلفوا فُلَّت شوكتهم، فغفلوا، فأقاموا مختلفين أربعمائة عام حتى جمعهم أردشير بن بابك، وقال: إن كلمة فرقت بيننا أربعمائة سنة لمشؤومة.

* * *

(لا أدرى)

سئل الشعبى عن مسألة، فقال: لا أدرى، فقيل له: ألا تستحى من قولك هذا وأنت فقيه العراقين؟ فقال: إن الملائكة لم تستح إذ قلت: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

* * *

(حكمة)

قال بعض الغزاة: فتحنا حصنا من بلاد الروم، فرأينا فيه صورة أسد من حجر، عليه مكتوب: الحيلة خير من الشدة، والتأنى أفضل من العجلة، والجهل فى الحرب أحزم من العقل، والتفكر فى العاقبة من أمارة الجزع.

* * *

(جبن)

قيل لأعرابى: اخرج إلى الغزو! فقال: أنا والله أكره الموت على فراشى، فكيف أمشى إليه ركضًا.

* * *

(بخل المنصور)

وكان المنصور قبل أن يلى الخلافة ينزل على أزهر السمان، فلما استخلف صار إليه أزهر، فقال: ما أقدمك؟ قال: حاجة يا أمير المؤمنين؛ علىَّ أربعة آلاف درهم، ولى دار متهدمة، وأريد البناء لابنى محمد، فأمر له باثنى عشر ألف درهم، وقال: يا أزهر؛ لا تأتنا طالب حاجة، قال: أفعل، فلما كان بعد قليل عاد فقال: يا أزهر؛ ما جاء بك؟ قال: جئت مسلِّمًا على أمير المؤمنين، قال: إنه ليقع فى نفسى أن ما أتيت إلا لما أتيت له فى المرة الأولى، وأمر له باثنى عشر ألف درهم، وقال: لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلِّمًا، قال: نعم! ثم ما لبث أن عاد فقال: يا أزهر؛ ما جاء بك؟ قال: دعاء كنت سمعت أمير المؤمنين يدعو به فجئت مستمليًا لآخذه عن أمير المؤمنين، فقال: لا تكتبه فإنه غير مستجاب، لأنى دعوت الله به أن يرحنى منك فلم يستجب لى، ثم صرفه ولم يعطه شيئًا.

* * *

(أبو دلامة والمهدى)

خرج أبو دلامة الشاعر مع أمير المؤمنين المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد، فعَنَّ لهم ظبى فرماه المهدى، فأصابه ورمى على بن سليمان ظبيًا فأصاب كلب الصيد، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة: قل فى هذا شيئًا فقال أبو دلامة:

رمى المهـــدى ظبيا شك بالسهم فـؤاده
وعلى بن سليمـــان رمى كلبًا فصـــاده
فهنيئًا لهمـــــــا كل امرئ يأكل زاده

فاستفرغ المهدى ضحكًا وأمر له بجائزة.

***

(رجل سخى)

قيل لقيس بن سعد، هل رأيت قط أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة، فجاء زوجها، فقالت له: إنه نزل بنا ضيفان، فجاءنا بناقة فنحرها، وقال: شأنكم، فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها، وقال: شأنكم، فقلنا: ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا القليل، فقال: إنى لا أطعم ضيفانى البائت، فبقينا عنده أيامًا، والسماء تمطر وهو يفعل كذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته، وقلنا للمرأة: اعتذرى لنا إليه ومضينا، فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام، أعطيتمونا ثمن قِرانا، ثم إنه لحقنا، وقال: خذوها وإلا طعنتكم برمحى هذا، فأخذناها وانصرفنا.

***

(الشربة بخمسة دارهم)

قال الإمام أبو حنيفة: دخلت البادية فاحتجت إلى الماء، فجاءنى أعرابى ومعه قربة ملآنة، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم، فدفعتها إليه، ثم أخذت القربة، فقلت: ما رأيك يا أعرابى فى السويق؟ فقال: هات، فأعطيته سويقًا ملتوتًا بزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: علىَّ بشربة، فقلت: بخمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقى الماء.

* * *

(رجل غبى)

كان رجل يجلس إلى أبى يوسف القاضى فيطيل الصمت ولا يتكلم، فقال له أبو يوسف يومًا: ألا تتكلم! فقال: بلى متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل، كيف أصنع؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت فى صمتك وأخطأت أنا فى استدعائى نطقك وأنشد:

عجبت لازدراء الغبى بنفسه ... وصَمْت الذى قد كان بالقول أعلما

وفى الصمت سترٌ للغبىّ وإنما ... صحيفة لُبِّ المرء أن يتكلما

* * *

(موعظة طاووس رضى الله عنه)

حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجًّا إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: أتونى برجل من الصحابة فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا، قال: فمن التابعين، فأُتى بطاووس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يُكْنه، وجلس إلى جانبه بغير إذنه، وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا حتى هَمَّ بقتله، فقيل: يا أمير المؤمنين أنت فى حرم الله وحرم

رسوله لا يمكن ذلك، فقال له: يا طاووس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ فاشتد غضبه وغيظه، وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطى، ولم تسلم علىَّ بإمرة المؤمنين، ولم تكننى، وجلست بإزائى بغير إذنى، وقلت: يا هشام كيف أنت؟ قال: أما خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبنى ولا يغضب علىَّ، وأما ما قلت: لم تسلم علىَّ بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذبًا، وأما ما قلت: لم تكننى فإن الله سمى أنبياءه قال: يا داود يا يحيى يا عيسى، وكَنَّى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وأما قولك: جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام، فقال له: عظنى قال: إنى سمعت أمير المؤمنين يقول: إن فى جهنم حيات وعقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ثم قام وخرج.

***

(يدك مغلولة إلى عنقك)

جاء رجل إلى فقيه، فقال: أفطرت يومًا فى رمضان، فقال: اقض يومًا مكانه، قال: قضيت وأتيت أهلى، وقد عملوا (مأمونية) نوع من الطعام، فسبقتنى يدى إليها، فأكلت منها، فقال: اقض يومًا آخر مكانه، قال: قضيت، وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة، فسبقتنى يدى إليها، فقال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

***

(الله خير الرازقين)

سئل بعض الصوفية: لم وصف الله بخير الرازقين؟ فقال: لأنه إذا كُفر به لم يقطع رزقه على الكافر!

***

(بركة الديك)

وُلِىَ رجل فقير قضاء الأهواز، فأبطأ عليه رزقه، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحى به ولا ما ينفق، فشكا ذلك إلى زوجته فقالت: لا تغتم فإن عندى ديكًا جليلًا قد سمنته، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه، فلما كان يوم الأضحى وأرادوا الديك للذبح طار على سقوف الجيران فطلبوه وفشا الخبر فى الجيران وكانوا مياسير فرقوا للقاضى ورقوا لقلة ذات يده فأهدى إليه كل واحد كبشًا، فاجتمعت فى داره أكبش كثيرة وهو فى المصلى لا يعلم، فلما صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته: من أين هذا؟ فقالت: أهدى إلينا فلان وفلان ـ حتى سمت جماعتهم ـ ما ترى، قال: ويحك احتفظى بديكنا هذا فما فُدِى إسحاق بن إبراهيم إلا بكبش واحد، وقد فُدِى ديكنا بهذا العدد.

***

(رزقى سوف يأتينى)

وفد عروة بن أذينة مع جماعة من الشعراء إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بالشام، فلما دخلوا عليه عرف هشام عروة، فقال له: ألست القائل:

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقى ... أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى إليه فيُعيينى تطلبه ... ولو قعدت أتانى لا يعينى

وأراك يا عروة قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق! فقال له: يا أمير المؤمنين، زادك الله بسطة فى العلم والجسم، ولا رَدَّ وافدك خائبًا! والله لقد بالغت فى الوعظ وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته، فركبها، وتوجه راجعًا إلى الحجاز، فلما كان الليل، ذكره هشام وهو فى فراشه، فقال: رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلىَّ فجبهته ورددته عن حاجته! وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول، فلما أصبح سأل عنه، فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم ليعلم أن الرزق

سيأتيه، ثم دعا مولى له، وأعطاه ألفى دينار، وقال: الحق بهذه ابن أذينة، وأعطه إياها قال: فلم أدركه! إلا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج إلى فأعطيته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين عنى، قولى: سعيت فأكديت ورجعت إلى بيتى فأتانى رزقى.

***

(جاريتا جعفر البرمكى)

سأل هارون الرشيد جعفرًا عن جواريه، فقال: يا أمير المؤمنين، كنت فى الليلة الماضية مضجعًا وعندى جاريتان، وهما يُكبسانى، فتناومت عنهما لأنظر صنيعهما، وإحداهما مكية وأخرى مدنية، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشىء فلعبت به، فانتصب قائمًا، فوثبت المكية وقعدت عليه، فقالت المدنية: أنا أحق به، لأننى حدثت عن نافع، عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحيا أرضًا ميتة فهى له»، فقالت المكية: وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس الصيد لمن أثاره، وإنما الصيد لمن اقتنصه» فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه، وقال: هل من سلوة عنهما؟ فقال جعفر: هما ومولاهما بحكم أمير المؤمنين، وحملهما إليه.

***

(حب النساء للمال)

سئل ابن عربى عن حاله مع أهله فقال:

إذا رأت أهل بيتى الكيس ممتلئا تبسمت ودنت منى تمـــازحنى

وإن رأته خليًّا من دراهمـــــــه تجهمت وانثنت عنى تُقَـابِحُنى

***

(عشق البطون)

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة فأطمعته فى نفسها، فبعث يستهديها طعامًا، حتى فعل ذلك غير مرة، فلما أكثر عليها، بعثت إليه: رأيت العشق يكون فى القلب ويفيض إلى الكبد، ثم يستبطن الأحشاء، وحبك لا أراه تجاوز المعدة.

* * *

(من مكارم الأخلاق)

تقدمت امرأة إلى القاضى موسى بن إسحاق بمدينة الرى فادعى وكيلها بأن لموكلته على زوجها خمسمائة دينار مهرها، فأنكر الزوج، فقال القاضى لوكيل الزوجة: شهودك، قال: أحضرتهم، فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها فى شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومى، فقال الزوج: ماذا تفعلون؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهى مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: وإنى أشهد القاضى أن لها علىَّ هذا المهر الذى تدعيه ولا تسفر عن وجهها فردت المرأة وقالت: فإنى أشهد القاضى، إنى وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمته فى الدنيا والآخرة، فقال القاضى: يكتب هذا فى مكارم الأخلاق.

* * *

(حسن المرأة)

قال بعض حكماء أهل الأدب: كمال حسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها شديدة البياض، وأربعة شديدة السواد، وأربعة شديدة الحمرة، وأربعة أشياء مدورة، وأربعة أشياء واسعة، وأربعة ضيقة، وأربعة دقيقة، وأربعة عظيمة، وأربعة صغارًا، وأربعة طيبة الريح.

فأما الأربعة الشديدة البياض: فبياض اللون، وبياض العين، وبياض الأسنان،

وبياض الظفر.

أما الأربعة الشديدة السواد: فشعر الرأس، والحاجبين، والحدقة، والأهداب.

وأما شديدة الحمرة: فاللسان، والشفتان، والوجنتان، واللثة.

أما المدورة: فالرأس، والعين، والساعد، والعرقوبان.

أما الواسعة: فالجبهة، والعين، والصدر، والوركان.

أما الضيقة: فالمنخران، والأذنان، والسرة، والفرج.

أما الرقاق: فالحاجب، والأنف، والشفتان، والخصر.

أما العظيمة: فالهامة، والمنكبان، والأضلاع، والعجز.

وأما الصغار: فالأذنان، والفم، واليدان، والرجلان.

أما الطيبة الريح: فالأنف، والفم، والإبط، والفرج.

* * *

(أفضل النساء)

سُئل أعرابى فى النساء، وكان ذا تجربة بهن وعلم، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، والتى إذا أغضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، إذا صنعت شيئًا جودته، التى تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة فى قومها، الذليلة فى نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود.

* * *

(شر النساء)

إياك وكل امرأة مذكِّرة منكرة، حديدة العرقوب، بادية الظنبوب، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشى السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس فى قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، إن طلقها

كانت حرقته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء، قليلة الحياء، تأكل لمًّا، وتوسع ذمًّا، صخوب غضوب، بذيَّة دنيَّة، ليس تُطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدَّثت تشير بالأصابع، وتبكى فى المجامع، بادية من حجابها، نباحة على بابها، تبكى وهى ظالمة، وتشهد وهى غائبة، قد دلىَ لسانها بالزَّور، وسال دمعها بالفجور.

***

(الوجه الحسن)

قال أبو نواس واسمه الحسن استقبلتنى امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت فى غاية الحسن، فقالت: ما اسمك؟ قلت: وجهك: فقال: أنت الحسن إذن.

***

(النساء ثلاث)

إن رجلًا آلى يمينًا ألا يتزوج حتى يستشير مائة نفس، لما قاس من بلاء النساء فاستشار تسعًا وتسعين نفسًا، وبقى واحد فخرج على أن يسأل أول من يطرأ عليه، فرأى مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظم، وسوَّد وجهه، وركب قصبة، وأخذ رمحه، فسلم عليه وقال: مسألة؟ فقال المجنون: سل ما يعنيك، وإياك وما لا يعنيك، واحذر رمَحَة هذا الفرس، قال: فقلت: مجنون والله، ثم قلت: إنى رجل لقيت من النساء بلاء، وآليت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس، وأنت تمام المائة، فقال: اعلم أن النساء ثلاثة: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التى لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهى لك لا عليك، إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًّا، قالت: الرجال على مثل هذا.

وأما التى عليك ولا لك، فامرأة ذات ولد من غيرك، فهى التى تسلخ الرجل وتجمع لولدها.

وأما التى لا لك ولا عليك، فامرأة تزوجت زوجًا قبلك، إن رأت خيرًا قالت: هكذا يجب، وإن رأت شرًّا حَنَّتْ إلى زوجها الأول، قال: فقلت: نشدتك الله ما الذى غيَّر من أمرك ما أرى؟

قال: ألم أشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك؟! فأقسمت عليه، فقال: إنى طلبت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء.

* * *

(وفاء امرأة)

قيل: خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبابين الشام، فإذا امرأة جالسة على قبر تبكى، قال سليمان، فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسًا عن متون غمامة، فوقفنا متحيرين ننظر إليها، فقال لها يزيد: يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلًا، فنظرت إلينا قالت:

فإن تسألانى عن هواى فإنه ... يجول بهذا القبر يا فتيان

وإنى لأستحيه والتّرْبُ بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يرانى

* * *

(الفراسة وحليمة السعدية)

قالت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ـ وهى مرضعة رسول الله ﷺ ـ قدم علينا قائف، تعنى: رجلًا متفرسًا لا تخطئ فراسته (وهم قوم بأعيانهم من بنى مُدْلج يتوارثون القيافة وكانت العرب تقضى بأحكامهم إذا ألحقوا رجلًا بقوم أوثقوه عندهم والشرع حكم بالقضاء بقولهم)، قالت حليمة: فانطلق الناس بأولادهم إلى ذلك القائف يقفوا لهم، قالت: وانطلق الحارث بن عبد العزى تعنى زوجها برسول الله ﷺ وهو فى سن الرضاع، فأخذه من عبد العزى وقبَّله، وقال: ما ينبغى لهذا الصبى أن يكون من بنى سعد، قال: صدقت، وهو مسترضع فينا، وهو ابنى من الرضاعة،

فقال: القائف اردده إلى أهله فإن له شأنًا عظيمًا، وستفترق فيه العرب، ثم تجتمع عليه.

* * *

(بنى مدلج والرسول ﷺ)

قال جعفر بن أبى طالب: خرج رسول الله ﷺ وهو طفل صغير يلعب، فرآه قوم من بنى مدلج، وهم معروفون بالقيافة والفراسة، فدعوه ونظروا إلى قدميه، وفقده عبد المطلب فخرج فى طلبه حتى انتهى إليهم ورسول الله ﷺ بين أيديهم وهم يتأملونه، فقالوا: ما هذا الغلام؟ قال: ابنى فقالوا: احتفظ به، فما رأينا قدمًا أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدميه ـ يعنون إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ فى الحجر المسمى بحجر إبراهيم.

* * *

(نبوة الرسول ﷺ)

لما توجه النبى ﷺ إلى تبوك ضلت ناقته، فنفر الناس فى طلبها، وعند النبى ﷺ عمار بن حزم وكان فى رحله زيد بن لُصَيْت، وكان يهوديًا فأسلم ونافق، فقال زيد: يزعم محمد أنه نبى ويخبركم بخبر السماء وهو لا يعلم أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ: «إن منافقًا يقول: يزعم محمد أنه نبى، أيخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟! والله ما أدرى! إلا ما علمنى الله، وقد دلنى عليها وهى فى الوادى فى شعب كذا، حبستها سَمُرة بزمامها»، فانطلقوا فأتوه بها، فرجع عمار بن حزم إلى رحله فقال: أتعجب لشىء حدثنا به رسول الله ﷺ عن مقالة قائل أخبر عنه فقال: رجل كان جالسًا: زيد والله قائل هذه المقالة، قال: فأقبل عمار على زيد وقال: اخرج من رحلى يا عدو الله.

* * *

(عمير بن وهب الجمحى ورسول الله ﷺ)

لما رجع المشركون إلى مكة من غزوة بدر أقبل عمير بن وهب الجمحى إلى صفون بن أمية، وقال: والله ما فى العيش خير بعد قتلى بدر، ولولا دَيْنٌ علىَّ لا أجد له قضاء، وعيالٌ لا أدع لهم شيئًا لرحلت إلى محمد حتى أقتله، إن ملأت عينى منه، وقد بلغنى أنه يمشى فى الأسواق، ولى عندهم ابنٌ أسير فأحتج عليهم بولدى، ففرح صفوان بقوله، وقال: وهل أراك فاعلًا؟ قال: إى ورب الكعبة، قال صفوان: فعلىَّ دَيْنك وعيالك أسوة عيالى، وقد عرفت ذلك يا أبا وهب، قال: فحمله صفوان على بعيره، وجهزه، وأجرى على عياله ما يجرى على نفسه، وتقلد عمير بسيفه وخرج إلى المدينة، ولم يعلم أحدًا بذلك، وقدم عمير فنزل إلى مسجد رسول الله ﷺ فنظره عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه جماعة من أصحابه، فقال: دونكم هذا عدو الله عمير بن وهب، فنادى عمر: يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد ومعه السلاح، فقال رسول الله ﷺ: «أدخله علىَّ» فخرج عمر رضى الله عنه، فأخذ بحمائل سيفه فقبض بيده عليها وأخذ بيده الأخرى قائمة السيف، ثم أدخله على النبى ﷺ، فلما رآه النبى ﷺ قال: «يا عمر تأخر عنه» فلما دنا منه قال النبى ﷺ: «ما أقدمك يا عمير؟» قال: قدمت لأجل أسيرى عندكم تحسنون إلينا فيه، فقال النبى ﷺ: «فما بال السيف؟» قال: قبحها الله من سيوف، هل أغنت شيئًا إنما نسيته حين دخلت وهو فى رقبتى، قال: «فما شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر» ففزع عمير، فقال: يا رسول الله وما أشرطت له؟ فقال: «تحملت بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك» فقال عمير: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، كنا نتهمك فيما تقول، والله ما اطلع على هذا الأمر غير صفوان، والله إنك لصادق، وقد أمرت صفوان أن يكتم علىَّ هذا الأمر فأطلعك الله عليه فآمنت بالله ورسوله، وشهدت أن ما جئت به حق، فقال النبى ﷺ: «علموا أخاكم الصلاة والقرآن وأطلقوا له أسيره» فقال: والله إنى كنت جاهدًا فى إطفاء نور الله، وقد هدانى الله، فله الحمد،

فأذن لى فألحق قريشًا فأدعوهم إلى الله وإلى دين الإسلام، فأذن له، فلحق بمكة، وسأل صفوان عن عمير، فقيل له: إنه أسلم، فلعنه وحلف أنه لا يكلمه أبدًا وطرح عياله، وقدم عمير إلى مكة فدعاهم إلى الله تعالى وأخبرهم بصدق النبى ﷺ فأسلم معه خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى.

***

(كرم خالة حاتم الطائى)

قيل: كانت خالة حاتم الطائى سخية، لا تترك شيئًا إلا جادت به؛ فحجر عليها إخوتها حتى إذا ذاقت طعم الفقر والجوع ظنوا أنها قد وجدت ألم الضيق، فأطلقوها ودفعوا لها صرة فيها مال، فأتتها سائلة فقالت: دونك الصرة لقد عضنى الجوع بما لا أمنع بعده سائلًا أبدًا.

***

(عقلاء المجانين)

حدثنا محمد بن إسماعيل قال: كان عندنا رجل من جهينة يكنى أبا نصر قد ذهب عقله، فقلت له يومًا: ما السخاء؟ قال: جهد مقل، قلت: فما البخل؟ قال: أفٍّ وحول وجهه، فقلت: أجبنى، قال: قد أجبتك.

***

(كرم يزيد بن المهلب)

خرج يزيد بن المهلب على بنى أمية وتغلب على البصرة فأخذه عمر بن عبد العزيز وحبسه فهرب من سجنه ليلًا وكان معه ابنه مخلد فنزل بعجوز من العرب فذبحت لهم عنزًا، فلما أصبح قال لابنه: كم معك من المال؟ قال: يا أبت إنك لفى شدة، وإنك لمحتاج للمال! وهذه العجوز يرضيها منك اليسير وهى لا تعرفك، فقال أبوه:

يا بنى إن كان يرضيها منى اليسير فأنا لا أرضى بالعطاء اليسير، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى! ادفع المال كله لها، ففعل ومضيا!

* * *

(بكر وثيب)

عُرض على رجل جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: رغبت فيها وما بينى وبينها إلا يوم؟ فقالت البكر: وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون فأعجبتاه فاشتراهما.

* * *

(كرم الحسن والحسين)

حدث أبو الحسن المدائنى، قال: خرج الحسن والحسين رضى الله عنهما ومعهما عبد الله بن جعفر رضى الله عنه حجاجًا فسبقتهم القافلة وفاتهم أثقالهم، فجاعوا، وعطشوا، فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا لها: هل من شراب؟ فقالت: نعم فأناخوا بها، وليس لها إلا شويهة واحدة، فقامت وجلبت الشاه وأتتهم بلبنها، فشربوا ثم قالوا: هل من طعام تأتينا به؟ فقالت: أذنت لكم أن تذبحوا هذه الشاه فما عندى سواها، فقام إليها أحدهم فذبحها وقطعها، فهيأت لهم العجوز منها طعامًا فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا: نحن قوم من قريش نريد هذه الوجهة، فإذا رجعنا فمرى بنا، فإنا صانعون لك خيرًا ـ إن شاء الله تعالى ـ، ثم ارتحلوا، وجاء زوج المرأة، فأخبرته خبر القوم وما قالوا لها، فغضب وقال: ويحك أتذبحين شاة ما لنا سواها لقوم لم نعرفهم؟! ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلاها وجعلا يبتاعان البعر ويعيشان بثمنه، فمرت العجوز فى بعض الطرق، وإذا الحسن على باب داره فعرفها وهى لم تعرفه، فبعث إليها غلامه فدعاها إليه، فقال لها: يا أمة الله هل تعرفيننى؟ قالت: لا، قال: أنا أحد ضيوفك يوم صنعت لنا

الشاة، قالت: بأبى أنت وأمى، فأمر أن يشترى لها من غنم الصدقة ألف رأس، وأمر لها بألف دينار، وبعث بها إلى الحسين، فصنع معها ما صنع الحسن، ثم بعث بها إلى عبد الله بن جعفر، فقال: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت: بألفى شاة وألفى دينار، ففعل بها مثل صنيع الحسن والحسين، فرجعت العجوز لزوجها بالمال والأغنام!

***

(عبد الله بن جعفر ويزيد بن معاوية)

قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية، فقال يزيد: ما كان أمير المؤمنين يعطيك؟! يعنى أباه معاوية، قال: كان ـ رحمه الله ـ يعطينى مائة ألف إذا قدمت عليه، قال: لك مائة ألف ولقولك ـ رحمه الله ـ مائة ألف، قال: بأبى أنت وأمى، قال: ولهذه الكلمة مائة ألف، قال: أحسن الله إليك، قال: ولهذه الكلمة مائة ألف، قال: فحمل عبد الله المال وانصرف، فقيل ليزيد أنفذت المال، وأجحفت بالخزانة، دفعت لرجل واحد خمسمائة ألف درهم، فقال: ما دفعتها له وحده وإنما دفعتها لسائر أهل المدينة لأنه ما يملك درهمًا إلا جاد به، فلما رجع عبد الله إلى المدينة، لم ينزل عن راحلته حتى فرقها لمن يستحقها، فعوتب فى ذلك، فقال: إن الله عودنى عادة، وعودت خلقه عادة، فعودنى أن يمدنى بالرزق وعودت خلقه بالبر، فأكره أن أقطع العادة فيقطع الله عنى المادة!

***

(أجود الناس)

حدث الهيثم بن عدى قال: تراهن ثلاثة نفر فى الأجواد، فقال أحدهم: أجود الناس فى عصرنا هذا قيس بن علقمة، فقال الآخر: أجود الناس فى عصرنا هذا عرابة الأوسى، وقال الآخر: أجود الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر،

فتشاجروا فى ذلك وأكثروا، فقال لهم الناس: يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه، يسأله حتى ينظر ما يعطيه ويحكم على العيان.

فقام صاحب عبد الله بن جعفر، فصادفه وقد تجهز لبعض أسفاره على راحلته، فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ أنا ابن سبيل منقطع يريد رِفْدك ليستعين به، وكان وضع رجله على ظهر راحلته فأخرج رجله وقال: خذها بما عليها، فأخذها فإذا عليها مطارف خز وألفا دينار.

ومضى صاحب قيس بن علقمة فصادفه نائمًا، فقرع الباب فخرجت إليه جارية فقالت: ما حاجتك فإنه نائم، قال: ابن سبيل منقطع أتيت إليه يعيننى على طريقى، فقالت الجارية: حاجتك علىَّ أهون من إيقاظه علينا، ثم أخرجت له صرة فيها ثلثمائة دينار، وقالت له: امض إلى معاطن الإبل فأحضر لك منها راحلة واركبها، وامض راشدًا، فمضى الرجل وأخذ المال والراحلة، فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته بالخبر فأعتقها سرورًا بها.

ومضى صاحب عرابة الأوسى فوجده قد عَمَى وقد خرج من منزله يريد المسجد، وهو يمشى بين عبدين، فقال له: يا عرابة، ابن سبيل منقطع، يريد رفدك، فقال: واسوأتاه!! والله ما تركت الحقوق فى بيت عرابة الدرهم الفرد، ولكن يا أخى خذ هذين العبدين، فقال الرجل: ما كنت بالذى أقص جناحك! فقال: والله لابد من ذلك وإن لم تأخذهما فهما حران، فنزع يديه من العبدين ورجع إلى بيته، وهذا الجدار يلطمه وهذا الجدار يصدمه حتى أثر فى وجهه، فلما اجتمعوا حكموا لصاحب عرابة بكثرة الجود.

***

(عبد الله بن جعفر والعبد)

خرج عبد الله بن جعفر إلى بعض أسفاره، فنزل على نخيل لقوم وفيهم عبد أسود يحرسها، فأتى العبد بقوته وهو ثلاثة أقراص، فبينما هم جلوس إذ دخل كلب إلى

تلك النخيل وهو يلهث، فدنا من العبد وتشوق إلى تلك الأقراص فرمى له العبد قرصًا فأكله! ثم رمى له الثانى فأكله! ثم رمى له الثالث فأكله! فأكل الجميع وعبد الله ينظر إليه، فقال عبد الله للعبد: كم قوتك يا ولدى كل يوم فى هذا المكان؟ قال: ثلاثة أقراص وهى هذه! قال: فلم آثرت هذا الكلب بهن؟ قال: يا سيدى ليست هذه بأرض كلاب! ولم أشك أنه جاء من مسافة بعيدة، وهو جائع! ولما لم يحضرنى سواها، قلت: أطوى إلى غد، قال عبد الله: بخ بخ، والله إن هذا إلا أسخى منى! فما برح عبد الله إلى أن اشترى النخيل والعبد وأعتقه، ووهب له النخيل وارتحل عنه.

* * *

(محمد بن الجهم وسعيد بن العاص)

عرض محمد بن الجهم داره للبيع، فلما اجتمع الناس دفع فيها شخص خمسين ألف درهم، فقال له محمد بن الجهم: اشترها وطب نفسًا وقر عينًا، قال: بماذا؟ قال: بجوار سعيد بن العاص، قال: وما سيرته فى جيرانه؟ قال: إن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن أحسن إليك لم يمن عليك، فبلغ القول إلى سعيد بن العاص فوجه إليه بمائة ألف درهم، فقال: خذها وأمسك عليك دارك.

* * *

(الفأرة والدنانير)

حدثنا أبو بكر بن الحصنة عن مؤدبه أبى طالب المعروف بابن الدلو وكان رجلًا صالحًا يسكن نهر طابق أنه كان ليلة قاعدًا ينسخ كتبًا، قال: وكنت ضيق اليد، فخرجت فأرة كبيرة، فجعلت تعدو فى البيت، ثم خرجت أخرى وجعلا يلعبان وبين يدى طاسة، فكفيت الطاسة على أحدهما، فجاءت الأخرى، فجعلت تدور حولها، وأنا ساكت، فدخلت السرب، فخرجت وفى فيها دينار صحيح وتركته بين

يدى، فاشتغلت بالنسخ وقعدت ساعة ثم رجعت فجاءت بدينار آخر وقعدت ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة وقعدت زمانًا أطول من كل نوبة ورجعت فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقى شيء، فرفعت الطاسة ففرتا، فدخلتا البيت، وأخذت أنا الدنانير.

***

(من حكايات أبى دلف)

ذكر أبو العباس الشيبانى، قال: لما مرض أبو دلف بالعلة التى مات بها أقام شهرًا ملازمًا للوسادة، فأفاق يومًا، فقال لخادمه بشر: كم مر لى على هذه الحال؟ قال: شهر، فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيرًا وقال: أيمر علىَّ من عمرى هذه المدة لا أبسطها لأحد من الناس بالعطية؟ يا بشر: أخرج إلى الباب فإنى قلَّما أشهد أن بالباب قومًا لهم إلينا حوائج، فلا تمنع أحدًا من الدخول إلينا، فخرج بشر، فإذا عشرة من أولاد أبى طالب، فأمرهم بالدخول، فدخلوا، فابتدر رجل منهم وقال: أصلحك الله! نحن قوم من بنى طالب، مرضت لنا والدة، وقد أحاطت بنا المصائب، وأجحفت بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسرنا، وتعين فقرنا فعجل! فقال لخادمه: خذ بيدى وقم فأجلسنى على ذاك، ففعل ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم ورقة، وليكتب فيها بخطه أنه قد قبض منى مائة ألف درهم فتحيروا عند قوله! فلما كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه، فقال لخادمه: ائتنى بالمال، فأحضر، فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم، فلما تسلموا المال قال له رجل منهم: بالآباء نفديك وبالأمهات نقيك! والله ما لنا مال ولا عقار، وخطوطنا عندك ما تصنع بها؟! (أى الأوراق التى كتبناها) فبكى! وقال لهم: أتظنون أنها وثائق عليكم؟ لا والله! لا والله! ثم قال لخادمه: يا بشر إذا أنا مت فاجعل الرقاع فى أكفانى شفاعة لى يوم القيامة، ثم قال له: أوصل لكلٍّ منهم ألف دينار لنفقة طريقه، انصرفوا بارك الله فيكم.

وقد قيل:

إنما الدنيا أبو دلف بين بادية ومختصرة
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

***

(بائع السنانير)

خطب رجلٌ فتاة من قوم، فقالوا له: ما صنعتك؟ قال: أبيع الدواب، فزوجوه، ثم سألوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير (القطط) فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب، وأنفذ تزويجه.

***

(بين الأصمعى ورجل كريم)

حدّث الأصمعى قال: كنت أغشى رجلًا لكرمه، فأتيته بعد مدة فوجدته قد أغلق بابه، ولزم بيته، فأخذت ورقة وكتبت فيها هذا البيت:

إذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

وبعثت بها إليه، ووقفت أنتظر الجواب، فعادت وعلى ظهرها هذا البيت:

إذا كان الكريم قليل مال تستّر بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار، فقلت: والله لأتحفن أمير المؤمنين بهذه الحكاية، فأخذت الصرة والرقعة ومضيت إلى المأمون فدخلت عليه، فقال: من أين يا أصمعى؟ فقلت: من عند أكرم الناس، حاشا أمير المؤمنين! ثم قصصت عليه القصة ووضعت الصرة والرقعة بين يديه، فتأمل الصرة وقال: يا أصمعى، هذه الصرة بختم بيت المال، فأحضر الرجل الذى دفعها إليك! فقلت: والله يا أمير المؤمنين، الرجل قد أولانى خيرًا، قال: لا بد منه، قلت: غير مروّع؟ قال: غير مروع، فعرفته مكانه، فبعث إليه فحضر، فلما مَثُل بين يديه، جعل المأمون يتوسمه وينظر إليه، ثم

قال: ألست الرجل الذى وقف بموكبنا بالأمس وشكا إلينا رقة حاله وكثرة عياله! قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: وأمرنا لك بخمسمائة دينار، قال: نعم! وهى هذه، قال: ولم دفعتها للأصمعى على بيت واحد من الشعر؟ قال: استحييت من الله تعالى أن أردّ قاصدى إلا كما ردنى أمير المؤمنين بالأمس، قال: لله درك!! ما أكرم خلقك وأوفر مروءتك! ثم أمر بألف دينار فأخذها وانصرف، قال الأصمعى: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يلحقنى به، قال: لا، نحن نكمل لك الألف، فأمر للأصمعى بكمالها.

***

(وفاء الكلب)

قال محمد بن ناصر: قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه عامل أرمينية منصرفًا إلى منزله، فمر فى طريقه بمقبرة، وإذا قبر عليه قبة مكتوب عليها (هذا قبر الكلب) فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها، وسأل أهلها فدلوه على شيخ قد جاوز المائة، فسأله فقال: كان فى هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه لا يفارقه، فخرج يومًا إلى بعض منتزهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن فقد اشتهيتها، فأصلحوها ومضى منتزهًا، فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة، ونسى أن يغطيها بشىء، واشتغل بطبخ أشياء أخرى فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى فكرع فى اللبن ومج فى الثردة من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله، وكان هناك جارية طفلة خرساء زمنة قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال: يا غلمان أول ما تقدمون إلىَّ الثردة فلما وُضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه، فلم يفهم ما تقول، ونبح الكلب فلم يلتفت إليه، ولج فى الصياح فلم يعلم مراده، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمى فى كل يوم فلم يقربه ولج فى الصياح، فقال للغلمان: نَحّوه

عنا فان له قصة ومد يده إلى اللبن فلما راه الكلب يريد أن يأكل ظفر إلى وسط المائدة وأدخل فمه الغضارة وكرع من اللبن فسقط ميتًا وتناثر لحمه وبقى الملك متعجبًا منه ومن فعله فأومأت الخرساء إليهم، ففهموا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من فدانى بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيرى، فدفنه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت.

***

(الهدهد وسيدنا سليمان)

قال الهدهد لسيدنا سليمان: أريد أن تكون فى ضيافتى، قال سليمان: أنا وحدى؟ قال: لا بل العسكر كله فى جزيرة كذا يوم كذا، فمضى سليمان إلى هناك، فصعد الهدهد إلى الجو، فصاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر، وقال يا نبى الله، إن كان اللحم قليلًا فالمرق أكثر، فكلوا، من فاته اللحم ناله المرق، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولًا كاملًا.

***

(فتاة بكر)

* قال على بن الجهم: اشتريت جارية، فقلت لها: ما أحسبك إلا بكرًا، فقالت: يا سيدى كثرت الفتوح فى زمان الواثق، فقلت لها يومًا بالليل: نجعل مجلسنا الليلة فى القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، وكانت تكره الحلى وتقول: الحلى يستر المحاسن كما تغطى القبائح.

* عرض على المتوكل جارية، فقال لها: أبكر أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش يا أمير المؤمنين.

***

(وافق شن طبقة)

قال الشرقى بن فطامى: كان شن من دهاة، العرب فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلى، فأتزوجها، فسار حتى لقى رجلًا يريد قرية يريدها شن فصحبه فلما انطلقا قال له شن: أتحملنى أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب، فسارا حتى رأيا زرعًا قد استحصد، فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل أما تراه قائمًا، فمرا بجنازة فقال: أترى صاحبها حيًّا أو ميتًا؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبور حيًّا، ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله: أتحملنى أم أحملك، فأراد تحدثنى أم أحدثك حتى تقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أُكل أم لا، فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله فى الميت، فإنه أراد أترك عقبًا يحيا به ذكره أم لا، أى أولاد فخرج الرجل، فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها قالوا: (وافق شن طبقة).

* * *

(زوج بخيل)

* خاصمت امرأة زوجها فى تضيقه عليها وعلى نفسه فقالت: والله ما يقيم الفأر فى بيتك إلا لحب الوطن، وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران.

* جاءت دلالة إلى قوم، فقالت: عندى زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج، فرضوا به، وزوجوه فإذا هو حجام.

* قالت دلالة (أى خاطبة) لرجل: عندى امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هى عجوز قبيحة، فقال للدلالة: كذبت على وغششتنى، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

(أعرابى لص)

سرق أعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى، وكان اسمه موسى فقرأ الإمام ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧]، فقال: الأعرابى: والله إنك لساحر، ثم رمى الصرة وخرج.

***

(ذكاء سليمان عليه السلام)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فعدا الذئب على أحدهما فأخذتا يختصمان فى الصبى الباقى، وكل منهما تدعى إنه ابنها، فاختصمتا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرَّتا على سليمان عليه السلام فقال: ائتونى بالسكين أشق الغلام بينكم فقالت: الصغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظى منه لها، فقال: هو ابنك فقضى به لها». أخرجاه فى الصحيحين.

***

(من ذكاء سليمان أيضًا)

جاء رجل إلى سليمان عليه السلام فقال: يا نبى الله! إن لى جيرانًا يسرقون أوزى فنادى الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال فى خطبته: وأحدكم يسرق أوز جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه، فمسح رجل برأسه، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

***

(ذكاء سيدنا على بن أبى طالب)

جاء رجلان إلى امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولًا، فجاء أحدهما إليها فقال: إن صاحبى قد مات، فادفعى إلىَّ الدنانير، فأبت وقالت: إنكما قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلم يزال بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولًا فجاء الآخر، فقال: ادفعى إلىَّ الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءنى، فزعم أنك مت فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب فأراد أن يقضى عليها، فقالت: أنشدك الله ألا تقضى بيننا ارفعنا إلى على بن أبى طالب، فرفعهما إلى علىٍّ وعرف أنهما مكرا بها، فقال على كرم الله وجهه: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى، قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

***

(ومن ذكاء سيدنا على أيضًا)

جىء برجل إلى الإمام على بن أبى طالب قد حلف على زوجته بأنها طالق ثلاثًا إن لم يطأها فى شهر رمضان نهارًا، فقال الإمام: تسافر بها ثم تجامعها نهارًا.

***

(أدب العباس رضى الله عنه)

سئل العباس رضى الله عنه: أنت أكبر أم النبى ﷺ؟ فقال: هو أكبر منى، وأنا وُلِدت قبله.

***

(أعرابى مغفل)

صلى أعرابى مع قوم فقرأ الإمام ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الملك:٢٨]، فقال الأعرابى: أهلكك الله وحدك، إيش كان ذنب الذين معك، فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك.

***

(ذكاء عمرو بن العاص)

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة، فبعث إليه علجها (ملكها) أن أرسل إلىَّ رجلًا من أصحابك أكلّمه، ففكر عمرو وقال: ما لهذا العلج أحد غيرى، فقام حتى دخل على العلج فكلّمه، فسمع كلامًا لم يسمع مثله قط، فقال له العلج: حدّثنى هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هوانى عندهم إذ بعثونى إليك وعرّضونى لما عرّضونى، فلا يدرون ما تصنع بى، فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البوّاب: إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه، فمرّ برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال: يا عمرو، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فرجع.

فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك ليسع بنى عمّى، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة، فيكون معروفك عند عشرة خيرًا من أن يكون عند واحد، قال: صدقت، أعجل بهم، وبعث إلى البوّاب أن خل سبيله، فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبدًا.

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له: أنت هو؟ قال: على ما كان من غدرك.

***

(فتى يخدع المغيرة بن شعبة)

قال المغيرة بن شعبة: ما خدعنى قط غير غلام من بنى الحارث بن كعب، فإنى ذكرت امرأة منهم، وعندى شاب من بنى حارث، فقال أيها الأمير: إنه لا خير لك فيها، فقلت: ولم؟ قال: رأيت رجلًا يقبلها.

فأقمت أيامًا، ثم بلغنى أن الفتى تزوج بها، فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمنى أنك رأيت رجلًا يقبلها؟ قال: بلى، رأيت أباها يقبلها، فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمنى ذلك.

***

(بين المأمون والعتابى)

قال المأمون للعتابى: سلنى، فقال: يا أمير المؤمنين: يدك بالعطية أبسط من لسانى بالمسألة! فاستحسنها منه وأمر له بأربعين ألف درهم وقربة.

***

(الفرج بعد الشدة)

* يقول أبو حاتم:

إذا اشتملت على البؤس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست فى مكامنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب

* وقال آخر:

عسى الهم الذى أمسيت فيه ... يكون وراءه فرجٌ قريب

فيأمن خائفٌ ويغاثُ عانٍ ... ويأتى أهله النائى الغريب

* وقال آخر:

تصبَّر أيها العبـــد اللبيب لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءهـــا فرج قريب

* * *

(يا غياث المغيثين)

يروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة، ومنع النوم فأرسل إلى قاعد البحر وقال له: أنفذ الآن مركبًا إلى أفريقية، يأتونى بأخبارها فعمد القائد إلى قائد من قواد المركب، وأرسله، فلما أصبحوا إذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح، فقال الملك لقائد البحر: أليس قد فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم قد امتثلت أمرك، وأنفذت مركبًا فرجع بعد ساعة، وسيحدثك قائد المركب، فأمر بإحضاره، فجاء ومعه رجل فقال له الملك: ما منعك أن تذهب حيث أمرت؟ قال: ذهبت بالمركب، فبينما أنا فى جوف الليل، والرجال يجدفون أذا بصوت يقول: يا الله، يا غياث المستغيثين يكررها مرارًا، فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارًا لبيك لبيك وهو ينادى: يا الله يا الله يا غياث المستغيثين، فجدفنا بالمركب نحو الصوت، فلقينا هذا الرجل غريقًا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله، فقال: كنا مقلعين من أفريقية، فغرقت سفينتنا منذ أيام، وأشرفت على الموت، وما زلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم. فسبحان من أسهر سلطانًا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الوحدة، فسبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه.

* * *

(عبد كسول)

كان لرجل غلام من أكسل الناس، فأرسله يومًا يشترى له عنبًا وتينًا، فأبطأ عليه حتى عيل صبره، ثم جاء بأحدهما فضربه، وقال: ينبغى لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين، فمرض الرجل، فأمر الغلام أن يأتيه بالطبيب فغاب، ثم جاء الطبيب ومعه رجل فسأل عنه، فقال: أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة، فجئتك بالطبيب فإن شفاك الله تعالى وإلا حفر لك هذا قبرك، فهذا طبيب وهذا حفار.

***

(مكر النساء)

* قال النخعى: من اقتراب الساعة طاعة النساء.
* ويقال: من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه.
* وقال على رضى الله عنه: إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن.
* يقول السمعانى:

لا تأمننَّ على النساء ولو أخا ... ما فى الرجال على النساء أمين

إن الأمين وإن تحفَّظ جهده ... لا بد أنَّ بنظرةٍ سيخون

* وقال الإمام على بن أبى طالب:

لا تركنن إلى النساء ... ولا تثق بعهودهن

فرضاؤهن جميعهن ... معلق بفروجهن

* وقال الإمام على أيضًا: لا تطلعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن إلا لتدبير العيال.
* قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ذل من أسند أمره إلى امرأة.

* قال حكيم: اعص النساء وهواك وافعل ما شئت.

* قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أكثروا لهن من قول لا، فإن نعم تغريهن على المسألة.

* وقال: استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر.

* وقال عمر بن الخطاب:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

* * *

(جود عبد الله بن عامر)

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة دارًا كانت له فى السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع عبد الله بن عامر بكاء آل خالد بن عقبة، قال: ما بالهم يبكون؟! قال: أنهم يبكون لخروجهم من دارهم التى اشتريتها، فقال: يا غلام، أعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا!

* * *

(أدب المجالسة)

قيل: إن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زفت إلى المعتضد بالله أغرم بها، فوضع يومًا رأسه فى حجرها، فنام فأزالته عن فخذها بلطف ووسدته، وخرجت من البيت، فاستيقظ المعتضد مذعورًا وناداها، فأجابته من مكان قريب فقال لها: أسلمت لك نفسى فذهبت عنى، فقالت: لم أذهب عن أمير المؤمنين، ولم أزل كالئة له، قال: فما أخرجك عنى فقالت: إن مما أدبنى به أبى أنى لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس، فاستحسن قولها.

* * *

(سليمان القانوى والعجوز)

يروى أن امرأة عجوز دخلت على السلطان القانوى، وشكت له جنوده الذين سرقوا منها ماشيتها، بينما كانت نائمة بمنزلها، فقال لها السلطان مؤنبًا: كان عليك أن تسهرى على مواشيك ولا تنامى، فرمقته العجوز وأجابت على تأنيبه: ظننتك ساهرًا علينا يا مولاى فنمت مطمئنة البال، فقال: معك حق.

* * *

(معاوية وزوجته ميسون)

مر معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين بنجد، فرأى ميسون بنت بجدل الكلبية فأعجبته فخطبها من أبيها وتزوجها، ثم حملها إلى الشام وأسكنها قصرًا مشرفًا على غوطة دمشق وملأه بالوصائف والخدم والزخارف وأوانى الفضة والذهب، ولكن ميسون تذكرت نجدًا مسقط رأسها وحنت إلى أهلها فبكت وأنشدت تقول:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلىَّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عين ... أحب إلىَّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى خبز بيتى ... أحب إلىَّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلىَّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دونى ... أحب إلىَّ من هر أليف
وبكر يتبع الأطعان صعب ... أحب إلىَّ من بعل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف ... أحب إلىَّ من علج عنوف
خشونة عيشتى فى البدو أشهى ... إلى نفسى من العيش الطريف
فما أبغى سوى وطنى بديلًا ... وما أبهاه من وطن شريف

فلما دخل معاوية عرَّفته إحدى الوصيفات بما قالت ميسون فقال: ما رضيت ابنة بجدل حتى جعلتنى علجًا عنوفًا هى طالق ثلاثًا، ثم سيرها إلى أهلها فى نجد

وكانت حاملًا بابنه يزيد فولدته بالبادية وأرضعته سنتين، ثم أرسلته إلى أبيه غير نادمة، بل كانت مزهوة بعودتها إلى ترابها وأترابها، رغم أنها فارقت معاوية.

* * *

(السفيه)

كان رجل ذو مال وجاه قد بنى لنفسه دارًا، وكان فى جواره بيت لعجوز لا يساوى شيئًا من المال، وكان محتاجًا إليه فى توسعة داره، فعرض عليها مبلغًا من المال كبيرًا ثمنًا لبيتها، فأبت أن تبيعه.

فقيل لها: إنَّ القاضى سيحْجُر عليك بسفهك لأنك أضعت مبلغًا كبيرًا ودارك لا تساوى شيئًا.

فقالت: ولم لا يحجر القاضى على من يريد الشراء بهذا المبلغ الكبير ورفضت أن تبيع دارها، وأفحمت الجميع بقوة حجتها.

* * *

(بلاغة أعرابية وأعرابى)

أصاب العطش أعرابيًا فى الصحراء، فمر على بئر وإلى جوارها أعرابية شابة، فقال لها: أهون ما عندكم نريد، وأصعب ما عندكم لا نطلب!! ولما كان الماء هو أسهل شىء عندهم قدَّمته له الفتاة فشرب، فقالت: لو عرفتُ اسمك لقلت لك هنيئًا، فأجاب: اسمى على وجهك.

فقالت: هنيئًا يا حسن.

وعاد الأعرابى يقول: وأنا لو عرفت اسمك لشكرتك، فقالت: اسمى على جنبك، وكان الأعرابى يحمل سيفًا، فقال لها: شكرًا يا هند. (فالسيف من أسمائه المهند).

* * *

(الجار المحسن)

بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة.

***

(المرأة والحجاج)

جيء بامرأة إلى الحجاج، وكان جنده قد أسروا زوجها وابنها وأخاها، فقال لها الحجاج: اختارى أحدهم فأطلق سراحه، فقالت: أيها الأمير: أما الزوج فهو موجود، وأما الابن فهو مولود، ولكن الأخ مفقود، لذا فإنى اخترت الأخ فأعجب الحجاج بذكائها وحسن كلامها، وكافأها بإطلاقهم جميعًا.

***

(دعاء مستجاب)

قال أبو عبد الله بن جعفر الشهير بالبرقى: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البرد والمطر والريح فذهب بزرع كان لها، والناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك، قال: فلم أبرح، حتى جاء رجل من الأجلاء لا نعرف من أين، فحدثناه بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار.

***

(امرأة تعاتب زوجها)

قالت امرأة تعاتب بعلها: أسأل الذى قسم بين العباد معايشهم أن يقسم الحب بينى وبينك، ثم أنشدت:

أدعو الذى صرف الهوى منى إليـك ومنـك عنى
أن يبتليك بمـا ابتلانى أو يسيـل الحـب منى

* * *

(تريد جميلاً)

قال أبو العيناء: خطبت امرأة، فاستقبحتنى ولم تعجبها صورتى فكتب لها:

فإن تنفرى من قبح وجهى فإننى أريبٌ أديبٌ لا غبيٌّ ولا فـدمُ

فردت علىَّ تقول: ليس الديوان الرسائل أريدك.

* * *

(الجاحظ والمرأة)

قال الجاحظ (مـا أخجلنى قط إلا امرأة، مرت بى إلى صائغ فقالت له: اعمل مثل هـذا، فبقيت مبهوتـًا، ثم سألت الصـائغ فقال: هذه امـرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيـطان على خاتم لهـا، فقلت: لا أدرى كيف الصورة، فـأتت بك إلىَّ لأصوِّره على صورتك.

* * *

(امرأة خلصت نفسها من الطلاق)

نظر رجل إلى امـرأته، وهى صاعدة فـى السلم فقال لهـا: أنت طالق إن صعدت، وطالق إن نـزلت، وطالق إن وقفت، فـرمت نفسهـا إلى الأرض، فقال لـها: فداك أبى وأمى، إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة.

* * *

(أبو حمزة الضبى وامرأته)

هجر أبو حمزة الضبى خيمة امرأته لأنها كانت تلد له بناتًا، وتزوج بأخرى، وفى يوم مر أبو حمزة بخيمة امرأته الأولى، فسمع امرأته تراقص بنتها وتقول:

مـــا لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبـــان ألا نلد البنينا تالله مـــا ذلك فى أيدينـا
وإنمـا نأخـذ مـا أعطينا ونحن كالأرض لزراعنيـا
ننبت مـــا زرعـــوه فينا

قال: فغدا الشيخ حتى ولج البيت وقبل رأس امرأته وابنتها.

***

(الأصمعى والأعرابية)

قال الأصمعى سألت أعرابية عن ولدها كنت أعرفه، فقالت: مات والله وقد أمننى بفقده المصائب ثم قالت:

أخـــاف الدهر مـا كـــان باقيًا فلما تولى مات خوفى من الدهر

***

(المهدى والعجوز)

وقف المهدى على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طىء، فقال: ما منع طيئًا أن يكون فيهم أخذ مثل حاتم؟ فقالت مسرعة: الذى منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة.

***

(أدوات تجميل)

سُئلت عجوز يفيض وجهها بشرًا وجمالًا: أى مواد التجميل تستعملين؟ فقالت: أستخدم لشفتى الحق، ولصوتى الذكر، ولعينى غض البصر، وليدى الإحسان، ولقوامى الاستقامة، ولقلبى حب الله، ولعقلى الحكمة، ولنفسى الطاعة، ولهواى الإيمان.

* * *

(ليلى العامرية وقيسها)

قالت ليلى العامرية فى حبيبها قيس:

لم يكن المجنون فى حالة ... إلا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى ... وإننى قد ذبت كتمانًا

* * *

(أم بشر المريسى)

ذكر ابن أبى عون الكاتب فى كتابه الأجوبة: أن أم بشر المريسى شهدت عند بعض القضاة، فجعلت تلقن امرأة معها الشهادة، فقال الخصم للقاضى: ما تراها تلقنها، قالت له: يا جاهل إن الله تعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢].

* * *

(المرأة والكتب)

تزوجت امرأة أديبًا يهتم بالاطلاع فى الكتب ليل نهار وكان هذا الأديب يرفض أن يتزوج عليها ضرة فقالت لها امرأة: هنيئًا لك إذ ليست لك ضرة فقالت: والله

لهذه الكتب أضر علىَّ من عدة ضرائر.

* * *

(الأصمعى والبدوية)

قال الأصمعى: رأيت بدوية من أحسن الناس وجهًا ولها زوج قبيح فقلت: يا هذه أترضين أن تكونى تحت هذا؟ فقالت: يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه، وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى، أفلا أرضى بما رضى الله به.

* * *

(زوجة المأمون)

حكى عن عبد الله بن النميرى أنه قال: كنت يومًا مع المأمون، وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر، فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة، فأطلق عنان جواده، وكان على سابق من الخيل، فأشرف على نهر ماء الفرات، فإذا هو بجارية عربية خماسية القد، قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه، بيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها، وصعدت من حافة النهر، فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها: يا أبت، أدرك فاها، قد غلبنى فوها، لا طاقة لى بفيها، قال: فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها، فقال لها المأمون: يا جارية من أى العرب أنت؟ قالت: من بنى كلاب، قال: وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب؟ فقالت: والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم غير لئام، يقرون الضيف، ويضربون بالسيف، ثم قالت: يا فتى من أى الناس أنت؟ فقال: أو عندك علم بالأنساب؟ قالت: نعم، قال لها: أنا من مضر الحمراء، قالت: من أى مضر؟ قال: من أكرمها نسبًا، وأعظمها حسبًا، وخيرها أمًّا وأبًا، ممن تهابه مضر كلها، قالت: أظنك من كنانة، قال: أنا من كنانة، قالت: فمن أى كنانة؟ قال: من أكرمها مولدًا، وأشرفها

محتـدًا، وأطولها فى المكـرمات يدًا، ممـن تهابه كنانه وتخـافه، فقالت: إذًا أنت من قـريش، قال: أنا من قـريش، قالت: من أى قـريش؟ قال: من أجملهـا ذكرًا وأعظمها فخرًا، ممن تهـابه قريش كلها وتخشاه، قـالت: أنت والله من بنى هاشم، قال: أنا من بنى هاشـم، قالت: من أى بنى هاشم؟ قـال: من أعلاها منزلة، وأشـرفها قبيلة، ممن تهـابه وتخافه هـاشم قال: فعـند ذلك قـبَّلت الأرض وقالـت: السلام عليـك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين.

قال: فعجب المـأمون وطرب طـربًا عظيمًـا، وقال: والله لأتزوجن بهـذه الجارية لأنها من أكبر الغنـائم، ووقف حتى تلاقته العـساكر، فـنزل هناك وأنفـذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها، وأخذها، وعاد مسرورًا، وهى والدة ولده العباس والله أعلم.

***

(النساء وسيدنا يوسف)

لما مات عكـرمة العالم الفقيه وكُثَيِّر عزة المشهور بالـغزل والحب لحبيبته عزة، أخرجت جنازتهما فى يوم واحد فما تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما، وقيل: مـات اليوم أعلم الناس وأشعـر الناس، وغلب على جنازة كُـثَيِّر النساء يبكينه ويذكرن عـزة فى ندبتهن له، فقـال أبو جعفر محـمد بن على: افرجـوا لى عن جنازة كثير لأرفعهـا، فجعلوا يدفعـون عنها النسـاء، وجعل يضربهن محمـد بن على بكمة ويقول: تنحين يا صواحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يا ابن رسول الله لقد صدقت إنا لـصواحبات يوسف، وقـد كنا خيرًا منكم له، فقـال أبو جعفر لبعض مـواليه: احتفظ بتلك الـمرأة حتى تجىء بـها إذا انصرفـنا، فلما انـصرف، أتى بتلك المرأة كأنها شرارة من النار، فقال لها محمد بن على: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا؟ فـقالت: نعـم، تؤمنـنى غضبـك يا ابن رسـول الله قال: أنـت آمنة مـن غضبى، فأبينـى، قالت: نحن يـا ابن رسول الله دعـوناه إلى اللـذات من المطعم والـمشرب والتمتع والتـنعم، وأنتم معاشر الرجال ألقيتمـوه فى الجب وبعتموه بأبخس الأثمان

وحبستموه فى السجن، فأينا كان به أحسن وعليه أرأف، فقال محمد: لله درك ولن تُغالب امرأة إلا غَلبت، ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لى من الرجال ما أنا بعله، فقال أبو جعفر: صدقت مثلك من تملك بعلها ولا يملكها، فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب.

***

(بشر الحافى)

قال بشر بن الحارث المسمى ببشر الحافى: أتيت باب المعافى بن عمران، فدققت الباب، فقيل لى: من؟ قلت: بشر الحافى، قالت لى بُنَيَّة من داخل الدار: لو اشتريت نعلًا بدانقين، ذهب عنك اسم الحافى.

***

(المرأة والتاجر)

روى بعض التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى فى جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يومًا نتحدث وإذا بامرأة بقربنا فى أصل سارية، فقال لها رجل من التجار من البغداديين: ما شأنك؟ فقالت: أنا امرأة وحيدة، غاب عنى زوجى منذ عشر سنين ولم أسمع له خبرًا، فقصدت القاضى ليزوجنى، فامتنع وما ترك لى زوجى نفقة، وأريد رجلًا غريبًا يشهد لى هو وأصحابه أن زوجى مات أو طلقنى لأتزوج أو يقول (أنا زوجها) ويطلقنى عند القاضى لأصبر مدة العدة، وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطينى دينارًا حتى أصير معك إلى القاضى، وأذكر له أننى زوجك، وأطلقك؟ فبكت وقالت: والله ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات فأخذها منها ومضى معها إلى القاضى، ثم أبطأ هذا التاجر علينا، فلما كان فى الغد لقيناه، فقلنا: ما أبطاك؟ فقال: دعونى، فإنى حصلت فى أمر ذكره فضيحة قلنا: أخبرنا، قال: حضرت معها إلى القاضى فادعت علىَّ الزوجية والغيبة عشر

سنين، وسألت أن أخلى سبيلها، فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضى: أتبرئينه؟ قالت: لا، والله، لى عليه صداق ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لى القاضى: أدها حقها ولك الخيار فى طلاقها أو إمساكها، فورد علىَّ ما بلسنى ولم أتجاسر أن أحكى صورتها معها، فلا أصدق، فتقدم القاضى بتسليمى إلى صاحب الشرطة، فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها منى وغرمت للوكلاء وأعوان القاضى الأربع رباعيات التى أعطتنى، ومثلها من عندى، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر، فلم يعرف له خبر.

* * *

(المرأة والجرذان)

وقفت امرأة على قيس بن عبد بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية، املؤوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا.

* * *

(الرشيد والصبية)

قال الأصمعى: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة فخرجت معه، فلما صرنا بضرية، إذا أنا على شفير الوادى بصبية قدامها قصعة لها، وإذا هى تقول:

طحنتنا طواحنُ الأعوان ورمتنا نوائب الأيام
فأتيناكمو نمدَّ أكفّا لفضلات زادكم والطعام
فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا أيها الزائرون للبيت الحرام
من رآنى فقد رآنى ورحلى فارحموا غربتى وذل مقامى

قال الأصمعى: فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادى، وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين، أفآتيك بها؟ قال: لا، بل نحن نذهب إليها.

قال الأصمعى: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنت تقولينه، فأنشدته ولم تهبه، فقال: يا مسرور املأ قصعتها دنانير، قال: فملأها حتى فاضت يمينًا وشمالًا.

* * *

(نصيحة)

من أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ومن سقاه على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، ومن كساه على عرى، كساه الله من حُبَر الجنة.

* * *

(المبرد والجارية)

ذكر أن رجلًا دعا المبرد بالبصرة مع جماعة فغنت جارية من وراء الستار وأنشأت تقول:

وقالوا لها هـذا حبيبك معرضًا فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فطرب كل من حضر إلا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق الناس بالطرب فقالت الجارية: دعه يا مولاى فإنه سمعنى أقول: (هذا حبيبك معرضًا) ولم أقل (هذا حبيبك معرضٌ) فظننى لحنت فى القول، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ (هذا بَعْلِى شيخًا) قال: فطرب المبرد إلى أن شق ثوبه.

* * *

(ابن السماك وجارية له)

خطب ابن السماك يومًا، وجاريته تسمع له، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامى؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده، قال: اردده حتى يفهمه من

لم يفهمه، قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد مله من فهمه.

* * *

(سليمان بن عبد الملك وجارية له)

عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى، عن عمه، قال سليمان بن عبد الملك يومًا والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوا قال: يروح إذا راحوا ويغدو إذا غدوا، فلم يصنعوا شيئًا، فدخل إلى جارية له فأخبرها، فقالت كيف؟ فأنشدها، فقالت: وعما قليل لا يروح ولا يغدو.

* * *

(الجاحظ والجارية)

قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد: أبكر أنت؟ فقالت: أعوذ بالله من الكساد.

* * *

(الرشيد وجارية سوداء)

حكى أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر، فنثر يومًا دنانير بين الجوارى، فصارت الجوارى يلتقطن الدنانير، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد، فقال لها: ألا تلتقطين الدنانير؟ فقالت: إن مطلوبهن الدنانير ومطلوبى صاحب الدنانير! فعجبته فقربها، وأثنى عليها خيرًا، فقام حسن كلامها مقام الجمال.

* * *

(الجاحظ والجارية)

قال الجاحظ: رأيت بسوق النخاسين ببغداد ينادى على جارية بيضاء وعلى خدها خال أسود، فقلت للجارية: ما اسمك؟ قالت: مكة، فقلت: الله أكبر قرب

الحج، أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود؟ (يقصد الخال الذى فى وجهها) قالت: إليك عنى، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿لَمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل:٧].

* * *

(جارية المتوكل)

عرض على المتوكل جارية، فقيل له: إنها فصيحة شاعرة، فأراد أن يختبرها، وكان أبو العيناء الضرير جالسًا عنده، فطلب منه اختبارها فقال أبو العيناء للجارية: أجيزى هذا البيت: أحمد الله كثيرًا، فقالت: حيث أنشأك ضريرًا، فقال أبو العيناء: اشترها يا أمير المؤمنين فقد أحسنت فى إساءتها.

* * *

(جاء بالله إلى الله)

روى عن منصور بن عمار الواعظ المشهور، أنه رؤى فى المنام، فقيل له: ما فعل الله بك يا منصور؟ قال: عرضنى عليه، وأوقفنى بين يديه، وقال: يا منصور، بم جئتنى؟ قلت: بست وثلاثين حجة يا الله، قال: ما قبلت منها واحدة، بم جئتنى يا منصور؟ قلت: قرأت القرآن ثلاثمائة وستين ختمة، قال: ما قبلت منها واحدة، بم جئتنى يا منصور؟ قلت: بصيام ستين سنة، قال: ما قبلت منها يومًا واحدًا، بما جئتنى يا منصور؟ قلت: جئتك بك، قال: الآن جئتنى بشىء اذهب يا عبدى، فقد غفرت لك.

* * *

(الأصمعى والرشيد والجارية)

قال الأصمعى: دخلت على الرشيد، وعلى رأسه جارية ما رأيت أحسن منها ولا أملح، لها ذؤابتان تضربان خصرها، وقصة جعدة، وهلال بين عينيها، فقال: يا

أصمعى، ما تقول فى هذه الجارية فقلت:

كنانية الأطراف سعـدية الحشا هلاليـة العينين، طائيـة الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف ونعمـة داود، عفَّـة مريم

فضحك الرشيد وقال: أتدرى ما اسمها؟ قلت: لا، قال: اسمها دنيا فقلت:

إن الدنيـا هى التى تسحر العين سافرة

ظلموهـا من اسمها هى دنيـا وآخرة

يقـول الأصمعى: فطـرح الرشـيد علىَّ رداء كـان على ظهره، فـاشتراه منى خـالد بأربعة آلاف دينار، اشتريت بها مائتى جربة نحل.

* * *

(الجارية والفرزدق)

دخل الفـرزدق على سكينة بنت الحسين، فـسلم عليها من خلف ستر، ونظر إلى جـوارٍ لها، فأعجب بواحدة منهن، فلما ودع قـال: يا مولاتى، إذا ما مت فادفنينى فى ثياب هذه الجارية، فوهبتها له وانصرف.

* * *

(عزلة)

قيل لقرواش الـرقاش: ما لك لا تـجالس إخوانك؟ فقـال: إنى أصبت راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى.

* * *

(غش الحب)

عن على بن جـعفر أنه قال: دخلت بلاد الزنج، فبينـما أنا أسير، إذا بجارية لم أر كجمالها وكمالـها، فبقيت أنظر إليهـا مبهوتًا منبهرًا، قـالت: ما حاجتك، أيدك الله؟

قلت: أنا والله أحبك حبًا قد أخذ بمجامع قلبى واستحوذ على خاطرى ولبى وشغل فكرى وصدرى، ولم يكن بينى وبينك معرفة متقدمة، ولا ألفة سابقة، فولت عنى، ولم تدر لى جوابًا فانصرفت وفى قلبى ما لا أطيقه فلما كان فى اليوم التالى بكرت إلى الموضع الذى ألقيتها فيه، فوجدتها قاعدة على باب دار، فسلمت عليها، فردت علىَّ السلام وأعدت إليها القول، ونظرت إلىَّ ساعة ثم قالت: يا فتى أتزعم أنك لى محب وفىَّ راغب؟ قلت: أجل والله أنه كذلك، قالت: إن لى أختًا أحسن منى وأجمل وأبهى وأكمل، وأنا أحضرها إليك، فإن أعجبتك فشأنك وشأنها، وإن لم تعجبك فأنا لك وبين يديك، قلت لها: أحسنت وأنصفت، فمتى تجمعين بينى وبينها قالت: غدًا إن شاء الله تعالى، فانصرفت عنها وقلبى قد خلا منها، وتعلق بحب أختها، ولم أرها، فلما كان من الغد بكرت إليها، وسلمت عليها، وقعدت بين يديها، ثم قلت: يا سيدتى، الوعد، قالت: الساعة تحضر فجلست مليًا، فلم أر أحدًا، فقلت: يا سيدتى، أبطأت علىَّ أختك، وقلبى متعلق بها، وقد سبق القول فى المثل (تهنئة العطاء تعجيله) فبزقت من فمها برقة ملأت بها وجهى، وقالت: إليك عنى يا من ليس له ثبات إنك تزعم أنك تحبنى وقلبك متعلق بغيرى، وانصرفت، فلم أرها بعد ذلك وبحثت عنها فإذا ليس لها أخت وإنما أرادت أن تختبر صحة ودى ووفاء عهدى، فانصرفت وبى من الأسف عليها ما لا أحسن وصفه.

***

(آداب نبوية)

* قال الرسول ﷺ: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرًا، ونطقى ذكرًا، ونظرى عِبرًا».

* قال الرسول ﷺ: «لا تقعدوا على ظهور الطرق، فإن أبيتم فغضوا الأبصار،

وأفشوا السلام، وأهدوا الضُّلَّال، وأعينوا الضعيف».

* قال ﷺ: «أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك».

* قال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

* قال ﷺ: «لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان».

* قال ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فَغَنِمَ، أو سكت فَسَلِمَ».

* * *

(المروءة)

قال الرسول ﷺ: «لا دين إلا بمروءة».

وقال عمر بن الخطاب: المروءة مروءتان، مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف.

* * *

(نصرانى ومحدث)

اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة، فصبَّ النصرانى خمرًا من زق كان معه فى شربة وشرب، ثم صب فيها وعرض على المحدث، فتناولها من غير فكر ولا مبالاة، فقال النصرانى: جعلت فداءك إنما هى خمر، قال: من أين علمت أنها خمر؟ قال: اشتراها غلامى من يهودى وحلف أنها خمر، فشربها المحدث على عجل، وقال للنصرانى: يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة، ويزيد ابن هارون، أفنصدق نصرانيًّا عن غلامه عن يهودى، والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد.

* * *

(المهدى والأعرابى)

خرج أمير المؤمنين المهدى يتصيد، فضل الطريق حتى وقع فى خباء أعرابى، فقال: يا أعرابى هل من قِرَى؟ فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه، فلما شرب قال المهدى للأعرابى: أتدرى من أنا؟ قال: لا! قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: بارك الله موضعك، ثم سقاه مرة أخرى، فشرب فقال: يا أعرابى أتدرى من أنا؟ فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين، قال: رحبت بلادك وطال مرادك، ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال: يا أعرابى أتدرى من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال: لا ولكننى أمير المؤمنين، قال: فأخذ الأعرابى الركوة فوكأها وقال: إليك عنى فوالله لو شربت الربعة لأدعيت أنك رسول الله ﷺ، فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل، ونزلت إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابى فقال له: لا بأس عليك ولا خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل.

* * *

(نوادر الأعراب)

* صلى أعرابى خلف إمام فقرأ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح:١] ثم وقف وجعل يرددها، فقال الأعرابى: أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك.

* صلى آخر خلف الإمام فقرأ ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف:٨٠] ووقف وجعل يرددها فقال الأعرابى: يا فقيه إذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل وقوفًا إلى الصباح، ثم تركه وانصرف.

* دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الإمام ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] وجعل يرددها فجعلت الأعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت

أختها فقالت: يا أختاه ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا علىَّ.

* ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث، فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان: يا أعرابى ما أعجبك من حديثنا؟ قال: ثلاثة أحاديث: حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه كان يحب الحلوى والعسل، وحديثه عليه الصلاة والسلام: «إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا بالعشاء»، وحديث عائشة أيضًا: «ليس من البر الصوم فى السفر».

* * *

(دواء عينيك)

انفرد أمير المؤمنين هارون الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فى الصحراء فإذا بشيخ الأعراب على حماره، وهو رطب العينين فقال له الفضل: هل أدلك على دواء لعينيك؟ قال: ما أحوجنى إلى ذلك، قال: خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك، فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال: خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك، وإن زدت زدناك، فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته.

* * *

(من نوادر الفقهاء)

* مر أحد الفقهاء على قارئ يقرأ (الم غلبت الترك فى أدنى الأرض)، فقال له: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم:٢]، فقال له: كلهم أعداؤنا قاتلهم الله.

* سكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يفرقع فى كل وقت، فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة، فقال له: أصلح السقف فإنه يفرقع، قال: لا تخف فإنه يسبح الله تعالى، قال: أخشى أن تدركه رقة فيسجد.

* * *

(قاض عادل)

تحاكم هارون الرشيد وزوجته زبيدة إلى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج (وهما حلوى فارسية) أيهما أطيب وأحلى، فقال أبو يوسف: أنا لا أحكم على غائب، فأمر الرشيد بإحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته.

***

(من نوادر النحاة)

* وقف نحوى على رجل يبيع أرزًا بعسل، وبقلًا بخل، فقال: بكم الأرزز بالأعسل، والأخلل بالأبقل، فقال: بالأصفع على الأرؤس والأضرط فى الأذقن.

* وقع نحوى فى كنيف (أى حفرة يبول الناس فيها ويتغوطون) فجاء كناس ليخرجه فصاح له الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى: أطلب لى حبلًا دقيقًا، وشدنى شدًّا وثيقًا واجذبنى جذبًا رقيقًا، فقال الكناس: امرأتى طالق إن أخرجتك منه، ثم تركه وانصرف.

* جاء نحوى يعود مريضًا، فطرق بابه، فخرج إليه ولده فقال: كيف وجدت أباك؟ قال: يا عم ورمت رجليه، قال: لا تلحن، قل: رجلاه، ثم ماذا؟ قال: ثم وصل الورم إلى ركبتاه، قال: لا تلحن، قل: إلى ركبتيه، ثم ماذا؟ قال: مات وأدخله الله فى بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه.

* وعاد بعضهم نحويًّا كان مريضًا فقال: ما الذى تشكوه؟ قال: حمى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية، فقال له: لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية.

***

(أعرابى يقوم الليل)

حضر أعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل، فقيل له: يا أبا أمامة أتقوم الليل؟ فقال: نعم، قالوا: ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

* * *

(من نوادر المعلمين)

* قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصًا قصيرة، وصولجان، وكرة، وطبل وبوق، فقلت: ما هذا؟ فقال: عندى صغار أوباش، فأقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصفّر لى بضرطة، فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدى، فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجه، فتقوم إلىَّ الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل فى عنقى، والبوق فى فمى، وأضرب الطبل وأنفخ فى البوق، فيسمع أهل الدور ذلك فيسارعون إلىَّ ويخلصونى منهم.

* وحكى الجاحظ أيضًا قال: مررت على خربة فإذا بها معلم وهو ينبح نبح الكلاب فوقفت أنظر إليه وإذا بصبى قد خرج من دار، فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه، فقلت: عرفنى خبره، فقال: هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار، ولا يخرج، وله كلب يلعب به فإذا سمع صوتى ظن أنه صوت الكلب، فيخرج، فأمسكه.

* * *

(من نوادر المتنبئين)

* تنبأ رجل فى أيام المعتصم، فلما حضر بين يديه قال: أنت نبى؟ قال: نعم، قال: وإلى من بعثت؟ قال: إليك، قال: أشهد أنك لسفيه أحمق، قال: إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم، فضحك المعتصم وأمر له بشىء.

* تنبأ رجل فى أيام المأمون، وادعى أنه إبراهيم الخليل فقال له المأمون: إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين، قال: وما براهينه؟ قال: أضرمت له النار، وألقى فيها، فصارت عليه بردًا وسلامًا، ونحن نوقد لك نارًا ونطرحك فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك، قال: أريد واحدة أخف من هذه، قال: فبراهين موسى، قال: وما براهينه؟ قال: ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى، وضرب بها البحر فانفلق، وأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء، قال: وهذه علىَّ أصعب من الأولى، قال: فبراهين عيسى، قال: ما هى؟ قال: إحياء الموتى، قال: مكانك قد وصلت، أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة، فقال يحيى: أنا أول من آمن بك وصدق.

* وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون: أريد منك بطيخًا فى هذه الساعة، قال: أمهلنى ثلاثة أيام، قال: ما أريده إلا الساعة، قال: ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين، إذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ما يخرجه إلا فى ثلاثة أشهر، فما تصبر أنت علىَّ ثلاثة أيام فضحك منه ووصله.

* تنبأ آخر فى زمن المأمون، فلما مَثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا أحمد النبى، قال: لقد ادعيت زورًا، فلما رأى الأعوان قد أحاطت به، وهو ذاهب معهم، قال: يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت؟ فضحك المأمون منه وخلى سبيله.

* تنبأ آخر فى زمن المتوكل، فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبى؟ قال: نعم، قال: فما الدليل على صحة نبوتك، قال: القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] وأنا اسمى نصر الله، قال: فما معجزتك؟ قال: ائتونى بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى، فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته، فقال الوزير: أما أنا فأشهد أنه نبى الله، وإنما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه.

* وادعى رجل النبوة زمن خالد بن عبد الله القسرى وعرض القرآن فأُتى به إلى

خالد فقال له: ما تقول؟ قال: عارضت القرآن، قال: بماذا؟ قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] الآية، وقلت: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، ولا تطع كل ساحر، فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب، فمر به خلف بن خليفة الشاعر، فضرب بيده على الخشبة المصلوب عليها وقال: إنا أعطيناك العود، فصل لربك من قعود، وأنا ضامن لك أن لا تعود.

* وأُتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له: ألك علامة؟ قال: علامتى أنى أعلم ما فى نفسك، قال: وما فى نفسى قال: فى نفسك أنى كاذب، قال: صدقت ثم أمر به إلى السجن فأقام فيه أيامًا ثم أخرجه، فقال له: أُوحى إليك بشىء؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الحبوس، فضحك منه وخلى سبيله.

* وأُتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها: أنت نبية؟ قالت: نعم، قال: أتؤمنين بمحمد؟ قالت: نعم، قال: فإنه ﷺ قال: «لا نبى بعدى»، قالت: فهل قال: لا نبية بعدى؟ فضحك المتوكل وأطلقها.

* تنبأ رجل يسمى نوحًا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه، فقال له: يا نوح ما حصلت من السفينة إلا على الصارى (أى الخشبة التى يعلق عليها شراع السفينة).

* * *

(من نوادر السؤَّال)

قال أبو عثمان الجاحظ: وقف سائل بقوم فقال: إنى جائع، فقالوا: كذبت فقال: جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم، ووقف سائل على باب فقالوا: يفتح الله لك، فقال: كسرة، فقالوا: ما نقدر عليها، قال: فقليل من بُرٍّ، أو فول أو شعير، قالوا: لا نقدر عليه، قال: فقطعة دهن، أو قليل زيت أو لبن، قالوا: لا تجده، قال: فشربة ماء، قالوا: وليس عندنا ماء، قال: فما جلوسكم ههنا، قوموا فأسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال.

(نصيحة بزرجمهر)

لما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه: إذا كان القضاء حقًّا، فالحرص باطل، وإذا كان الغدر فى الناس طبعًا فالثقة بكل أحد أعجز، وإذا كان الموت بكل أحد نازلًا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

* * *

(من نوادر المؤذنين)

* شوهد مؤذن يؤذن وفى يده ورقة، فقيل له: ما تحفظ الأذان؟ فقال: سلوا القاضى فأتوه، فقالوا: السلام عليكم فأخرج القاضى، دفترًا وتصفحه وقال: عليكم السلام، فعذروا المؤذن.

* سمعت امرأة مؤذنًا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول: الصلاة خير من النوم، فقالت: النوم خير من هذه الصلاة.

* * *

(دعاء غير مستجاب)

* قال وهب بن منبه: بلغنى أن موسى عليه السلام مر برجل قام يبكى ويتضرع طويلًا، فقال موسى: يا رب أما تستجيب لعبدك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه، ورفع يديه حتى بلغت عنان السماء ما استجبت له، قال: يا رب لم ذلك؟ قال: لأن فى بطنه حرام.

* ومر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا: يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا، قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

الأولى: أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

الثانى: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ ثم تركتم سنته.

الثالث: قرأتم القرآن ولم تعملوا به.

الرابع: أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها.

الخامس: قلتم أن الشيطان عدوكم ووافقتموه.

السادس: قلتم: إن الجنة حق فلم تعملوا لها.

السابع: قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

الثامن: قلتم إن الموت حق فلم تستعدوا له.

التاسع: انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس، وتركتم عيوبكم.

العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

***

(دعوة تركمانى)

حكى عن معروف القاضى: إن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو، فخشع قلبه وبكى، فقال بلغته: اللهم إنك تعلم أنى لا أحسن شيئًا من الدعاء، فأسألك ما يطلبون منك بما دعوا، فرأى بعض الصالحين فى منامه أن الله قَبِل حج الناس بدعوة ذلك التركمانى لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة.

***

(اسم الله الأعظم)

روى عن على بن أبى زفر عن أخ له كان فاضلًا صالحًا فقال: دعوت ربى أن يرينى الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى وإذا كان مكتوب بالنور، فقرأته: يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والإكرام.

***

(مرض العُجْب)

خطب معاوية بن أبى سفيان خطبة، فأعجبته فقال: أيها الناس هل من خلل فى الخطبة، فقال رجل من عرض الناس: نعم خلل كخلل المنخل، فقال: وما هو؟ قال: إعجابك بها ومدحك إياها.

* * *

(دعاء مستجاب)

مر رسول الله برجل ساجد، وهو يقول فى سجوده: اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك قِبَلى، فأيما عبد من عبادك أو أمة من إمائك كانت له قِبَلى مظلمة ظلمتها إياه فى مال أو بدن أو عرض، علمتها أو لم أعلمها، ولم أستطع أن أتحللها، فأسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت، ثم تهبها لى من لدنك إنك واسع المغفرة ولديك الخير كله، يا رب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شىء، فلتسعنى برحمتك فإنى لا شىء، وأسألك يا رب أن تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى، وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يا رب يا الله، فقال رسول الله ﷺ: «ارفع رأسك فقد غفر الله لك، إن هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام».

* * *

(كل شىء بأجل)

روى فى الإسرائيليات: إن نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب، وإذا بطائر قريب منه، فقال له الطائر: يا نبى الله هل رأيت عقلًا ممن نصب هذا الفخ ليصدنى به وأنا أنظر إليه؟ قال: فذهب عنه ذلك النبى عليه السلام ثم رجع وإذا الطائر فى الفخ فقال له: عجبًا لك ألست القائل كذا وكذا آنفًا؟ فقال: يا نبى الله إذا جاء الحين (الأجل) لم يبق أذن ولا عين.

(البلاء سبب المغفرة)

روى عن عبد الله بن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم؟» فقالوا: كلنا يا رسول الله، قال: «أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات؟ والذى بعثنى بالحق نبيًّا، إن الرجل لتكونن له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله، فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله».

وقال ﷺ: «ما من مسلم يمرض مرضًا إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها».

وكان يقول: «لا تزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة».

* * *

(وحى الشياطين)

قال رجل لابن عمر: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١].

* * *

(السحاب تسقى حديقة)

بينما رجل يمشى فى الفلاة فسمع صوتًا فى سحابه يقول: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه فى حرة، فإذا شرحه من تلك الشراج قد استوعبت ذلك كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد: ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال: لما تسألنى عن اسمى؟ قال: إنى سمعت صوتًا فى السحاب الذى هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان

لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما قلت هذا، فإنى أنظر إلى من يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثًا وأرد فيه ثلثه.

* * *

(بين امرئ القيس وابنة عمه عنيزة)

حدثنى جدى وأنا يومئذ غلام حافظ: إن امرأ القيس كان عاشقًا لابنة عم له ـ يقال لها عنيزة ـ وأنه طلبها زمانًا فلم يصل إليها، حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جُلْجُل: وذلك أن الحى تحملوا، فتقدم الرجال وتخلف الخدم والثقل؛ فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع رجال قومه غلوة، فكمن فى غامض حتى مر به النساء، وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فاغتسلنا فى هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال! فنزلن فى الغدير ونَحَّيْن العبيد، ثم تجرّدن فوقفن فيه؛ فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها، وقال: والله لا أعطى جارية منكن ثوبها، ولو قعدت فى الغدير يومها، حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها! فأبين ذلك عليه، حتى تعالى النهار، وخشين أن يقصّرن عن المنزل الذى يردنه، فخرجن جميعًا غير عنيزة فناشدته الله أن يطرح ثوبها، فأبى، فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة، وأقبلن عليه فقلن له: إنك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا، قال: فإن نحرت لكنّ ناقتى أتأكلن معى؟ قلن: نعم! فجرد سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها، وجمع الخدم حطبًا كثيرًا فأجّجن نارًا عظيمة، فجعل يقطع أطايبها ويلقى على الجمر، ويأكلن ويأكل معهن، ويشرب من فضلة خمر كانت معه ويغنيهن، وينبذ إلى العبيد من الكباب؛ فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله وأنساعه، فتقسمن متاع راحلته وزاده، وبقيت عنيزة لم تحملها شيئًا، فقال لها: يا ابنة الكرام لا بدّ أن تحملينى معك فإنى لا أطيق المشى، فحملته على غارب بعيرها، فكان يجنح إليها فيدخل رأسه فى خدرها فيقبلها، فإذا امتنعت مال حَدَجُها فتقول: عقرت بعيرى فانزل، ففى ذلك يقول:

ويوم عقـــرتُ للعـــــذارى مطيتى ... فيـــا عجبًا من رحلهـا المتَحمَّـل
يظل العـــــذارى يرتمين بلحمهـا ... وشحم كهـــدَّاب الدِّمقس المفتَّل
ويوم دخلت الحـــذر خـدر عنيزة ... فقالـــت لك الويلات إنك مرجلى
تقول وقـــد مـــال العبيط بنا معًا ... عقرت بعيرى يا امرئ القيس فانزل
فقلت لهـــا سيرى وأرخى زمامـه ... ولا تبعـــدينا من جَنَـــاك المُعَلَّل

***

(فظ غليظ)

قال رجل لأحمد بن خالد الوزير: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ، قال: وكيف ذلك يا أحمق، قال: لأن الله يقول لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] وأنت فظ غليظ، ونحن لا نبرح من حولك.

***

(أخجلنى غلام)

قال أبو العيناء: أخجلنى غلام، قلت له: وددت أن لى (ابنًا مثلك) قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: أحمل أبى على امرأتك لتلد لك ابنًا مثلى.

***

(سهام من ذهب)

كان معن بن زائدة يتصيد، فعطش ولم يكن فى تلك الحال ماء مع غلمانه، فبينما هو كذلك إذ مرت به جاريتان من حى هناك، فى جِيدِ كل واحدة قربة من الماء فشرب منهما وقال لغلمانه: هل معكم شىء من نفقتنا؟ فقالوا: ليس معنا شىء، فدفع لكل منهما عشرة أسهم من سهامه، وكان نصالها من ذهب فقالت إحداهما للأخرى: ويحك ما هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل منا فى ذلك شيئًا،

فقالت إحداهما:

يُركب فى السهام نصال تِبْر ويرميها العدا كرمًا وجودا
فللمرضى علاج من جراح وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الأخرى:

ومحارب من فرط جود بنانه عمت مكارمه الأقارب والعدا
صيغت نصال سهامه من عسجد كى لا يعوقه القتال عن الندى

***

(تصرف الدهر)

يقول ابن الرومى فى وصف الدهر:

رأيت الدهر يرفع كل وغد ويخفض كل ذى زنة شريفة
كمثل البحر يغرق فيه دُرٌّ ولا ينفك تطفو فيه جيفة
وكالميزان يخفض كل وافٍ ويرفع كل ذى زنة خفيفة

***

(الأخ الصالح)

من كلام بعض العارفين: الأخ الصالح خير من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير.

***

(قوة حافظة المتنبى)

جلس المتنبى يومًا بسوق الوراقين، فمر به دفتر فيه أكثر من عشرين ورقة فاستعرضه منه المتنبى حتى طال تأمله فيه فقال له الدلال متضجرًا: إن كنت تريد شراءه فعَجِّل بالثمن، وإن كنت تريد أن تحفظ ما فيه فهذا لا يكون فى أكثر من

شهر، فقال المتنبى: إن كنت قد حفظته آخذه بغير ثمن، فقال الدلال: نعم، فشرع المتنبى يسرده عليه حتى أتمه، ثم وضعه فى كمه وانصرف به.

***

(عليك نفسك)

بعث هشام بن عبد الملك إلى سليمان الأعمش أحد علماء عصره طالبًا منه أن يذكر مناقب عثمان ومساوئ علىّ، فكتب إليه الأعمش يقول: أما بعد: فلو كان لعثمان رضى الله عنه مناقب أهل الأرض جميعًا ما نفعتك، ولو كان لعلى رضى الله عنه مساوئ أهل الأرض جميعًا ما ضرتك، فعليك بخاصة نفسك، والسلام.

***

(حسن السير والسلوك)

كان الشيخ عبد العزيز البشرى يركب دائمًا مع الدكتور على باشا إبراهيم فى سيارته، وكانت سيارة الدكتور كثيرًا ما تتعطل لخلل يطرأ على أسلاكها، وحدث مرة أن دعاه الدكتور إلى ركوبها معه فقال له: لا يا باشا عربيتك مش حاركبها غير لما تقدم لى شهادة بحسن السير والسلوك.

***

(مؤمن يحتضر)

قال أعرابى: دخلت على بشر بن منصور وهو يحتضر (يموت) فإذا بوجهه يطفح بِشْرًا وسرورًا فقلت له: ما هذا السرور؟ فقال: سبحان الله، أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين، وأقدم على أرحم الراحمين، ثم لا أُسرَّ.

***

(الحلوى والطفيلى)

قال الحسن بن الصباح النسائى: دخلت على جعفر بن محمد، فقال لى: ما تقول فى الحلوى؟ فقلت: لا أقضى على غائب، فدعا بجام محكوك مخروط قوائمه منه، وفيه لوزينج (نوع من الحلوى الفارسية)، معمول بالماورد الجورى وباللوز المقشور من قشريه، والسكر الطبرزد، ملفوف بالعسل الأبيض، إذا قلعت اللوزنجة سمعت لها صريرًا كصرير النعل السِّندى، فإذا أدخلتها فى فيك سمعت لها نشيشًا كنشيش الحديد إذا خرج من الكير فقلت: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣] فأطعمنى واحد، فقلت: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس:١٤] فأطعمنى ثانية، فقلت: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤] فأطعمنى ثالثة، قلت: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة:٢٦٠] فأطعمنى رابعة، قلت: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ﴾ [المجادلة:٧] فأطعمنى خامسة، قلت: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢] فأطعمنى سادسة، قلت: ﴿سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣] فأطعمنى سابعة، قلت: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام:١٤٣] فأطعمنى ثامنة، قلت: ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل:٤٨] فأطعمنى تاسعة، قلت: ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] فأطعمنى عاشرة، قلت: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤] فأطعمنى أحد عشر، قلت: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٦] فأطعمنى اثنى عشر، قلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾ [الأنفال:٦٥] قال: فرمى بالجام إلىَّ، وقال لى: كل يا ابن البغيضة، قلت: والله لو لم ترم إلىَّ بالجام لقلت لك: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

***

(من نوادر الطفيليين)

* نقش طفيلىٌ على خاتمه: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات:٩١].

* قيل لطفيلى: كم أربعة فى أربعة؟ قال: ستة عشر رغيفًا.

* جاء بُنان الطفيلى إلى وليمة، فأُغلق الباب دونه، فاكترى سُلَّمًا ووضعه على حائط الرجل، وتسوَّر، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا! أما تخاف الله؛ رأيت أهلى وبناتى! فقال: يا شيخ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩]، فضحك الرجل، وقال له: انزل فكل، فقال له بُنان: يا هذا! لا تسىء بالمشايخ الظن، واستغفر الله مما كان.

* قيل لنوح الطفيلى: كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخل إلى عرس؟ قال: أنوح على الباب حتى يتطيَّروا منى فيدعونى.

* قال ابن دراج الطفيلى: مرت جنازة ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول: يذهبون بك إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء، ولا ضيافة ولا غطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال لى ابنى: يا أبة! إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة، فقلت له: وكيف ذلك؟! قال: لأن هذه الصفات صفة بيتنا.

* مر طفيلى على قوم يتغذون، فقال: سلام عليكم معشر اللئام، فقالوا: لا والله بل كرام، فثنى ركبته، وقال: اللهم اجعلهم صادقين، واجعلنى من الكاذبين.

* * *

(صفة الأخ الصادق)

قال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك: خير الأخوان أقلهم مصانعة فى النصيحة، وخير الأعمال أحلاها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار، وأشرف السلطان ما لم يخالطه البطر، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرًا، وخير الإخوان من لم يخاصم، وخير الأخلاق أعونها على الورع، وإنما يختبر ود الرجال عند الفاقة والحاجة.

* * *

(مظلوم فصيح)

تظلم رجل إلى المأمون من عامل له، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترك لى فضة إلا فضها ولا ذهبًا إلا ذهب به، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا عِلْقًا إلا عَلقه، ولا عرضًا إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها، ولا جليلًا إلا أجلاه، ولا دقيقًا إلا أدقَّه، فعجب المأمون من فصاحته وقفى حاجته.

* * *

(صفة الرجل الكامل)

وصف بعض البلغاء رجلًا فقال: إنه بسيط الكف، رحب الصدر، موطأ الأكناف، سهل الخلق، كريم الطباع، غيث مغيث، وبحر زخور، ضحوك السن، بشير الوجه، بادى القبول، غير عبوس، يستقبلك بطلاقة ويحييك ببِشْر، ويستدبرك بكرم غيب، وجميل سر، تبهجك طلاقته، ويرضيك بِشْره، ضحَّاك على مائدته، عبدًا لضيفانه، غير ملاحظ لأكيله، بطين من العقل، خميص من الجهل، راجح الحلم، ثاقب الرأى، طيب الخُلُق، محصن الضريبة، معطاء غير سائل، كاسٍ من كل مكرمة، عارٍ من كل ملامة، إن سُئِل بذل، وإن قال فَعَل.

* * *

(المأمون وبعض خاصته)

عتب المأمون على بعض خاصته، فقال: يا أمير المؤمنين إن قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة، قال: صدقت، وعفا عنه.

* * *

(عمال المأمون)

قال عمرو بن سعد بن أسلم: كانت علىَّ نوبة فى حرس المأمون، فكنت فى نوبتى ليلة فخرج متفقدًا مَنْ حضر، فعرفته ولم يعرفنى، فقال: من أنت؟ قلت: عمرو، عمرك الله، ابن سعيد، أسعدك الله، ابن أسلم، سلمك الله، فقال: تكلؤنا منذ الليلة (أى تحرسنا منذ الليلة) قلت: الله يكلؤك قبلى وهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين، فقال المأمون:

إن أخاك الحق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا صرف الزمان صدعك بدَّد شمل نفسه ليجمعك

* * *

(أجمل شىء فى الدنيا)

* قال على بن جبلة العكوك: قال الأصمعى: سئل امرئ القيس: ما أطيب لذات الدنيا؟ قال: بيضاء رعبوبة، بالحسن مكبوبة، بالشحم مكروبة، بالمسك مشبوبة.

* وسُئل الأعشى عن ذلك، فقال: صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية.

* وسُئل طرفة عن ذلك فقال: مركب وطىّ، وثوب بهىّ، ومطعم شهىّ، قال العكوك: فحدثت بهذا أبا دلف فقال:

أطيب الطيبات قتل الأعادى واختيالٌ على متون الجياد
ورسولٌ يأتى بوعد حبيبٍ وحبيب يأتى بلا ميعاد

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله، فقال: ما أدرى ما قالوا ولكنى أقول:

فاقبل من الدهر ما أتاك به من قرَّ عينًا بعيشه نفعه

* * *

(أرزاق الحمقى)

قال جعفر بن محمد: إن الله وسَّع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء، ويعلموا أن الدنيا لا يُنال ما فيها بعقل ولا حيلة، إلا أن كسب المال بالحظ وحفظه بالعقل.

* * *

(أى الاكتساب أفضل؟)

قيل لبزرجمهر: أى الاكتساب أفضل؟ قال: العلم والأدب، كنزان لا ينفدان، وسراجان لا يطفأن، وحُلّتان لا تبليان، من نالهما نال أسباب الرشاد، وعرف طريق المعاد، وعاش رفيعًا بين العباد.

* * *

(حكمة كسرى)

قيل لكسرى: أى الملوك أفضل؟ قال: الذى إذا حاورته وجدته عليمًا، وإذا خبرته وجدته حكيمًا، وإذا أُغضب كان حليمًا، وإذا ظفر كان كريمًا، وإذا استمنح منح جسيمًا، وإذا وعد وفى، وإن كان الوعد عظيمًا، وإذا شُكِى إليه كان رحيمًا.

* * *

(زوج محظوظ)

قالت الزوجة لإحدى زائراتها: زوجى دائمًا محظوظ بحسن البخت، حتى أنه عندما صدمته سيارة كانت الصدمة أمام المستشفى.

* * *

(مكافأة أحمد بن المدبر)

كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره، قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة، ثم خله، فتحاماه الشعراء (أى ابتعدوا عنه) إلا الأفراد المجيدين، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل، فاستأذنه فى النشيد، فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، فأنشده:

أردنا فى أبى حسن مديحا ... كما بالمدح يُنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرًّا ... ومن كفاه دجلة والفرات؟
فقالوا: يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم: وما تغنى صلاتى ... عيالى! إنما الشأن الزكاة
فأما إذا أبى إلا صلاتى ... وعاقتنى الهموم الشاغلات
فيأمر لى بكسر الصاد منها ... فتصبح لى الصَّلاة هى الصِّلاة

فضحك واستظرفه وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبى حمام الطائى:

هُنَّ الحَمَام فإن كسرت عيافه ... من حائهن فإنهنَّ حِمام

* * *

(الشرع يدعو إلى صيانة اللسان وحسن الكلام)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خير فغنم أو سكت فسلم».

وقال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقال: «لا يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه».

* * *

(نباهة منجم)

تنبأ أحد المنجمين عن أمور لم تسر الملك فاستدعاه إليه ليقتله وقال له: إن كنت تعرف ما سيجرى فأخبرنى متى أموت وإلا قتلتك فورًا، قال المنجم: سأموت قبل جلالتكم بثلاثة أيام فعفا عنه.

* * *

(طول عمره فى الماء)

اشترى رجل سمكًا لبيته، وبعد أن سلم السمك لزوجته وأوصاها بتنظيفه وقليه بالزيت، فأخذت السمك وبعد نزع جوفه أخذت تقليه بدون غسل فقال زوجها: لماذا لم تغسيله قبل قليه؟ أجابته: طول عمره فى الماء.

* * *

(عمر واحد)

شكا قروى عجوز ألمًا فى إحدى ساقيه، ولما فحصه الطبيب المختص قال: هذه آلام طبيعية بالنسبة لعمرك، فأجاب القروى ساخرًا: لو كان الأمر كذلك لآلمتنى ساقى الأخرى أيضًا فهما فى نفس العمر.

* * *

(حيلة المحقق)

فتش أحد رجال البوليس منزلًا يسكنه زميلان، فوجد فيه مسدسًا بغير ترخيص، فقادهما إلى مركز البوليس، وفى النيابة أخذ كل من الزميلين يلقى بتهمة امتلاك

المسدس على الآخر، ولما عجز وكيل النيابة من تحديد صاحب المسدس باعتراف أحدهما استدعى وكيل النيابة ضابط البوليس الذى قام بتفتيش المنزل، وأخذ يناقشه فى إذن النيابة بالتفتيش ثم قال وهو يتظاهر بالغضب: لم يعد ثمة وجه لإقامة الدعوى على المتهمين، أعط المسدس لصاحبه، وهنا مد أحد المتهمين يده ليأخذ المسدس، فأحاله المحقق للمحاكمة، وعرف أنه صاحب المسدس.

***

(سيد العرب)

* جاء حاجب بن زرارة على باب كسرى فحال الحاجب بينه وبين الوصول إلى كسرى، فقال له: قل للملك إن بالباب امرؤ من العرب يريد الدخول، فلما أذن له بالدخول قال له: من أنت؟ فقال: سيد العرب، قال كسرى: ألست القائل أنك امرؤ من العرب؟ فقال: نعم، قلت ذلك قبل وصولى إليك، ومثولى بين يديك، أما الآن وقد تشرفت بخدمتك، وحظيت برؤيتك فقد صرت سيد العرب، فقال له كسرى: لله درك أجبت فأعجبت.

* أراد الحجاج أن يقف على أسرار الناس فيه وفى عماله، فخرج متنكرًا، حتى لقى شيخًا فقال له: ما رأيكم فى رؤسائكم؟ قال الشيخ: إنهم ظلمة مستبدون غير أكْفاء، قال: ما رأيكم فى الحجاج؟ قال: إنه دنىء الخصال، برىء من الفضائل، فأسف الحجاج على سؤاله وتلا قول الله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] ثم قال للشيخ: أنا الحجاج، فقال الشيخ وأنا زيد بن عامر يمسنى الشيطان كل يوم مرة، فأصرع فلا أدرى ما أقول، فعفى عنه لحسن تخلصه.

***

(كمال الرجل بآدابه لا بثيابه)

نظر معاوية إلى امرئ ضئيل فى مجلسه، عليه عباءة رثة فازدراه مستهزئًا به، وأبى مجاذبته أطراف الحديث فاستشعر الرجل سوء نية معاوية له، فقال له: يا أمير المؤمنين: إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها، وأنشد قائلًا:

إنى وإن كانت أثوابى ملفقة ... ليست بخَزٍّ ولا من نسج كتان

فإن فى المجد هماتى وفى لغتى ... فصاحة ولسانى غير لحان

فخجل معاوية من جوابه وبالغ فى إكرامه.

* * *

(حسن التأسى)

قال أحد الرجال: ما شكوت من الزمان ولا برمت بحكم السماء إلا عندما حفيت قدماى، ولم استطع شراء حذاء، فدخلت جامع الكوفة، وأنا ضيق الصدر، فرأيت رجلًا بلا رجلين، فحمدت الله وشكرت نعمته علىَّ.

* * *

(عمر بن عبد العزيز والغلام)

دخل على عمر بن عبد العزيز فى مبدأ ولايته وفود المهنئين، فتقدم وفد الحجازيين بين يديه فقام من بينهم غلام لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وأراد أن يتكلم عن قومه، فقال له عمر: أجلس أنت وليقم من هو أسن منك، فقال الغلام: أيدك الله يا أمير المؤمنين المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان فى الأمة من أحق منك بمجلسك هذا، فَسُرَّ عمر من حسن جوابه وفصاحة لسانه، وأكرمه وسمع شكاية قومه وقضى حوائجهم.

(المعتصم والغلام)

ذهب المعتصم ليعود عـاملًا من عماله، وكان لهذا العامل ولد ذكى الفؤاد، سريع الخاطـر، حاضـر الجواب، فلمـا رآه المعتـصم قال له: يـا غلام دارى أحسن أم دار أبيك؟ فقال الغلام: ما دام أمير الـمؤمنين فى دار أبى فهى أحسن، فَسُرَّ منه، ثم أراه خاتمه الذى فى يده وقـال له: هل رأيت أحسن من هذا الخاتم أيها الغلام؟ قال: نعم يـا أمير المؤمـنين، اليد التى هـو فيها، فَسُـرَّ المعتصم لـذكاء الغلام وسرعـة خاطره، وانتزع الخاتم من يده وكافأه به وأنشد قائلًا:

نِعَم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجـــابة الأولاد

***

(حسرة)

بـينما أحد الصالحين يمشى ذات يوم من الأيام وجد رجلًا يشوى لحمًا فى النار، فبكى الرجل الصالح، فقال له الشـواء: ما يبكيك؟ هل أنت محتاج للحم ولا تملك ثمنه، فقال الرجل الصالح: لا، إنما أبكى على ابن آدم يدخل الحيوان النار ميتًا وهو يدخلها حيًّا.

***

(معلم كسرى)

كان لكسرى مؤدب، نال على يديه التـقدم والرقى، فضرب المؤدب كسرى ذات يـوم من غير ذنب ليذوق ألـم الظلم، فتألـم كسرى وبحث عـن ذنب فعله فلم يجد، فلما تـولى كسـرى الملك أمر بـإحضار مـؤدبه فجاء، فقـال له كسرى: فـى يوم كذا ضـربتنى ولا ذنب لى، فقـال: أيها الملك العـادل، رأيت أنك ستكون مـلكًا ذا قول نافـذ، وحكم مسمـوع، فأردت أن أذيقك ألم الـظلم وأنت صغير حتـى لا تلجأ إليه

وأنت كبير فتعيش آمنًا مطمئنًا، فشكر كسرى عمله ورفع منزلته.

* * *

(أصوات)

الصهيل صوت الفرس فى أكثر أحواله، الشحيج للبغل، والنهيق للحمار، الخوار للبقر، والثغاء للغنم، والثؤاج للضأن، واليعار للمعز، والنبيب للتيس، والزئير للأسد، العواء والوعوعة للذئب، النباح للكلب، العرار للظليم، الزمار للنعامة، والصرصرة للبازى، القعقعة للصقر، والصفير للنسر، الهديل والهدير للحمام، السجع للقمرى، العندلة للعندليب، النعيق والنعيب للغراب، فحيح الحية بفيها وكشيشها بجلدها، النقيق للضفدع، الصىء للعقرب والفأر، الخرير صوت الماء الجارى، الأزيز صوت المرجل عند الغليان، هزيل الريح وهزيم الرعد وعزيف الجن، حفيف الشجر، جعجعة الرَّحا وسَوْاس الحُلِىّ، خفق النعل، صريف ناب البعير، مكاء النافخ فى يده، القعقعة صوت السلاح، الزفير صوت النار، الطنين صوت الذباب والبعوض، الأطيط صوت الناقة والجمل.

* * *

(الصمت)

* كان أعرابى يجالس الشعبى وكان يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال: أسمع فأعلم وأسكت فأسلم.

* وقالوا: (مقتل المرء بين لحييه وفكيه).

* وأخذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه بطرف لسانه وقال: هذا الذى أوردنى الموارد.

* وقالوا: ليس شىء أحق بطول سجن من لسان.

* وقالوا: اللسان سُبُع عقور.

* وقال النبى ﷺ: «وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم».

* * *

(امرأة تتكلم بالقرآن)

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا هى عجوز عليها درع من صوف، وخمار من صوف، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقالت: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨] فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان؟ قالت: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف:١٨٦] فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١] فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت الله المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم فى هذا الموضع؟ قالت: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم:١٠] فقلت: ما أرى معك طعامًا تأكلين، قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] قلت: فبأى شىء تتوضئين؟ قالت: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣] فقلت لها: إن معى طعامًا فهل لك فى الأكل؟ قالت: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧] فقلت: ليس هذا شهر رمضان، قالت: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] فقلت: قد أبيح لنا الإفطار فى السفر، قالت: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤] فقلت: لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك؟ قالت: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] فقلت: فمن أى الناس أنت؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦] فقلت: قد أخطأت، فاجعلينى فى حل، قالت: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢] فقلت: فهل لك أن

أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة؟ قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧] قال: فأنخت ناقتى، قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠] فغضضت بصرى عنها، وقلت لها: اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها، فقالت: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها، قالت: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣، ١٤] فأخذت الناقة وجعلت أسرع وأصيح، فقالت: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان:١٩] فجعلت أمشى رويدًا وأترنم الشعر، فقالت: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠] فقلت لها: لقد أوتيت خيرًا كثيرًا، قالت: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩] فلما مشيت بها قليلًا، قلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١] فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] فعلمت أن لها أولاد، فقلت: وما شأنهم فى الحج؟ قالت: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات، فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى، فإذا بشبان كأنهم الأقمار، قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس، قالت: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩] فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدموه بين يدى، وقالت: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤]، فقلت: الآن طعامكم علىَّ حرام حتى تخبرونى بأمرها، فقالوا: هذه أمُّنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت: ذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* * *

(مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهًا)

كان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهًا، حُكى أنه كان جالسًا بفناء داره يومًا بالبصرة إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر إليه، فقال لها: ما وقوفك يرحمك الله؟ فقالت: طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحًا.

***

(إبراهيم بن المهدى والجارية)

قيل: اختفى إبراهيم بن المهدى زمن المأمون عند عمته وكانت تكرمه غاية الكرم، ووكلت به جارية قد أدبتها وأنفقت عليها الأموال، وكانت حاذقة راوية للشعر، وكانت قد طُلبت منها بخمسين ومائة ألف درهم، وكانت تلى خدمة إبراهيم وتقوم على رأسه، فهويها وكره طلبها من عمته، فلما اشتد وجْدُه بها وسكر، أخذ عودًا وغنى بشعر له فيها، وهى واقفة على رأسه:

يا غزالًا لى إليه ... شافع من مقلتيه
والذى أجللت خديه ... فقبَّلت يديه
بأبى وجهك ما ... أكثر يديه حسادى عليه
أنا ضيف وجزاء ... الضيف إحسان إليه

فسمعت الجارية الشعر، وفطنت لمعناه لرقتها وظرفها، وكانت مولاتها تسألها عن حالها وحاله كل يوم فأخبرتها فى ذلك اليوم بما فى قلبه منها وبما سمعت منه من الشعر والغناء، فقالت لها مولاتها: اذهبى إليه قد وهبتك له، فعادت إليه، فلما رآها أعاد الصوت، فأكبت عليه الجارية، فقبلت رأسه، فقال لها: كُفِّى، فقالت: قد وهبتنى مولاتى لك، وأنا الرسول فقال: أما الآن فنعم.

***

(أعرابية ظريفة)

قيل لأعرابية ظريفة: ما بال شفتيك مشققة؟ فقالت: إن التين إذا حلا تشقق والورد يتشقق إذا مسه الندى.

* * *

(أحسن الناس وجوها)

قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم حلو بالرحمن، فألبسهم نورًا من نوره.

* * *

(صلاة رابعة العدوية)

كانت رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: والله ما أريد بها ثوابًا، ولكن ليسر ذلك رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء عليهم الصلاة والسلام: انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة.

* * *

(صلاة مسلم بن بشار)

كان مسلم بن بشار إذا أراد أن يصلى فى بيته يقول لأهله: تحدثوا فلست أسمع حديثكم، وكان إذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلامًا فإذا قام إلى الصلاة تحدثوا، وضحكوا، ووقع حريق إلى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى أطفئ.

* * *

(وصية عبيد بن عمير)

عن عبيد بن عمير قال: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، فمن أطعم لله أشبعه الله، ومن سقا لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله.

* * *

(جزاء الصدقة)

جلس رجل يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية، فوقف سائل ببابه فخرج الرجل إليه وانتهره فذهب، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته، وتزوجت بعده برجل آخر، فجلس يأكل معها فى بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية، وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته: ادفعى إليه هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدجاجة، ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره، زوجها الأول، فقال لها زوجها: أنا والله ذلك السائل.

* * *

(الأمثال فى القرآن)

١ ـ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

٢ ـ الآن حصص الحق.

٣ ـ أليس الصبح بقريب.

٤ ـ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة.

٥ ـ ليس لها من دون الله كاشفة.

٦ ـ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم.

٧ ـ لكل نبأ مستقر.

٨ ـ وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

٩ ـ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

١٠ ـ لا يستوى الخبيث والطيب.

١١ ـ وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض.

١٢ ـ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.

١٣ ـ فذَكِّر إنما أنت مذَكِّر لست عليهم بمسيطر.

١٤ ـ يا ليت بينى وبينك بُعْدَ المشرقين فبئس القرين.

١٥ ـ كل من عليها فان.

١٦ ـ كل نفس ذائقة الموت.

١٧ ـ وما ربك بغافل عما تعملون.

***

(الأمثال فى الحديث النبوى الشريف)

١ ـ إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

٢ ـ نية المرء خير من عمله.

٣ ـ آفة العلم النسيان.

٤ ـ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

٥ ـ إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

٦ ـ أنزلوا الناس منازلهم.

٧ ـ اليد العليا خير من اليد السفلى.

٨ ـ من مات غريبًا مات شهيدًا.

٩ ـ من غشنا فليس منا.

١٠ ـ سيد القوم خادمهم.

١١ ـ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

١٢ ـ كاد الفقر أن يكون كفرًا.

١٣ ـ الأعمال بخواتيمها.

١٤ ـ كلٌّ ميسر لما خُلق له.

١٥ ـ استعينوا بقضاء حوائجكم بالكتمان.

١٦ ـ انتظار الفرج عبادة.

١٧ ـ الندم توبة.

١٨ ـ الوحدة خير من جليس السوء.

١٩ ـ اطلبوا الخير من حسان الوجوه.

٢٠ ـ يد الله مع الجماعة

***

(امرأة وهارون الرشيد)

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من أصحابه فقالت: يا أمير المؤمنين، أقر الله عينك، وفرَّحك بما آتاك، وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟ قالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم، فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره، أما المال فمردود إليك ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ قالوا: ما نراها قالت إلا خيرًا، قال: أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها فرحك بما آتاك فأخذته من قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام:٤٤]، وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

وأما قولها حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]، فتعجبوا من ذلك.

(فأر البيوت وفأر الصحراء)

قيل: إن فأر البيوت رأت فأر الصحراء فى شدة ومحنة، فقالت لها: ما تصنعين ههنا؟ اذهبى معى إلى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب، فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد (المصيدة) لبنة تحتها شحمة، فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها، فهربت فأرة الصحراء، وهزت رأسها متعجبة وقالت: أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدًا، ألا وإن العافية والفقر أحب إلىَّ من غنى يكون فيه الموت ثم فرت إلى الصحراء.

* * *

(الكاظمين الغيظ)

حكى عن جعفر الصادق رضى الله عنه، أن غلامًا وقف يصب الماء على يديه فوقع الإبريق من يد الغلام فى الطست، فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر إليه نظر مغضب فقال: يا مولاى ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قال: قد كظمت غيظى، قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى.

* * *

(الوعد)

* قال أعرابى: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

* وقال أعرابى: العذر الجميل خير من المطل الطويل.

* وقال الشاعر:

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد ... لا خير فى وعد بغير تمام

أنعم علىَّ بما وعدت تكرما ... فالمطل يذهب بهجة الإنعام

(رجل مزور)

حكى أن رجلًا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع، وتضمن أنه أطلق له ألف دينار، ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل، فشرع فى أن يزن له الألف دينار، وفجأة إذا بالفضل بن الربيع قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل، وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها، ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخوف والخجل، فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت؟ قال: لا، قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة، فأسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال، وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرًا فى أمره، فالتفت إليه الفضل وقال له: طب نفسًا، وامض إلى سبيلك آمنًا على نفسك، فقبَّل الرجل يده وقال له: سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة، ثم أخذ المال ومضى.

* * *

(منزلة الشيب فى الإسلام)

* عن أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: وعزتى وجلالى وفاقة خلقى إلىَّ إنى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام أن أعذبهما»، ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «أبكى ممن يستحى الله منه، وهو لا يستحى من الله».

* وقال ﷺ: «من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار».

* وقال: «وإذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فإنه أسير الله فى الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات».

* * *

(حب الوطن)

* قيل: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة.

* اعتل سابور ذو الأكتاف وكان أسيرًا ببلاد الروم، فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته: ما تشتهى قال: شربة من ماء دجلة، وشمة من تراب اصطخر، فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب، وقالت له: هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك، فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته.

* وقال بعض الشعراء:

بلاد ألفناهـــا على كل حـــــالة
وقد يُؤلف الشيء الذى ليس بالحسن
ونستعـــذب الأرض التى لا هـواء بها
ولا ماؤهـــا عـــــذب ولكنها وطن

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
آداب نبوية	٥
المروءة	٥
طرائف الحكمة	٦
ستة لا تخطئهم الكآبة	٦
أربعة تضيع	٦
البَر والبُر والبِر	٦
أدب المجالسة	٧
السفيه	٧
جاء بالله إلى الله	٧
مكتوب على قبر	٨
أحمق شعر قالته العرب	٨
أصدق بيت قالته العرب	٩
أنصف بيت قالته العرب	٩
أسير بيت قالته العرب	٩
أحكم بيت قالته العرب	٩
أمدح بيت قالته العرب	١٠
أهجى بيت قالته العرب	١٠
أشجع بيت قالته العرب	١٠
وأمدح بيت أيضًا قالته العرب	١٠
أهجى بيت قالته العرب	١١
أرثى بيت قالته العرب	١١
جزاء الشامتين	١١
كل النعيم إلى زوال	١١
كلٌ لا محالة زائل	١٢
عيبك وعيوب الناس	١٢
قبران	١٢
الأدب	١٣
العلم والجهل	١٣
ابن الحجاج والمائدة	١٤

البهاء زهير يصف بغلة ١٥
الغدر ١٥
العفاف والطهر ١٥
من المعتصم لملك الروم ١٦
إكرام النفس ١٦
رزقى سوف يأتينى ١٧
أعرابى يطلق زوجته ١٧
ميل المرأة إلى ذى مال ١٧
أنو شروان وسياسة الدولة ١٧
بلوغ أعلى المنازل ١٨
صفات أخلاقية ١٨
وصية معاوية لزياد ١٨
أجهل الناس ١٩
بين العجاج وعبد الملك بن مروان ١٩
وصف كاتبة ١٩
حسن الخط ١٩
قريش أضعف العرب شعرًا ٢٠
وفاة الإسكندر ٢٠
الحنين إلى الوطن ٢٠
فضل الشعر ٢١
تعلم العربية ٢١
وصف النساء ٢٢
وصف الهوى ٢٢
العفاف ٢٢
حفظ النظر ٢٣
منزلة القلب ٢٣
ضرر السمع والبصر ٢٣
غض البصر ٢٤
الرأى والهوى ٢٤
معاتبة الصديق ٢٤
محاسدة الأقارب ٢٥
الساعى بين الناس بالنميمة ٢٦
الغيبة ٢٦

مداراة أهل الشر ٢٧
الصديق السوء ٢٧
ذم الزمان ٢٧
فساد الإخوان ٢٨
التواضع ٢٨
الرفق والأناة ٢٩
ضمائر الناس ٢٩
الصديق ٢٩
فضل الأدب ٣٠
صفات خلقية ٣٠
حسن الصحبة فى السير ٣١
فى تأديب الولد ٣١
صفة الإمام العادل ٣٢
هيبة الإمام وتواضعه ٣٢
موعظة ٣٣
كتمان السر ٣٣
أشعب الطماع ٣٤
الزهد ٣٤
أضحكنى وأبكانى ٣٥
شيب اللحية ٣٥
عمل يحبه الله ٣٦
موعظة على حجر ٣٦
موعظة عيسى ابن مريم ٣٦
الدنيا ٣٧
كيف أصبحت ٣٧
الكذب ٣٧
الصاحب ٣٧
عَلَام الهم ٣٨
الناس ثلاثة ٣٨
معرفة الله ٣٨
كرم الدنيا وشرف الآخرة ٣٨
ثلاثة حق ٣٩
أربع خصال ٣٩

معالجة الصديق ٣٩
خير المال ٣٩
العلم ٤٠
الكلمة الطيبة ٤٠
نصيحة ٤٠
احذر ٤٠
يسهر الليل وينام النهار ٤١
أى الرجال أفضل ٤١
أثر المعصية ٤١
طلب الآخرة ٤١
الصالح والفاسد ٤٢
أربعة تؤدى إلى أربعة ٤٢
مجالسة العلماء ٤٢
الحياء ٤٢
الرَّبُّ لا يعذرك ٤٣
الحب القاتل ٤٣
زواج فاشل ٤٣
العلم والخلق الجميل ٤٤
الناس نوعان ٤٥
الإخاء والصداقة ٤٥
غفران زلة الصديق ٤٥
خليل وعبد ٤٥
الصداقة والكلفة ٤٦
محاورة شعرية ٤٦
نصيحة ٤٦
ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة ٤٧
مرض زياد ٤٧
تارك الصلاة ٤٧
الحسنة بعشر أمثالها ٤٧
أعرابى ومالك بن طوق ٤٨
بين أعرابى وهشام بن عبد الملك ٤٩
فضل الكلام ٥٠
عمر بن الخطاب والمدح ٥٠

عمر بن الخطاب والحطيئة ٥٠
عيادة مريض ٥١
وصية الإمام مالك ٥١
أفضل الأعمال ٥٢
ثلاث نعم ٥٢
كرامة الإمام أحمد بن حنبل ٥٢
عمر وزوجته ٥٣
موعظة إبراهيم بن أدهم ٥٣
حب الولد ٥٣
أدب الحديث والاستماع ٥٥
المروءة ٥٦
فى رقة الأدب ٥٦
الحلم ٥٦
السؤدد ٥٧
فضل العلم والأدب ٥٨
فضل العقل ٥٩
فضل البلاغة ٥٩
الحجاج والأسرى ٥٩
موعظة أعرابى ٦٠
منزلة على بن أبى طالب ٦٠
مدح أعرابى ٦١
من نوادر الأعراب ٦١
نوادر الأعراب ٦١
أشعب وأكل الحيتان ٦٢
احتجاج المتطفلين ٦٣
دعوة بُنان الطفيلى ٦٤
حيل الطفيليين ٦٦
أمثال للعرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله مما هو أجل منها وأعلى ٦٧
أبو الأسود الدؤلى يتخاصم مع امرأته ٦٨
دعوة أعرابية ٦٨
فضل العمامة ٦٩
من كلام الأطباء والفلاسفة ٦٩
العجلة أمُّ الندامة ٧٠

قضاء الله وعدله ٧٠
من الأجوبة المفحمة ٧٠
الدنيا وأهلها ٧١
بين أعرابى وبعض الولاة ٧١
أربع كلمات طيبات ٧١
من جميل المديح ٧٢
وصف عصا ٧٢
عزة الخليل بن أحمد ٧٣
قالوا فى الشيب ٧٣
فضل الأدب ٧٤
فضل العلم والأدب ٧٤
أدب ابن الفوال والحلاق ٧٤
هب لى كلبًا ٧٥
الضبعة والرجل ٧٥
الأسد الأعمى المتكبر ٧٦
الطيور والثعلب ٧٦
حكمة ٧٧
وصية الأحنف لولده ٧٧
حكمة ٧٧
نصيحة ٧٧
صائد وعصفور ٧٨
فضل السكوت ٧٨
حسن العهد ٧٨
حسن الحجاب ٧٩
من نوادر الأغبياء ٧٩
من مستحسن الأجوبة ٨١
الفرزدق يهجو بنى كليب ٨١
دعاء أعرابى ٨١
وعظ أعرابى ٨٢
أعرابى يصف قومه ٨٢
وصف امرأة ٨٣
الشراب وخطره ٨٤
فى الإقدام حياة ٨٤

من أخبار أبى دلف وشعره ٨٥
الإخوان ثلاثة ٨٥
أحمق ٨٥
مجنون ٨٦
قيمة الصمت ٨٦
ثلاثة ٨٧
بين الخضر وموسى عليه السلام ٨٨
حج إبراهيم بن أدهم ٨٨
وصف القمر ٨٩
العبادة الخالصة ٨٩
خماسيات ٩٠
الغيبة ٩٠
شروط المضيف ٩٠
ذكاء بدوى ٩٠
كرم عبد الله بن المبارك ٩١
غلام يتيم أكرم من حاتم ٩١
أحسنت ٩٢
بين الحسن والحسين ٩٢
يقيم الحد على شاة ٩٢
ضيوف معن بن زائدة ٩٣
حلم ابن الخطاب ٩٣
سيدنا يوسف والحب ٩٣
زوجة المهلب بن أبى صفرة ٩٤
أردشير وبناءه ٩٤
الأعور ٩٤
الشرطى والمدح ٩٤
أمير وجنده ٩٥
فكاهات ٩٥
المجنون والفلاح ٩٦
العاشق ٩٦
جمع شمل المحبين ٩٧
حمار أبى العيناء ٩٨
الثقة لا ينم ٩٨

كيف سرق الحمار؟! ٩٨
المتوكل وأبى العيناء ٩٨
على بن أبى طالب وابنه محمد ٩٩
الخمر حلال أم حرام ٩٩
نسوة يضحكن على جرير الشاعر ٩٩
المأمون وأم الفضل ١٠٠
حُجّة رجل ١٠٠
الفقير والقرية ١٠٠
يخطب فى الأرض السفلى ١٠٠
الفرض وفرض الفرض ١٠١
شاب أفحم الشعبى ١٠١
سبب الضحك ١٠٢
القول فى الثقلاء ١٠٢
عقوق الوالدين ١٠٢
وفاة عمر بن عبد العزيز ١٠٣
العصيان يؤدى إلى زوال الملك ١٠٤
حِكَمٌ عظيمة ١٠٤
من توكل على الله كفاه ١٠٥
عمر بن الخطاب والرعية ١٠٥
البكاء من خشية الله ١٠٦
من لطائف الشعراء ١٠٧
خير الزاد التقوى ١٠٩
أثر الذنوب ١٠٩
عدل الإسلام ١٠٩
توبة تائب ١١٠
فاجر وعابد ١١١
رجل فريد ١١١
فى المدح ١١٢
كره الإخوان ١١٢
إخوان الصدق ١١٢
ضرر المعارف ١١٢
طول السفر ١١٣
مداراة الناس ١١٣

تعايش الناس ١١٣
قرناء السوء ١١٤
ترك القطيعة ١١٤
نقص الصديق ١١٤
خطبة المودة ١١٤
المعاتبة خير من الفقد ١١٤
الناس خنازير ١١٥
الحرص على الصديق ١١٥
نصيحة ١١٥
الحكيم والفتى ١١٥
إبليس وعيسى عليه السلام ١١٦
نسب جندى ١١٦
زاهد ١١٦
خطبة معاوية ١١٦
طبيب دجال ١١٧
الضابط والجندى ١١٧
السيدة وتاجر القماش ١١٧
العافية ١١٧
أستاذ وتلميذه ١١٨
زائر وطفله ١١٨
فتاة وشاب ١١٨
طفل وزائر ١١٨
يعلمه السباحة ١١٩
كثرة الزحام ١١٩
رجاء ١١٩
ضرب الحمه ١١٩
زواج ١٢٠
طفل وأمه ١٢٠
عفو الرشيد ١٢٠
عداوة النساء ١٢١
كرم الفضل بن يحيى ١٢١
خمس خصال ١٢٣
الخليل وسيدنا إسماعيل ١٢٣

علامة ١٢٤
رقية فاشلة ١٢٤
الفرار من الموت ١٢٥
شعراء مصر عند الوالى ١٢٦
خذ الجار قبل الدار ١٢٦
طبع كريم ١٢٦
اللهم ارزقنا السابعة ١٢٧
أربع لا يشبعن من أربع ١٢٧
شهادة الحمير ١٢٧
أشأم من طويس ١٢٨
طلق خمسة فى ساعة ١٢٨
قصة هاروت وماروت ١٢٩
حقارة الدنيا ١٣٠
أروغ من ثعالة ١٣١
الفقير ١٣١
كرم أسماء بن خارجة ١٣١
الإيثار ١٣٢
كرم يزيد بن المهلب ١٣٢
كريم حتى بعد موته ١٣٣
خطر الكذب ١٣٣
بخل أهل مرو ١٣٣
أبو الكرم حاتم الطائى ١٣٤
بخل محمد بن يحيى ١٣٥
بخل مروان بن أبى حفصة ١٣٥
بخل محمد بن الجهم ١٣٦
رجل من البخلاء ١٣٦
حلم الرشيد ١٣٦
أحسن المدح ١٣٧
جحدر بن ربيعة والحجاج ١٣٧
شكر الحواس ١٣٨
أضيع الأشياء ١٣٩
العباس صاحب شرطة المأمون ١٣٩
أبو دلامة والهجاء ١٤٣

رؤوس الناس والزمان ١٤٣
ولد اسمه حمزة ١٤٣
كيف الفرج يا رسول الله؟ ١٤٤
درجة عالية ١٤٤
اليسر بعد العسر ١٤٤
ديسيموس اليونانى ١٤٥
شجاعة سيف الدولة ١٤٥
بخل أهل مرو ١٤٦
علمه حيلة فوقع فى أسرها ١٤٧
قسمة الدجاج ١٤٨
وصية أبى بكر لخالد بن الوليد ١٤٩
التيسير على المعسر ١٤٩
عمر بن عبد العزيز والخلافة ١٥٠
أكرم رجل بعد أمير المؤمنين ١٥٠
حكاية خزيمة بن بشر وعكرمة الفياض ١٥١
الحجاج وإبراهيم بن طلحة ١٥٤
قصة وعبرة ١٥٥
دَيْن يمنع الزيارة ١٥٦
العلم والعقل ١٥٦
حلم المأمون ١٥٧
ثمن المهلب خمسمائة درهم ١٥٧
أهل الفضل ١٥٨
قول الإمام على فى النساء ١٥٨
أثر الذنوب ١٥٨
ليس للنساء أمان ١٥٩
حِكَمٌ عظيمة ١٦٠
من توكل على الله كفاه ١٦٠
خير الزاد التقوى ١٦١
فكاهات ١٦١
دار لا تخرب ولا يموت صاحبها ١٦٢
مداراة الناس ١٦٣
الحرص على الصديق ١٦٣
نصيحة ١٦٣

الناس نوعان ١٦٤
خليل وعبد ١٦٤
هجر الأصدقاء ١٦٤
أكرم الناس عشرة ١٦٥
الإخاء رق ١٦٥
خلق كريم ١٦٥
الصداقة والكلفة ١٦٥
وحدانية الله ١٦٦
الحسنة بعشر أمثالها ١٦٦
المروءة ١٦٦
من نوادر الأعراب ١٦٧
نساء قريش خير من ركبت على إبل ١٦٨
وصية أم لابنتها فى ليلة عرسها ١٦٨
بعض قول الشعراء فى البخل ١٦٩
نموذج من الشعر فى أجمل ما قيل فى الغزل ١٦٩
الدنيا وأهلها ١٧٠
قالوا فى الشيب ١٧٠
أعرابية تسأل ١٧١
ذل السؤال ١٧١
أعرابية تلوم أباها فى الجود ١٧١
فى الإقدام حياة ١٧٢
حلم معن بن زائدة وكرمه ١٧٢
قالوا فى الأمثال عن المرأة ١٧٣
دعاء رياضى ١٧٣
واحدة بواحدة ١٧٤
من لطائف الصحابة ١٧٤
من لطائف الملوك المتقدمين ١٧٥
من لطائف الوزراء الكبراء ١٧٦
العصفور وسليمان ١٧٦
عذر معن بن زائدة ١٧٧
جمال الدراهم ١٧٧
المقادير ١٧٧
فى الكذب ١٧٨

في الفضيلة ١٧٨
في حفظ السر ١٧٨
تغير حال الناس ١٧٩
قول مأثور ١٧٩
داوه بمثل هذا الدواء ١٧٩
بين المهلب وابنه ١٨٠
نملة تناجي الله ١٨٠
فخ الإسرائيلي ١٨١
الثعلب والديك ١٨١
ثعلب وطبل ١٨١
الأسد والأرنب ١٨٢
القملة والبرغوث ١٨٣
الظريف من الخطاب يخلص من الهلاك ١٨٣
المأمون يحرم الغناء ١٨٣
من مزاح النبي ﷺ ١٨٦
عبد الله بن رواحة والجارية ١٨٧
من ملح أشعب ١٨٨
هيبة الأمير ١٨٨
أشعب وعائشة بنت طلحة ١٨٩
أبو محجن الثقفي وسعد بن أبي وقاص ١٨٩
بنو أمية وأهل العراق ١٩٠
لا أدري ١٩٠
حكمة ١٩١
جبن ١٩١
بخل المنصور ١٩١
أبو دلامة والمهدي ١٩٢
رجل سخي ١٩٢
الشربة بخمسة دارهم ١٩٣
رجل غبي ١٩٣
موعظة طاووس رضي الله عنه ١٩٣
يدك مغلولة إلى عنقك ١٩٤
الله خير الرازقين ١٩٤
بركة الديك ١٩٥

رزقى سوف يأتينى ١٩٥
جاريتا جعفر البرمكى ١٩٦
حب النساء للمال ١٩٦
عشق البطون ١٩٧
من مكارم الأخلاق ١٩٧
حسن المرأة ١٩٧
أفضل النساء ١٩٨
شر النساء ١٩٨
الوجه الحسن ١٩٩
النساء ثلاث ١٩٩
وفاء امرأة ٢٠٠
الفراسة وحليمة السعدية ٢٠٠
بنى مدلج والرسول ﷺ ٢٠١
نبوة الرسول ﷺ ٢٠١
عمير بن وهب الجمحى ورسول الله ﷺ ٢٠٢
كرم خالة حاتم الطائى ٢٠٣
عقلاء المجانين ٢٠٣
كرم يزيد بن المهلب ٢٠٣
بكر وثيب ٢٠٤
كرم الحسن والحسين ٢٠٤
عبد الله بن جعفر ويزيد بن معاوية ٢٠٥
أجود الناس ٢٠٥
عبد الله بن جعفر والعبد ٢٠٦
محمد بن الجهم وسعيد بن العاص ٢٠٧
الفأرة والدنانير ٢٠٧
من حكايات أبى دلف ٢٠٨
بائع السنانير ٢٠٩
بين الأصمعى ورجل كريم ٢٠٩
وفاء الكلب ٢١٠
الهدهد وسيدنا سليمان ٢١١
فتاة بكر ٢١١
وافق شن طبقة ٢١٢
زوج بخيل ٢١٢

أعرابى لص ٢١٣
ذكاء سليمان عليه السلام ٢١٣
من ذكاء سليمان أيضًا ٢١٣
ذكاء سيدنا على بن أبى طالب ٢١٤
ومن ذكاء سيدنا على أيضًا ٢١٤
أدب العباس رضى الله عنه ٢١٤
أعرابى مغفل ٢١٥
ذكاء عمرو بن العاص ٢١٥
فتى يخدع المغيرة بن شعبة ٢١٦
بين المأمون والعتابى ٢١٦
الفرج بعد الشدة ٢١٦
يا غياث المغيثين ٢١٧
عبد كسول ٢١٨
مكر النساء ٢١٨
جود عبد الله بن عامر ٢١٩
أدب المجالسة ٢١٩
سليمان القانوى والعجوز ٢٢٠
معاوية وزوجته ميسون ٢٢٠
السفيه ٢٢١
بلاغة أعرابية وأعرابى ٢٢١
الجار المحسن ٢٢٢
المرأة والحجاج ٢٢٢
دعاء مستجاب ٢٢٢
امرأة تعاتب زوجها ٢٢٢
تريد جميلًا ٢٢٣
الجاحظ والمرأة ٢٢٣
امرأة خلصت نفسها من الطلاق ٢٢٣
أبو حمزة الضبى وامرأته ٢٢٤
الأصمعى والأعرابية ٢٢٤
المهدى والعجوز ٢٢٤
أدوات تجميل ٢٢٥
ليلى العامرية وقيسها ٢٢٥
أم بشر المريسى ٢٢٥

المرأة والكتب ٢٢٥
الأصمعى والبدوية ٢٢٦
زوجة المأمون ٢٢٦
النساء وسيدنا يوسف ٢٢٧
بشر الحافى ٢٢٨
المرأة والتاجر ٢٢٨
المرأة والجرذان ٢٢٩
الرشيد والصبية ٢٢٩
نصيحة ٢٣٠
المبرد والجارية ٢٣٠
ابن السماك وجارية له ٢٣٠
سليمان بن عبد الملك وجارية له ٢٣١
الجاحظ والجارية ٢٣١
الرشيد وجارية سوداء ٢٣١
الجاحظ والجارية ٢٣١
جارية المتوكل ٢٣٢
جاء بالله إلى الله ٢٣٢
الأصمعى والرشيد والجارية ٢٣٢
الجارية والفرزدق ٢٣٣
عزلة ٢٣٣
غش الحب ٢٣٣
آداب نبوية ٢٣٤
المروءة ٢٣٥
نصرانى ومحدث ٢٣٥
المهدى والأعرابى ٢٣٦
نوادر الأعراب ٢٣٦
دواء عينيك ٢٣٧
من نوادر الفقهاء ٢٣٧
قاض عادل ٢٣٨
من نوادر النحاة ٢٣٨
أعرابى يقوم الليل ٢٣٩
من نوادر المعلمين ٢٣٩
من نوادر المتنبئين ٢٣٩

من نوادر السؤَّال ٢٤١
نصيحة بزرجمهر ٢٤٢
من نوادر المؤذنين ٢٤٢
دعاء غير مستجاب ٢٤٢
دعوة تركماني ٢٤٣
اسم الله الأعظم ٢٤٣
مرض العُجْب ٢٤٤
دعاء مستجاب ٢٤٤
كل شيء بأجل ٢٤٤
البلاء سبب المغفرة ٢٤٥
وحى الشياطين ٢٤٥
السحاب تسقى حديقة ٢٤٥
بين امرئ القيس وابنة عمه عنيزة ٢٤٦
فظ غليظ ٢٤٧
أخجلنى غلام ٢٤٧
سهام من ذهب ٢٤٧
تصرف الدهر ٢٤٨
الأخ الصالح ٢٤٨
قوة حافظة المتنبى ٢٤٨
عليك نفسك ٢٤٩
حسن السير والسلوك ٢٤٩
مؤمن يحتضر ٢٤٩
الحلوى والطفيلى ٢٥٠
من نوادر الطفيليين ٢٥٠
صفة الأخ الصادق ٢٥١
مظلوم فصيح ٢٥٢
صفة الرجل الكامل ٢٥٢
المأمون وبعض خاصته ٢٥٢
عمال المأمون ٢٥٣
أجمل شيء فى الدنيا ٢٥٣
أرزاق الحمقى ٢٥٤
أى الاكتساب أفضل؟ ٢٥٤
حكمة كسرى ٢٥٤
زوج محظوظ ٢٥٤

مكافأة أحمد بن المدبر ٢٥٥
الشرع يدعو إلى صيانة اللسان وحسن الكلام ٢٥٥
نباهة منجم ٢٥٦
طول عمره فى الماء ٢٥٦
عمر واحد ٢٥٦
حيلة المحقق ٢٥٦
سيد العرب ٢٥٧
كمال الرجل بآدابه لا بثيابه ٢٥٨
حسن التأسى ٢٥٨
عمر بن عبد العزيز والغلام ٢٥٨
المعتصم والغلام ٢٥٩
حسرة ٢٥٩
معلم كسرى ٢٥٩
أصوات ٢٦٠
الصمت ٢٦٠
امرأة تتكلم بالقرآن ٢٦١
مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهًا ٢٦٣
إبراهيم بن المهدى والجارية ٢٦٣
أعرابية ظريفة ٢٦٤
أحسن الناس وجوها ٢٦٤
صلاة رابعة العدوية ٢٦٤
صلاة مسلم بن بشار ٢٦٤
وصية عبيد بن عمير ٢٦٥
جزاء الصدقة ٢٦٥
الأمثال فى القرآن ٢٦٥
الأمثال فى الحديث النبوى الشريف ٢٦٦
امرأة وهارون الرشيد ٢٦٧
فأر البيوت وفأر الصحراء ٢٦٨
الكاظمين الغيظ ٢٦٨
الوعد ٢٦٨
رجل مزور ٢٦٩
منزلة الشيب فى الإسلام ٢٦٩
حب الوطن ٢٧٠
فهرس الموضوعات ٢٧١